

المصطلحات الإسلامية

جمع و تنظيم : سليم الحسني

تأليف
السيد رضى العسكري

المجمع العالمي للأئمة الأربعة

السَّيِّدُ مُرْضَى الْمَسْكُونِ

المصطلحات الإسلامية

جمع و تنظيم : سليم الحسني

شبكة كتب الشيعة



المجمع العالمي للأئمة الأطهار

shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



المجمع العالمي لأهل البيت

العنوان: بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - بناية الحسين

ت: ٠٠٩٦١١٢٧١٩٠٧ - ٠٠٩٦١٣٨٢٣٦٢٠

المستودع: حارة حريك - خلف كنيسة مار يوسف - بناية دار الزهراء

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عند دراسة النتائج الضخم لساحة آية الله العلامة مرتضى العسكري، نكتشف منذ الوهلة الأولى إهتمامه بدراسة وتعريف المصطلحات في كل حقل من حقول البحث التي يتناولها في دراساته. فالمصطلح عند السيد العلامة ضرورة من ضرورات البحث، ومقدمة أساسية لا يمكن تجاوزها من أجل الوصول إلى النتائج العلمية الموثقة المطابقة لحقيقة الفكر الإسلامي.

وعلى هذا فإن دراسة المصطلح وتقديم مفهومه الصحيح، يمثل منهجاً ثابتاً في المشروع الفكري للسيد العسكري، والذي يهدف فيه إلى إعادة الأصالة إلى التراث الإسلامي، وتصحيح المفاهيم والعقائد والآراء التي لحق بها التحريف والتشويه.

إن أهمية المصطلح كما يراها العلامة العسكري، جعلته يبذل جهوداً علمية كبيرة في دراسة وتعريف المصطلحات بشكل موضوعي دقيق، بحيث شكلت دراساته في هذا الخصوص مادة ثقافية موثقة تساهم بشكل أكيد في فهم

وتوجيه الدراسات العقائدية والتاريخية وغيرها من حقول المعرفة الإسلامية .
وهو بذلك يسجل سبقاً آخر في الدراسات العلمية يضاف إلى جهوده الرائدة
في مجالات العقيدة والتاريخ والحديث وعلوم القرآن .

نظرية العلامة العسكري في المصطلحات

قد يتصور البعض أن المصطلح له أهميته في مجالات محدودة من حقول
المعرفة فحسب، ولا يمكن تعميم هذه الأهمية على كل مجالات الثقافة. لكن
السيد العلامة يرفض هذا الرأي بشكل قاطع، ويؤكد على أن المصطلح له
أهميته في كل الحقول المعرفية، وينطلق في ذلك من مرتكزين أساسيين:

الأول: أن الإسلام عقيدة متكاملة غير قابلة للتجزئة والتفكيك، وأن
لكل مدرسة فكرية وعقائدية مصطلحاتها وللإسلام مصطلحاته الخاصة،
وأن هذه المصطلحات أساس ثابت من مفاهيمه وثقافته. والتراث الإسلامي
لا يعاني من أي نقص في هذا المجال، فهو غني بالمصطلحات سواء
بالمصطلحات الإسلامية الشرعية التي جاءت في القرآن الكريم وحديث
الرّسول (ص)، أو مصطلحات المشرّعة التي أطلقها علماء المسلمين في مختلف
العصور.

الثاني: أن فهم الإسلام الأصيل لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال فهم
الأصول العقائدية التي جاءت في القرآن الكريم وسنة الرّسول (ص). وأن
لهذه الأصول مصطلحاتها الخاصة التي عن طريق فهم معانيها الحقيقية يتسنى
لنا فهم واستيعاب عقائد الإسلام ومفاهيمه على النحو السليم بعيداً عن
التشويه والخلل. وهذا ما يمكن إكتشافه في بحوث العلامة العسكري في
المواضيع التي بحثها في مجالات العقيدة والتاريخ وعلوم القرآن وغيرها من

مجالات المعرفة التي نشأ الخلاف حولها بين المسلمين.

إنّ نظرية العلامة العسكري حول المصطلحات يمكن أن نطلق عليها تسمية (وثائقية المصطلح)، وخلاصتها أنه جعل من المصطلح أداة للتوثيق في مجالات العقيدة والمفاهيم والأحكام الإسلامية. حيث يدرس سياحته تاريخ المصطلح من الناحية الزمنية وفترات استخدامه، وتطوّر دلالاته ومعانيه.

كما أنه يدرس دائرة استخدام المصطلح الجغرافية، ويؤكد على ضرورة التمييز بين هذه المصطلحات بحسب البلدان المتداولة فيها، ويضع سياحته ضابطة جغرافية لمثل هذه المصطلحات، حتى لا تكون مطلقة غير مقيدة، فهي ليست من اصطلاح المسلمين أو عرف المشرعة، بل هي خاصة ببلد معين، مما يستدعي ذكر الاصطلاح مقروناً بإسم البلد.

وفي هذا السياق أيضاً يرى العلامة العسكري ضرورة التمييز بين الاصطلاحات المتداولة لدى مذهب من المذاهب الإسلامية أو لدى فرقة تنتمي إلى الإسلام، فهناك تسميات خاصة بها، وهي ليست من اصطلاح المسلمين، بل أن لها معنى يختلف تماماً عن المعنى المتعارف عليه عند غيرهم من المسلمين. الأمر الذي يتطلب التعامل مع كل لفظ من هذه الألفاظ بالمعنى المستخدم عند المذهب أو الفرقة المتداول لديها. وهنا يرى سياحة العلامة ضرورة تسمية مثل هذه الاصطلاحات مقرونة بإسم المذهب والفرقة، فيقال: (هذا اصطلاح مدرسة أهل البيت)، و(هذا اصطلاح مدرسة الخلفاء)، و(هذا اصطلاح الخوارج).

إن هذا المنهج الذي أسسه العلامة الكبير مرتضى العسكري في دراسة المصطلحات، منهج رائد، وإبداع كبير تفرد به في مجال التوثيق التاريخي يضاف إلى إبداعاته المشهودة منذ أكثر من نصف قرن من الزمن.

ولقد قدّم العلامة العسكري في ضوء هذا المنهج، المفاهيم الأصيلة للعقيدة الإسلامية، كما يجدها الباحث والقارئ في كتابه (عقائد الإسلام من القرآن الكريم) الذي صدر منه إلى الآن الجزءان الأول والثاني. ففي هذا الكتاب قدّم السيّد العلامة دراسة موسعة، عرّف فيها المصطلحات بشكل دقيق، بحيث شكّلت مقدّمة علميّة لها أهميّتها الكبيرة في تعريف عقائد الإسلام كما وردت في القرآن الكريم.

والأمر نفسه يجده الباحث والقارئ في كتاب سماحته (القرآن الكريم وروايات المدرستين) حيث برهن السيّد العلامة من خلال دراسة المصطلحات القرآنيّة في مجلده الأول وبمنطق علمي لا يقبل الشك، مدى الخطأ الكبير الذي وقع فيه قسم من المسلمين في علوم القرآن، وأثر ذلك في مجال العقيدة، نتيجة تغيير معاني بعض المصطلحات عما كانت عليه في عصر الرّسول (ص) والصحابة وأئمّة أهل البيت (ع).

فعلى سبيل المثال ناقش سماحته في المجلد الثاني من هذا الكتاب، روايات مدرسة الخلفاء التي أسندت إلى الرّسول (ص) أنه أجاز تبديل أسماء الله في القرآن الكريم بعضها ببعض، فعقد العلامة العسكري دراسة مقارنة بين موارد استعمال اسمي (الإله) و(الربّ) وأثبت مبلغ بعد هذا القول عن الصواب، وعدم صحّة نسبة تلك الروايات إلى رسول الله (ص) وصحابته.

إنّ هذا النموذج الذي ذكرناه عن منهج البحث عند العلامة العسكري في خصوص المصطلحات يكشف لنا أن قسماً كبيراً منها لم يستوعب بشكلها الصحيح، ولنا أن نقدّر حجم الخلل في هذا المجال إذا ما عرفنا أن هناك الكثير من المصطلحات المتداولة بين المسلمين قد تبدّلت معانيها إلى معانٍ أخرى.

وفي كتاب (معالم المدرستين) بإجزائه الثلاثة، درس العلامة العسكري

ضمن المنهج نفسه، الكثير من المصطلحات المتداولة في التراث الإسلامي، وبرهن على الخطأ الذي وقع فيه علماء مدرسة الخلفاء في عدد من الأحكام والمفاهيم الإسلامية، كالفنس والغنية والصحة والاجتهاد وغير ذلك من المصطلحات التي تتأسس عليها الكثير من المفاهيم والعقائد والأحكام الشرعية.

لقد أثبت العلامة العسكري بما لا يقبل الشك، وبمنطق البحث العلمي الموضوعي أن دراسة المصطلحات الإسلامية، تمثل ضرورة من ضرورات البحث العلمي، وأنها المقدمة الأساسية لفهم عقائد الإسلام ومفاهيمه فهماً أصيلاً، إضافة إلى دور المصطلح في عملية التوثيق التاريخي، وهو ما يحتاج إلى دراسة خاصة حول نظرية العلامة العسكري في التوثيق التاريخي من خلال دراسة المصطلحات.

وانطلاقاً من أهمية فهم المصطلحات الإسلامية فهماً صحيحاً كما قدّمها العلامة الكبير حفظه الله، قنا بمراجعة نتاج سباحته، حيث إستخرجنا منها بحوثه حول المصطلحات الإسلامية، من أجل أن تكون في متناول أبناء الأمة الإسلامية، والباحثين الإسلاميين، فهي تمثل قيمة علمية كبيرة، وحصيلة جهد علمي طويل زاد على نصف قرن من الزمن.

نسأل الله تعالى أن يحقق بهذا الكتاب الفائدة المرجوة وأن يتقبل منا هذا المجهود الضئيل، أنه نعم المولى ونعم النصير.

سليم الحسني

٢١ رمضان ١٤١٨ هـ ق

مخطّط بحوث الكتاب

اللغة العربيّة والمصطلحات الإسلاميّة

مصطلحات الألوهيّة والربوبيّة

الإسم - الإله - الربّ - ذو العرش وربّ العرش -
الكرسيّ - الله - القيوم - الرحمن الرحيم - العبادة.

مصطلحات النبوّة

الوحي - النبيّ - الرّسول - خليفة الله - الأئمّة المبلفون -
الصحابي والصاحب.

المصطلحات القرآنيّة

القرآن - الكتاب - المصحف - السورة والآية - الجزء
والحزب - التلاوة والقراءة والإقراء - النسخ.

مصطلحات عقائد الإسلام من القرآن الكريم

مشيئة الله - البداء - الجبر والتفويض - القضاء والقدر -
الدّين والإسلام - الإيمان والمؤمن - النفاق والمنافق.

مصطلحات الإمامة والخلافة

الخليفة والخلافة - أمير المؤمنين - الإمام - الأمر وألو
الأمر - الشورى - البيعة - أهل البيت (ع) - السنة
والشيعة أو مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت.

مصطلحات الفقه

الفقه - الاجتهاد - السنة - البدعة - الزكاة - الصدقة -
النبيء - الصني - الأنفال - الفنيمة والمغنم - الخمس.

اللغة العربية
والمُصطلحات الإسلامية



مرکز تحقیقات کتاب ویران‌ساز

أولاً - تعريف المصطلحات وهي:

أ - لغة العرب .

ب - المصطلح الشرعيّ أو المصطلح الإسلامي .

ج - مصطلح المشرّعة أو مصطلح المسلمين .

د - الحقيقة والمجاز .

ونسَمّي الأول أحياناً بـ (تسمية العرب)، والثاني بـ (تسمية الشارع)

والثالث بـ (تسمية المسلمين) ونقول:

أ - لغة العرب :

إنّما نتحدّث عن لغة العرب، لأنّ القرآن نزل بلغتهم، فنقول:

إنّ جلّ الألفاظ العربيّة الّتي نستعملها اليوم، كانت شائعة في معانيها قبل

الإسلام وبعد الإسلام حتّى اليوم، مثل: الأكل والنوم واللّيل والنهار .

ومن تلكم الألفاظ ما ورد في لغة العرب في معان متعدّدة، مثل لفظ:

(غنم) الّذي كان في البدء بمعنى كسب الغنم، ثمّ استعمل أيضاً في لغة العرب

بمعنى الفوز بالشيء بلا مشقّة، ثمّ استعمل في الإسلام في الفوز بالشيء مطلقاً،

سواء أكان الفوز بمشقّة أم دون مشقّة .

وقد يرد لفظ عند قبيلة بمعنى، وعند أخرى بمعنى آخر، مثل (الأثلب) فإنه في لغة أهل الحجاز: الحجر، وفي لغة تميم: القراب^(١). وفي عصرنا يستعمل لفظ: (المبسوط) ويراد به عند العراقيين: المضروب، ولدى الشاميين واللبنانيين: المسرور، وفي مثل هذه الحالة يجب أن نقول مثلاً: (الأثلب) في لغة تميم بمعنى كذا، وفي لغة الحجازيين بمعنى كذا، وكذلك الأمر في (المبسوط).

ب - المصطلح الشرعي أو «المصطلح الإسلامي»:

عندما بعث الله خاتم أنبيائه (ص) استعمل بعض الألفاظ العربية في غير معانيها الشائعة لدى العرب، مثل: (الصلاة) التي كانت تستعمل في مطلق (الدعاء) واستعملها رسول الله (ص) في عبادة خاصة لها قراءات خاصة مقارنة بأفعال خاصة من قيام وركوع وسجود، مما لم تكن معروفة لدى العرب. وهذا ما نسميه بـ (المصطلح الشرعي أو الإسلامي) سواء في ذلك أغْيَر المعنى اللغوي للفظ مثل (الصلاة) أم جاء الشارع الإسلامي بلفظ جديد في معنى جديد، مثل: (الرحمن) صفة لله تعالى.

ويعرف (المصطلح الشرعي) بورود اللفظ في معناه في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، وبدون ذلك لا يوجد المصطلح الشرعي. إذاً فالمصطلح الشرعي: ما استعمله الشارع في معنى خاص وبلغ الرسول (ص) ذلك.

(١) تهذيب اللغة للأزهري (٩١/١٥)، ط. القاهرة، سنة ١٣٨٤ هـ.

ج - مصطلح المتشرعة أو «تسمية المسلمين»:

من الألفاظ ما هي شائعة في معان خاصة بها لدى المسلمين عامة مثل: (الاجتهاد) و(المجتهد) الشائعين لدى عامة المسلمين في الفقه والفقيه، وكان اللفظان في لغة العرب بمعنى بذل الجهد في طلب الأمر^(١)، وبإذل الجهد، وأستعملتا بنفس المعنى اللغوي في حديث الرسول (ص) كما روي عن رسول الله (ص) أنه قال:

«فضل العالم على المجتهد مائة درجة»، أي على المجتهد في العبادة^(٢).

وفي ما روي عن سيرته (ص) وقيل:

كان رسول الله يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره^(٣).

ولم يرد (الاجتهاد) و(المجتهد) بمعنى: الفقه والفقيه، في القرآن الكريم ولا الحديث النبوي الشريف، ونسَمي هذا النوع من التسمية بـ (عرف المتشرعة) و(تسمية المسلمين).

ومن هذا النوع من التسمية ما لا يكون شائعاً لدى عامة المسلمين، بل يكون شائعاً لدى بعضهم، مثل كلمة: (صوم زكرياً) المستعمل لدى بعض المسلمين في الصّوم مع الالتزام بالصّمت والامتناع عن التكلّم. وهذا النوع من المصطلح ينبغي أن نسمّيه باسم البلد الشائع فيه، فنقول: هذا اصطلاح المسلمين من أهل بغداد، أو اصطلاح المسلمين في القاهرة مثلاً، ولا يصحّ أن نسمّيه بـ (اصطلاح المسلمين) أو (عرف المتشرعة) أو (تسمية المسلمين).

(١) مادة: (جهد) من نهاية اللغة لابن الأثير.

(٢) مقدّمة سنن الدارمي (١ / ١٠٠)، باب فضل العلم والعالم، ح ٣٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، ح ١١٧٥.

مطلقاً وبدون تقييد.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى التسمية الشائعة لدى أهل مذهب من المذاهب الإسلامية أو لدى فرقة تنتمي إلى الإسلام.

مثل: (الشاري) و(المشرك) لدى الخوارج؛ ف(الشاري) عندهم بمثابة المجاهد عند كافة المسلمين، و(المشرك) عندهم: جميع المسلمين وكل من لا ينتمي إلى الخوارج.

ومثل (الرافضي) الذي ينز به بعض أتباع مدرسة الخلفاء بعض أتباع مدرسة أهل البيت (ع).

و(الناصبي) عند أتباع مدرسة أهل البيت (ع) الذي يسمون به: كل من يبغيض الأئمة من أهل البيت (ع).

وفي مثل هذه الحالة، نسمي الأول بـ(أصطلاح الخوارج) والثاني بـ(أصطلاح مدرسة الخلفاء) والثالث بـ(أصطلاح مدرسة أهل البيت).

وبناءً على ما ذكرنا، فإذا ورد لفظ (الناصبي) لدى أتباع مدرسة الخلفاء لا ينبغي أن نفهم منه أعداء أهل البيت (ع). وكذلك إذا ورد لفظ (الشاري) عند غير الخوارج لا نفهم منه ما أصطلح عليه الخوارج.

د - الحقيقة والمجاز:

إذا شاع استعمال اللفظ في معناه، بحيث لم يتبادر إلى ذهن السامع عند استماع الكلمة غير ذلك المعنى، مثل لفظ: (الأسد) الذي يفهم منه: الحيوان المفترس، لا غيره. ومثل لفظ: (الصلاة) التي لا يفهم منها لدى المسلمين غير: القيام بالأعمال الخاصة المقرونة بأذكار خاصة.

في مثل هذه الحالة، يوصف (الأسد) بأنه حقيقة في الحيوان المفترس.

و(الصلاة) بأنها حقيقة في الأعمال المخصوصة، ويسمى الأول بـ (الحقيقة اللغوية) والثاني بـ (الحقيقة الشرعية).

وقد يستعمل لفظ (الأسد) ويقصد به: الرجل الشجاع، ويقال: رأيت أسداً يتكلم في المسجد. وهذا الاستعمال يسمى استعمالاً مجازياً ويقال: استعمل (الأسد) مجازاً في الرجل الشجاع. ولا بدّ عند ذلك من وجود قرينة في الكلام أو في المقام، تدلّ على أنّه لم يقصد من (الأسد) المعنى الحقيقي، مثل قولك هنا: (يتكلم في المسجد) فإنّ الأسد لا يتكلم، وهذه قرينة على أنّ القائل لم يقصد الحيوان المفترس، وإنما قصد رجلاً شجاعاً.

ثانياً - كيفية تأليف مجاميع اللغة العربية:

عندما قام علماء اللغة العربية بتدوين اللغة العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، سجلوا أمام كلّ لفظ ما وجدوا له من معنى، منذ العصر الجاهليّ إلى زمانهم، سواء أكان ذلك المعنى شائعاً عند أهل اللغة أم في الشرع الإسلامي، أو لدى المسلمين، غير أنّ فقهاء المسلمين بذلوا جهداً مشكوراً مدى القرون في تحديد المصطلحات الإسلامية الفقهية وتعريفها، مثل مصطلح الصلاة والصّوم والحجّ وغيرها، فأصبحت المصطلحات الإسلامية الفقهية معروفة لدى جميع المسلمين. ولما لم يبذل نظير ذلك الجهد في تعريف المصطلحات الإسلامية غير الفقهية، أصبح بعض المصطلحات غير معروف لدى المسلمين، فهي من نوع الاصطلاح الشرعيّ؟ أم من نوع تسمية المسلمين واصطلاح المتشرّعة. وأدّى ذلك إلى اللبس والغموض في إدراك المفاهيم الإسلامية، وأحياناً في معرفة بعض الأحكام الشرعية، نظير ما وقع في لفظي الصحابي، والصحابة.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مُصطلحات الألوهية والربوبية

- ✻ الإِسْم
- ✻ الإِلَه
- ✻ الرَّبّ
- ✻ ذو العرش وربّ العرش
- ✻ الكرسيّ
- ✻ الله
- ✻ القيّوم
- ✻ الرَّحْمَن الرَّحِيم
- ✻ العبادة

الإِسْمُ

للإسم في لغة العرب معنيان :

أ - اللَّفْظُ الذي يدلُّ على مسمًى به يُمَيِّزُ ويعرف. مثل : مَكَّةَ عِلْمٌ للبلد الذي فيه أَلْكَعْبَةُ بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ، وأسماء الأشخاص في عصرنا : كَيُوسُفَ وَفَيْصَلَ وَعَبَّاسٍ ... الخ.

ب - اللَّفْظُ الذي يدلُّ على حقيقة المسمًى أو صفته. مثل : (اسم) في قوله تعالى :

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾. (الأعلى / ١)

إذ ليس معنى (اسم رَبِّكَ) هاهنا لفظ رَبِّكَ فيكون المعنى : سَبِّحْ لفظ رَبِّكَ، وإنما معناه صفة رَبِّكَ فيكون المعنى، سَبِّحْ صفة رَبِّكَ، أي نَزِّهْ رُبُوبِيَّةَ رَبِّكَ الْأَعْلَى عما لا يليق بذكره.

ومن هذا الباب قوله تعالى :

﴿عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. (البقرة / ٣١)

وليس معنى الأسماء التي علَّمها الله لآدَمَ خَلِيفَتِهِ أسماء عواصم البلدان : بَغْدَادَ وَطَهْرَانَ وَلَنْدَنَ، وأعضاء جسد الإنسان : الْعَيْنَ وَالرَّأْسَ وَالرَّقَبَةَ، وأسماء الفواكه : التَّينَ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ، والأحجار : الْيَاقُوتَ وَالذُّرَّ وَالزَّبَرْجَدَ، والمعادن : الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَالنُّحَاسَ وَالْحَدِيدَ ... إلى ما لا يحصى من الألفاظ التي سَمَّى البشر بها الأشياء بلغاتهم، وإنما أَلْقَصِدُ أَنَّهُ عَلَّمَهُ صفات الأشياء وحقايقها.

الإله

أولاً - في معاجم اللّغة :

موجز ما في المعاجم حول الـ «إله» :

«إله» على وزن كتاب من مادة إِلَه يَأْلَهُ بمعنى عبد، يعبد، عبادة: أي أطاع إطاعة بتذلّ وخضوع، ثمّ إنّ لفظ «إله» كـ «كتاب» مصدر واسم مفعول معاً، فكما أنّ الكتاب مكتوب، فإنّ الذي جاء بمعنى «مألوه» يأتي أيضاً بمعنى: معبود أو مطاع.

إذاً إله في اللّغة يعني :

١ - العبادة، أي: الإطاعة المطلقة بتذلّ وخضوع.

٢ - المعبود والمطاع.

كان ذلكم معنى (إله) في اللّغة.

ثانياً - في محاورات العرب :

جاء الإله في محاورات العرب بمعنىين :

١ - إِلَه: أي أجرى للمعبود العبادات الدينية مثل: الصّلاة والدّعاء وتقديم

القرابين. و(الإلهاء) على وزن كتاباً: بمعنى المألوه أي المعبود الذي يُعبد وتُجرى له الطقوس الدينية كما أنّ الكتاب يرد بمعنى المكتوب. والعرب تسمّي كل ما يُعبد: (إلهاء)، وجمعها: (الآلهة) خالقاً كان ذلك الإله أو مخلوقاً، مثل الأصنام والتماثيل والشمس والقمر والأبقار التي يعبدها الهنود.

٢ - يَأْتِي إِلَهُه أحياناً بمعنى المطاع^(١) كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى:

أ - في سورة الفرقان:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (الآية ٤٣).

ب - في سورة الجاثية:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (الآية ٢٣).

والمعنى في الآيتين: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾: أي أطاع هوى نفسه، ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة القصص:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ (الآية ٥٠).

ج - في سورة الشعراء في حكاية قول فرعون لموسى (ع):

﴿لَئِنْ اتَّخَذَتِ الْإِلهُ غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ﴾ (الآية ٢٩).

ويدل على ذلك (أي على أن فرعون وقومه كانت لهم آلهة يعبدونها) ما حكى عنهم سبحانه وتعالى في سورة الأعراف فقال:

﴿وَقَالَ آلُؤَلَىٰ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنذَرْتُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ (الآية ١٢٧).

إن الآلهة التي ذكرت هنا كانت معبودات فرعون وقومه، يقربون لها القرابين ويحجرون لها الطقوس الدينية. أمّا فرعون نفسه فقد كان إلهاً، أي مطاعاً.

ومن المحتمل أن فرعون - أيضاً - كان يدّعي لنفسه الألوهية بالمعنى الأول، كما جاء عن بعض الأقوام أنهم كانوا يزعمون أن ملوكهم من سلالة الآلهة (شمساً كانت أو غيرها)، ويحجرون لهم بعض الطقوس العبادية.

(١) راجع مادة: (أَلَّه) في مفردات الراغب. وكتاب «التحقيق في كلمات القرآن».

ثالثاً: في القرآن الكريم:

بالإضافة إلى ما ذكرناه نجد أن صفة الخالقية أبرز صفة للإله في القرآن الكريم، ولذا نجده بعد قوله تعالى:

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ .

يسأل الكفار ويقول:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَوْنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .
(الأحقاف / ٤)

وكذلك الأمر في قوله تعالى:

أ - ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ . (الفرقان / ٣)

ب - ﴿ أَفَنُخْلِقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ . (النحل / ١٧)

ج - ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ .

(النحل / ٢٠)

د - ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ . (الأعراف / ١٩١)

هـ - ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ .
(الزهد / ١٦)

و - ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ .

(فاطر / ٤٠)

ز - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

(الحج / ٧٣)

في كل هذه الآيات نرى الله سبحانه وتعالى يتحدّى المشركين في خالقيّة
آلهتهم ويؤكد سبحانه أنّ تلك الآلهة لم تخلق شيئاً بنفسها منفردة ولم تشترك
مع الله في خلق شيء.

ويسأل الله جلّ شأنه في الآيتين هـ - و الماضيتين عما خلقت تلکم
الأصنام التي يدعونها بالآلهة من مخلوقات الأرض:

هل كانوا شركاء في خلق السموات؟

هل اتخذ المشركون لله شريكاً، خلق مثل خلق الله، فاشتبه الأمر عليهم
في الألوهيّة؟

ويسأل في الآيات الأخرى:

هل الذي يخلق - وهو الله سبحانه وتعالى - كمن لا يخلق - كالأصنام التي
يعبدونها - على حدّ سواء؟

ويصل التحديّ إلى مداه في الآية الأخيرة حين يقول:

إنّ الذين اتخذوهم آلهة من دون الله ضعفاء إلى حدّ أنّهم لا يستطيعون
أن يخلقوا الذباب ذلك المخلوق المهيّن، بل إنّ عجزهم أكبر من ذلك، فإنّ ذلك
المخلوق الضعيف المهيّن إن سلبهم شيئاً لا يستطيعون إنقاذ حقهم منه.

ونستنتج من كل ذلك أنّ القرآن الكريم قد حصر (الألوهيّة) بالله
سبحانه، وأستدلّ على ذلك بأنّ كل ما يُتخذ من دون الله من آلهة لا
يستطيعون أن يخلقوا شيئاً.

إذاً يتّضح أن أبرز صفة في (الإله) هي: (الخالقيّة).

ويزيد الأمر وضوحاً الآيات التالية:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ . (الأنعام / ١٠٢)

هكذا ينحصر خلق كل شيء بالله، فلا إله إلا هو، وينحصر كل إيجاد به أيضاً، كما قال سبحانه:

أ - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ .
(القصص / ٧١، ٧٢)

وكذلك يسخر القرآن من عقائد من اتخذ إلهاً غير الله لينفعه في جانب ما في الكون كما يأتي:

ب - ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يَنْصَرُونَ﴾ . (يس / ٧٤)

ج - ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ . (مريم / ٨١)

د - ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ . (الأنبياء / ٢١)

هـ - ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ . (الأنبياء / ٤٣)

و - ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ .

(هود / ١٠١)

ز - ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ إِذَا لَا يَهْتَفُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ .

(الإسراء / ٤٢)

والأنبياء كانوا يقولون:

﴿أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرْزَقِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون﴾ .
(يس / ٢٣)

كان ذلكم منطق القرآن ومنطق الأنبياء في شأن الآلهة؛ ولكن الكفار كانوا يعتقدون أن آلهتهم تؤثر في الكون ويطلبون منها إنزال المطر وإنبات النبات

وشفاء المرضى والإغناء من الفقر والنصرة على الأعداء، ويتقربون إليها بتقديم القرابين وإجراء بعض الطقوس الدينية لها، وخاطب بعضهم هوداً وقال له:

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾. (هود / ٥٤)

وتعددت الآلهة لدى بعض الأمم: فللمطر إله وللرياح إله وللنبات إله، وهكذا لغيرها آلهة في ما يعتقدون. ولكن القرآن الكريم يقيم الدليل تلو الدليل على بطلان تعدد الآلهة ويقول:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾.

(الإسراء / ٤٢)

أي لشاركوا الله في تدبير أمر العالم من خلق المخلوق و... و... و... ولما لم يفعل أي من الآلهة شيئاً من ذلك علمنا أن الله واحد، أحد، صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

إذ لو كان له ولد أو صاحبة لشاركاه في شيء من القدرة إلى حد ما. وصدق الله حيث يقول:

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾. (النساء / ١٧١)

ويقول:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾.

(المائدة / ٧٣)

ويقول:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾. (المؤمنون / ٩١)

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ

(المائدة / ١١٦)

مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾. (النحل / ٥١)



ونلخص ما تقدم بالقول:

إنَّ الإله في المصطلح الإسلامي من أسماء الله الحسنى، ومعناه: المعبود، وخالق الخلق. وقد جاء في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي مع وجود قرينة تدلّ على أنَّ المقصود معناه اللغوي، مثل قوله تعالى في سورة الحجر:

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (الآية ٩٦).

فإنّ لفظي: (آخر) و(مع الله) في الآية يدلّان على أن المقصود من الإله: معناه اللغوي: المطاع والمعبود، وجاء مطلقاً في معناه الاصطلاحي في آيات كثيرة أخرى من القرآن الكريم، والتي تحصر الألوهية في الله سبحانه.

واجمع القول في معنى الإله ما نقله ابن منظور في مادة (إله) من لسان العرب عن أبي الهيثم أنه قال:

قال الله عزّ وجلّ: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ. قال: ولا يكون إلهاً حتى يكون مَعْبُوداً، وحتى يكون لعباده خالقاً ورازقاً ومُدبِّراً، وعليه مقتدرأ، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عبّد ظلماً، بل هو مخلوق ومُتَعَبَّد.

الرَّبُّ

الرَّبُّ: من أهم المصطلحات الإسلامية، وفهمه ضروري لفهم كثير من الآيات القرآنية التي يدور البحث فيها حول الربوبية وما يتصل بها.

ونحن المسلمون نكرّر تلاوة الآية الشريفة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يومياً مع غفلة عن معناها، ولا يتّضح لنا معناها ومعنى كثير من الآيات القرآنية أمثالها ما لم يتّضح لنا معنى الرّبِّ، وعلى فهم معنى مصطلح (الرّبِّ) تتوقّف - أيضاً - معرفة توحيد الله ومعرفة الرّسول (ص) والوصيّ (ع) وأمثالها من مصطلحات عقائد الإسلام.

الرّبُّ في اللّغة:

قال الرّاعِبُ (ت: ٥٠٢ هـ):

الرّبُّ في الأصل التربية: وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام. فن مارس أمر تربية حيوان أو إنسان - منذ بداية وجودها حتّى يبلغا درجة الكمال في وجودهما - كان مربياً لهما، وأضاف أكثر علماء اللّغة إلى معنى المربيّ معنى التملك، أي إنّ الرّبَّ يملك المربوب^(١).

(١) ربّ كلّ شيء: مالكة. الصّحاح، للجوهريّ (ت: ٣٩٣ هـ) مادة: (ربّ). (١٣٠ / ١).

ربّ كلّ شيء: مالكة ومستحقّة: أي صاحبه، القاموس، للفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ)، (٧٣ / ١).

الرّبُّ: المالك، تفسير الكشاف (١ / ٥٣).

وقال الرَّاغِب: إِنَّ العرب أَسْتَعَارُوا لَفْظَةَ الرَّبِّ - المصدر - وَأَسْتَعْمَلُوهَا فِي اسمِ الْفَاعِلِ^(١)، وَبَنَاءٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فَإِنَّ رَبَّ الشَّيْءِ: هُوَ الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ الْمُرِيُّ لَهُ^(٢).

وَرَبُّ الدَّجَاجِ مَالِكُهُ وَمَنْ يَرْعَى بَيْضَ الدَّجَاجِ فِي الْحَقْلِ حَتَّى تَفْرَخَ، ثُمَّ يَطْعَمُ الْفَرَاخَ وَيَسْقِيهَا وَيَكْفَحُ أَمْرَاضَهَا حَتَّى تَبْلُغَ دَرَجَةَ الْكَمَالِ فِي وَجُودِهَا وَتَصْبِحَ كُلُّ مِنْهَا دَجَاجَةً بِالْفَتْةِ.

وكَذَلِكَ يَسْمَى مَالِكُ الْبَيْتِ رَبَّ الْبَيْتِ وَيَسْمَى - أَيْضاً - الْمُدَبِّرُ لِكُلِّ أُمُورِ الْبَيْتِ: رَبُّ الْبَيْتِ، وَيَقَالُ لِمُرِيٍّ كُلِّ شَيْءٍ: رَبُّ ذَلِكَ الشَّيْءِ.

وَبَنَاءٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَا يَكُونُ مَعْنَى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْخَلْقِ وَمُرَبِّهَا حَتَّى يَبْلُغَ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهَا

« وَيُطْلَقُ (الرَّبُّ) عَلَى مَالِكِ الشَّيْءِ، الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ، لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَيْتُومِيِّ (ت: ٧٧٠ هـ) (١ / ٢٥٩)، وَأَيْضاً رَاجِعَ لِسَانَ الْعَرَبِ، لِابْنِ مَنظُورٍ (ت: ٧١١ هـ)، وَالْقَامُوسَ الْمُحِيطَ، وَتَاجَ الْعُرُوسِ، لِلزَّبِيدِيِّ (ت: ١٢٠٥ هـ) ... الخ، وَأَحْيَاناً تَسْتَعْمَلُ لَفْظَةُ الرَّبِّ فِي جِزءِ الْمَعْنَى كَاسْتِعْمَالِهَا فِي الْمَالِكِ فَقَطْ، أَوِ الْمُدَبِّرِ فَقَطْ، وَهَذَا اسْتِعْمَالٌ مُجَازِي. (١) الْمَفْرَدَاتُ: مَادَّةُ: (رَبٌّ)، ص: ١٨٢، ط. طَهْرَان.

وَاللُّغَوِيُّونَ الْآخَرُونَ ذَكَرُوا كَلَامَ الرَّاغِبِ الْمَفْصَّلَ بِشَكْلِ مُخْتَصَرٍ، أَوْ بِأَلْفَاظٍ أُخْرَى، فَالْجَوْهَرِيُّ اسْتَعْدَمَ لَفْظَةَ الْإِصْلَاحِ وَالتَّرِييَةِ: (رَبُّ الضَّيْعَةِ: أَيِ أَصْلَحِهَا وَأَتَمَّهَا، وَرَبُّ فَلَانٍ وَلَدَهُ: أَيِ رَبَّاهُ) الصُّحَّاحُ (١ / ١٣٠)، وَالْفَيْتُومِيُّ اسْتَعْدَمَ لَفْظَةَ السِّيَاسَةِ وَالْقِيَامِ بِالتَّدْبِيرِ: «رَبُّ زَيْدٍ الْأَمْرُ رَبَّاهُ، مِنْ بَابِ قَتْلٍ، إِذَا سَاسَهُ وَقَامَ بِتَدْبِيرِهِ» الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ (١ / ٢٥٩).

(٢) رَاجِعَ أَيْضاً تَفْسِيرَ الْآيَةِ ٢ مِنَ السُّورَةِ الْأُولَى مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَكَذَلِكَ مَجْمَعُ الْبَيَانِ، لِلطَّبْرَسِيِّ (ت: ٥٤٨ هـ)، (١ / ٢١) فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَجَوَامِعُ الْجَمَاعِ (١ / ٦)، وَتَفْسِيرُ الْكَشَافِ، لِلزَّمَخْشَرِيِّ (ت: ٥٣٨ هـ)، (١ / ٨) ط. مِصْرَ، سَنَةِ: ١٣٧٣ هـ، وَالتَّنْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ (١ / ٣٣).

درجة كمال وجوده.

ويضاف الرَّبُّ إلى مربوبيه في الكلام في ما عدا الله، ويقال: رَبَّ الفرس، وربَّ الدجاج، وربَّ البيت. وإذا ورد لفظ الرَّبِّ في الكلام غير مضاف إلى شيء مثل قوله تعالى: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ (سبا / ١٥)، أريد بـ(الرَّبِّ) عندئذ: الله وحده جلَّ اسمه.

وقال الراغبُ:

إذا كان لمعنى اللفظ جزءان، استعمل تارة في الجزأين معاً، وأخرى في أحدهما منفرداً، مثل: المائدة، إسمًا للخبْز والطَّعام الذي عليه، فإنَّه يستعمل تارة في: الخبْز والطعام الذي عليه وأخرى في الخبْز وحده، أو في الطَّعام وحده^(١).

وفي ما نحن فيه يستعمل الرَّبُّ تارة في المالك المربِّي، وأخرى في المربِّي وحده، وأحياناً في المالك وحده.

ومع ملاحظة معنى الرَّبِّ وموارد استعماله في كلام العرب يتيسَّر لنا أن نعي معارك الأنبياء مع أمهم في ما يأتي.

ويظهر من أخبار الرُّسل مع أمهم في القرآن أنَّ جُلَّ الأمم وطواغيتها كانوا يؤمنون بأنَّ الله جلَّ اسمه هو خالق الخلق جميعاً، وإنَّما كان الخلاف في حصر الرُّبوبيَّة في الله سبحانه.

وإنَّما حكى الله مواجهة الأنبياء لأمهم وطواغيت زمانهم في الربوبية لندرك الصراع المائل لها في عصر خاتم الأنبياء (ص)، فقد روى المفسرون

(١) راجع لمعرفة القاعدة المذكورة، مادَّة: (فَزَّ) في مفردات الرُّغائب، ولمعنى المائدة المصدر نفسه، وسائر معاجم اللُّغة العربيَّة.

عن عَدِيٍّ بنِ حاتم (ت: ٦٨ هـ) قال: أتيتُ رسولَ الله (ص) وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي: يا عَدِيُّ! إطرح هذا الوثن من عنقك، قال: فطرحته ثم انتهيت إليه وهو يقرأ من سورة براءة هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ وَإِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَآدَمُ وَمَنْ فِي الْأَشْجَارِ أَكْثَرُ نَعْمًا﴾ حتى فرغ منها، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يحرمون ما أحلَّ الله فتحرمونه، ويحلّون ما حرم الله فتستحلّونه؟ قال قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم^(١).

وبناءً على ما ذكرناه فإنَّ أبرز معنى للرَّبِّ في القرآن الكريم إنما هو صفة تشريع الدِّين.



بعد فهم معنى الرَّبِّ وموارد استعماله في الكلام، ندرس في ما يأتي بحوله تعالى أخبار صراع الأنبياء مع أمهم ونقدّم خبر صراع الكليم مع جبار عصره فرعون لوضوح كيفة الصراع بينهما وتنوّعه.

أخبار الكليم موسى (ع) مع فرعون:

إنَّ فرعون مصر في تلك الأيام كان مالكا لمصر وجميع ما في مصر، وكان أيّ عامل في أيّ عمل إنما يعمل لفرعون وأجيراً لفرعون.

وبناءً على ذلك اجتمعت لفرعون جميع لوازم الرُّبوبيّة في ظاهر الأمر؛ فهو المنعم على جميع أهل مصر ما يحتاجون في حياتهم من المسكن والمأكل والملبس والحاجات الأخرى.

ومن أجل ذلك كان هو وأهل مصر معه يرون لفرعون الرُّبوبيّة عليهم،

(١) مجمع البيان (١ / ٢٣ - ٢٤)، وتفسير البرهان للسيد هاشم البحراني (ت: ١١٠٧ هـ)، (٢ / ١٢١)، والذّر المنثور للسيوطي (ت: ٩١١ هـ)، (٣ / ٢٣٠ - ٢٣١).

وحقّ تشريع القوانين لجميع من يعيش في مصر، ويرون أنّ على الجميع أن يطيعوا أوامره، ويدينوا بما يضع لهم من أنظمة لحياتهم^(١). وبناءً على ذلك إذا أمر باسترقاق بني إسرائيل لأهل مصر وذبح أبنائهم وأستحياء نسايتهم، وأنهم الأراذل في ذلك النظام الطبقي وأهل مصر الأقباط هم الأشراف كان ذلك حقاً ودينياً يجب أن يعملوا به تديناً، إذا فإنّ الرّبوبيّة التي كان يدّعيها فرعون مصر لم تكن أدّعاءً بالالوهيّة، بمعنى أنّه خالق السّنوات والأرض وما على الأرض، وإنما كان يدّعي ربوبيّة مصر وحدها.

أخبرنا الله تعالى عن ذلك بقوله جلّ شأنه لموسى وأخيه هارون:

﴿إِذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسَ لَكَ بِتَذَكُّرٍ أَوْ يَخْشَىٰ ۚ قَالَا رَبُّنَا إِنَّا نَخَافُ أَن يُقْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْفِئَ ۚ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَىٰ ۚ فَاثْبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ۚ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ﴾ (طه / ٤٣ - ٤٨)

ومن الطبيعي أنّ فرعون الذي لم يقبل بوجود ربّ له لا يقبل منها هذا الكلام. فسألها عن ربّها وقال: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ أي أنتم اللذان لم تقبلوا ربوبيّتي واعتبرتما غيري ربّاً تأخذون منه القوانين فمن هو هذا الرّب؟ فـ ﴿قَالَا رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه / ٥٠).

(١) فإنّه إذا كان للدّواجن بمصر ربّ يملكها ويربّيها ويطعمها ويضع نظام إعاشتها لتسير في حياتها نحو كمال وجودها، وكذلك للمزارع والحقول أرباب ومختلف المصانع أرباب، فإنّ فرعون الذي له ملك مصر وتجري الأنهار من تحته، هو فوق جميع أولئك الأرباب ورّهم الأعلى، فكيف واجه الكلّيم هذا الطّاغوت؟ وبأيّ منطق قابل تلّكم الإدّعاءات الطويلة العريضة؟

أي: إن ربنا هو الذي خلق جميع الخلق ثم تكفل ربوبيتها وهداها جميعاً
بربوبيته.

ولما رأى فرعون أن كلام موسى (ع) أدحض كل ما تشبّث به من الحجج
أمام قومه وخشي أن يقع كلام موسى في قلوب قومه، بادر بإلقاء الشبهات
في أذهانهم وقال: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (طه / ٥١)، فأجاب موسى (ع)
وركّز في الإجابة على ربوبية الخالق وقال: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ
رَبِّي وَلَا يُنْسَى﴾ (طه / ٥٢).

وتتابعت الحوادث ولجأ فرعون إلى حيلة أخرى لتحطيم منطق موسى
(ع) وسعى لتأليب الرأي العام وتهيج عواطف الناس ضده وخاطبه قائلاً:
﴿أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ﴿
(طه / ٥٧، ٥٨)، وجمع السحرة بأمر فرعون وأمرهم فرعون أن يواجهوا
موسى (ع)، ولما جابهوه بما عندهم من سحر إتضحت قدرة رب العالمين
وأبطل سحر السحرة، ولما كان أولئك السحرة أعلم بالسحر وحقيقته من
سائر الناس، سجدوا عند رؤية القدرة الإلهية وقالوا: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ
وَمُوسَى﴾ (طه / ٧٠)، حينما هددهم فرعون وخوَّفهم، جابهوه وأعلنوا
إيمانهم وقالوا:

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ
وَأَبْقَى﴾ (طه / ٧٣).

في هذه القصة نجد لفظ الرب يتكرّر عدّة مرّات، والطرفان يتحدّثان عن
الرب فيذكره موسى ويؤمن به السحرة ويرفضه فرعون.

وبذلك يتضح أن الصراع بين جهة الشيطان وجبهة الرحمن، بين محبي الله
وأعدائه، بين الأنبياء والطواغيت، غالباً ما كان حول الربوبية وحول من له

تشریع القوانين والحکم، كما نجد ذلك الصراع قبل موسى (ع) في سيرة النبي إبراهيم (ع)، كما أخبر سبحانه عنه وقال:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ (البقرة / ٢٥٨)

وسبب الصراع بين إبراهيم وغرود؛ هو أَنَّ اللَّهَ سبحانه كان قد أعطى غرود ملكاً وسلطاناً عظيمين ودفعته هذه القدرة الكبرى إلى الطغيان والكفر بربوبيَّة الله عزَّ وجلَّ، والصراع مع نبيِّ الله، إذ قال له النبيُّ إبراهيم (ع) كما حكى سبحانه وتعالى عن ذلك وقال:

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْحِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخْبِي وَأُمِيتُ﴾ (البقرة /

٢٥٨)، عندما أطلق غرود سراح من حكم عليه بالإعدام واعتبره إحياءً للميت، وأتى بآخر يمشي في السوق فأعدمه من غير ذنب، وبذلك القى الشبهة في قلوب الحاضرين بأنَّ البريء كان حيّاً فقتله وأماته، إذن فإن كان الرَّبُّ هو الذي يحيي ويميت فإنَّ غرود أيضاً يحيي ويميت، وأوشكت تلك الشبهة أن تنطلي على الجاهل ويصدقَّ زعم غرود ولكن النبيُّ إبراهيم (ع) عرض فوراً استدلالاً آخر كما حكى الله وقال:

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ

الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة / ٢٥٨)

فبهت غرود ولم يحجر جواباً.

كان ذلك نموذجاً من جهاد بطل التوحيد إبراهيم الخليل (ع).

وفي سبيل مجاهدة عبدة الكواكب والشمس والقمر، حضر إلى ناديهم وناقشهم وفق منطقهم منطقاً في حديثه من الأمور التي يؤمنون بها وبأسلوب يفهمون معه الحقَّ وتتمزق عنهم حجب الجهل، وكان الوقت ليلاً إذ رأى إبراهيم (ع) كوكباً ساطعاً ممَّا يعبدون فنظر إليه وقال: كما حكى ذلك

سبحانه وتعالى وقال :

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ . (الأنعام / ٧٦)

ومرّ الوقت وغاب الكوكب فقال إبراهيم كما حكى سبحانه عنه :

﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ . (الأنعام / ٧٦)

وتكرّر الأمر مع القمر كما قال سبحانه :

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ . (الأنعام / ٧٧)

وكذلك تدرّج في إفهامهم كما حكى الله عنه - أيضاً - وقال سبحانه :

﴿ فَلَمَّا رَأَى السَّنْسَنَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ . (الأنعام / ٧٨)

وهكذا رفض إبراهيم (ع) ربوبيّة كلّ آفل ، ولم يترك إبراهيم (ع) النّاس وشأنهم بل استمرّ الحوار بين الجانبين وأخبر الله عن ذلك وقال تعالى :

﴿ وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ قَالَ أَمْتَحِجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ . (الأنعام / ٨٦)

من الواضح أنّ قوم إبراهيم كانوا يعرفون الله ولكنهم كانوا يعتقدون أنّ الله شركاء في ربوبيّته وكان إبراهيم (ع) يجادلهم في شركهم بالله ، وفي واقعة أخرى واجه إبراهيم (ع) قومه عبدة الأصنام في ناديمهم وخاطبهم قائلاً :

﴿ ... مَا هَذِهِ السَّمَائِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ . (الأنبياء / ٥٢ - ٥٥)

وردّ عليهم إبراهيم قائلاً:

﴿بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ .
(الأنبياء / ٥٦)

ولمّا كانت عبادة قومه (أهل بابل) للكواكب والشمس والقمر نتيجة لاعتقادهم بتأثيرها في حياتهم، وأنّ بيد تلكم الموجودات تحديد المصير، الحسن أو السيئ للإنسان، اعتقدوا بأنّها أرباب مدبرة للعالم وأنّجهوا لعبادتها، أي إنّهم اتّصفوا بنوعين من الشرك، شرك في الرُّبوبيّة، وشرك في الألوهيّة. والنبيّ إبراهيم (ع) إستناداً إلى اعترافهم بخالقيّة الله تعالى ردّ شركهم في الرُّبوبيّة والألوهيّة.

وفي قصّة أصحاب الكهف؛ كانوا فتية آمنوا برّبهم في العصور الغابرة، ونهضوا في وجه طاغوت عصرهم، ولهجت ألسنتهم برّبوبيّة الله خالق السّموات والأرض كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم وقال:

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنُؤَدَّعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا...﴾ .
(الكهف / ١٤)

كان منطق الفتية المؤمنين أنّ هذا الشخص الذي ادّعى الرّبوبيّة وفرض على الناس طاعته والنظام الذي سنّه لحياتهم ليس برّبنا وليس لهذا الطاغوت حق التقنين وسنّ نظام لحياة الناس، بل إنّ ذلك لله ربّ السّموات والأرض. وعند دخول الإسلام إلى إيران حدثت مثل تلكم المواجهة فإنّ إيران كانت نموذجاً واضحاً لقيام ملوكها بسنّ القوانين وتشريع النظام لحياة البشر، وإنّ الرّسول الأكرم (ص) واجههم وأعلن أنّ التقنين وتعيين النظام للمجتمع البشري خاصّان بمقام الرُّبوبيّة ولا ربّ إلّا الله ربّ السّموات والأرض، وحقّ هو (نبيّ الإسلام) ليس له ذلك، بل هو مطيع مطلق لله تعالى، ومبلّغ

لتشريعه : كما يتّضح ذلك من الخبر الآتي :

أرسل الرسول (ص) كتاباً إلى ملك فارس [كسرى خسرو پرويز (ت : ٦٢٨ م)] فلما قرأ الكتاب شقّه ثمّ كتب كسرى إلى واليه على اليمن أن أبعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جليدين فليأتياني به . فأرسل الوالي ممثلين إلى الحجاز . فلما بلغا مدينة الرّسول (ص) دخلا على الرّسول (ص) وقد حلقا لحامهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما ثمّ أقبل عليهما فقال : ويلكما من أمركما بهذا ؟ قالوا أمرنا بهذا ربّنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله (ص) : لكن ربّي قد أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي^(١) .

نلاحظ هنا أنّ للرّبوبيّة دخلاً حتّى في هذه المسألة من التشريع .



كانت تلکم نماذج من تاريخ الرسالات السّماویّة التي تبین حقيقة الأمر في مواجهة الأنبياء (ع) لطواغيت عصرهم وعلّة الصراع بين أولياء الله وحزبه والأحزاب المخالفة لهم ، فالرّبانيّون - من جهة - يقولون : ليس هناك غير الله من يستطيع أن یسنّ نظاماً لحياة الإنسان ، فلا ربّ للإنسان سواه وهو ربّ العالمين ، والطواغيت - من جهة أخرى - يدّعون أنّ لهم حقّ سنّ القوانين المنظّمة لأمر البشر ، وكانت تلکم النماذج كلّها تبین مواجهة الرّسل والرّبانيين لطواغيت عصورهم في شأن الرّبوبيّة ، وفي ما يأتي نورد نوعاً آخر من صراع الأنبياء حول الرّبوبيّة ، وذلك في مواجهتهم للأحبار والرّهبان الذين كان لهم حقّ التمثيل الدّيني عند النّاس ، والأنبياء هنا أيضاً يجاهدون بالعزم والتصميم السابقين في كشف زيفهم وتدخلهم الباطل في تغيير الأحكام

(١) الطبريّ (ت : ٣١٠ هـ) (٢ / ٦٥٥ ، ٦٥٦) .

وتبديلها، وأنهم بذلك قد جعلوا أنفسهم أرباباً من دون الله، وقد تحدّث القرآن الكريم عن ذلك وقال:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. (التوبة / ٣١)

أوضحت الروايات التي وردت عن رسول الله (ص) وأهل البيت (ع) القصد من اتّخاذ النَّاسِ للأحبار والرّهبان أرباباً من دون الله، كما أوردناه في خبر عديّ بن حاتم مع رسول الله (ص) آنفاً والذي بيّن فيه رسول الله (ص) كيفيّة تدخّل رجال الدّين في الشريعة حينما وضعوا قوانين بشرية قائمة على الأهواء مكان الشرائع التي وضعها ربّ العالمين للبشر.

وهذه الحقيقة موجودة بين النّصارى حتّى اليوم؛ فالبابا (القائد الدّيني للمسيحيين) له حق تغيير تشريعات المذهب الكاثوليكي وهم يقبلون ذلك منه بدون تأمل، وتدّعي الكنيسة - على أساس الإنجيل الموجود - أنّ لها حق التشريع ويكون ما تصوّبه الكنيسة في الأرض مقبولاً في السّماء، كما نقرأ ذلك في إنجيل متى حيث يقول:

(أنت بطرس، وعلى هذه الصّخرة ابن كنيسة، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السّنوات، فكلّ ما تعقده على الأرض معقود في السّنوات، وما تحلّه في الأرض فهو حلال في السّماء)^(١).

ولمّا سمى القرآن أحبار النّصارى ورهبانهم أرباباً لأنّهم كانوا يشرّعون النظام لحياة البشر؛ فيحلّون ما حرّم الله ويمحرّمون ما أحلّ. بينما كان جهاد الأنبياء في سبيل أن يخضع البشر لربوبيّة الله وحده ولا يقبلون إلّا أوامره ويأخذون منه الحلال والحرام وهذه هي حقيقة الدّين.

(١) إنجيل متى، الإصحاح ١٦، عدد: ١٨ - ١٩.

وإنَّ الإنسان الذي أُجبر على أخذ حكم من جَبَّارٍ خلافاً لأحكام الله وعمل به وهو لا يعتقد به، في مثل هذه الحال لم يتَّخذ هذا الإنسان ذلك الجَبَّارَ رَبّاً له، وإنَّ اتَّخَاذَ بعض العباد بعضهم الآخر أرباباً لا يصدق إلا مع اختيار الإنسان في أخذ الأنظمة من الطاغية والعمل بها خلافاً لتشريع الله عزَّ وجلَّ، وفي مثل هذه الحال يكون الإنسان قد اتَّخذ المشرِّعَ رَبّاً، ومن باب المثال نجد كبير أساقفة المسيحية «بولس» يقول: «أنا بولس أقول لكم: إذا اختنتم لا ينفعكم المسيح في شيء»^(١)، وقَبِلَ النَّصَارَى منه ذلك بإختيارهم ولم يختنوا أولادهم، وكان يقول: إشبوا الخمر فهو جائز لكم وإنَّ الذين يسمح لكم، وقَبِلَ النَّصَارَى منه ذلك مختارين، ففي مثل هذه الحال كانوا قد اتَّخذوا القسس أرباباً لهم.

(١) قاموس كتاب مقدس، فارسي، مادة: (ختنه)، ص: ٣٤٣ عمود رقم: ٢،
ورسالة بولس إلى أهل غلاطية، الإصحاح ٦، العدد: ١٥.
التوراة تذكر الختن كحكم ديني. راجع التوراة سفر لاويين، الإصحاح ١٢، العدد: ١ - ٤. والمسيحية هي استمرار لليهودية، إذن هذا الحكم كان موجوداً في المسيحية الأولى غير المحرّفة وأزيل بعد ذلك على يد بولس.

ذو العَرْشِ وَرَبُّ العَرْشِ

مما جاء فيه ذكر عرش الله في القرآن الكريم المواضع التالية:

أ - في سورة هود:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَلْزَمَكُمُ آبَاكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ (الآية ٧).

ب - في سورة يونس:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ...﴾ (الآية ٣).

ج - في سورة الفرقان:

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْتَلِ بِهِ خَبِيرًا﴾^(١) (الآية ٥٩).

د - في سورة غافر:

﴿... الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبُّنَا وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (الآية ٧).

هـ - في سورة الزمر:

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ

(١) ورد نظيرها في سورة الأعراف (٥٤) والحديد (٤) والسجدة (٥).

يَنبَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (الآية ٧٥).

و - في سورة الحاقة :

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الآية ١٧).

الرَّحْمَنُ :

قال سبحانه :

أ - في سورة طه :

﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ (الآية ٩٠).

ب - في سورة الأنبياء :

﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ﴾ (الآية ١١٢).

ج - في سورة النبا :

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ (الآية ٣٧).

الرَّحِيمُ :

أ - قال سبحانه في سورة (يس) :

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ (الآية ٨٥).

ب - في سورة الشعراء :

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الآيات ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩).

(١٧٥، ١٩١).

ج - وجاء الإسمان كلاهما جميعاً في سورة الفاتحة في قوله تعالى :

﴿... رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الآيتان ٢ و ٣).

شرح الكلمات:

أ - العرش:

العرش، في اللغة شيء مُسَقَّف، وجمعه عروش، وسمي مجلس السلطان: عَرشاً، اعتباراً بعلوه، وكُنِيَ به عن العِزِّ، والسُّلْطَانِ، والمملكة، في لسان العرب: ثَلَّ اللهُ عَرْشَهُمْ أَيَّ هَدَمَ مُلْكَهُمْ^(١).

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

إذا ما بنوا مروان ثَلَّتْ عروشهم وأودت كما أودت إبادَ وحنيرَ
أراد إذا ما بنو مروان هلك ملكهم وبادوا^(٢).

ب - استوى:

جاء في مادة (سوى) بكلّ من:

أ) كتاب (التحقيق في كلمات القرآن)^(٣):

الإستواء يختلف باختلاف المواضع، ففي كل موضع بحسبه وعلى ما يقتضيه.

ب) مفردات الراغب:

استوى فلان على عبالته، واستوى أمر فلان، ومتى عُدِّيَ بعلٍ اقتضى معنى الاستيلاء كقوله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

(١) مادة: (العرش) من مفردات الراغب، والمعجم الوسيط، ومادة: (ثَلَّلَ) من لسان العرب.

(٢) البحار (٥٨ / ٧).

(٣) كتاب «التحقيق في كلمات القرآن»: تأليف الأستاذ حسن المصطفوي، ط.

طهران ١٤٠٠ هـ.

ج) المعجم الوسيط :

يقال استوى على سرير الملك، أو على العرش : تولى الملك .

كما قال الأخطل في مدح بشر بن مروان الأموي :

قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيفٍ أو دمٍ مهراق^(١)

(١) بشر بن مروان، أخو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وواليه على العراق سنة: ٧٤ هجرية، توفّي في البصرة.

راجع ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر.
وذكر شعره:

القاضي عبد الجبار في كتاب: تنزيه القرآن، ط. القاهرة ١٣٢٩ هـ، ص: ١٥٧ و ١٥٩.

وعبد الرحمن الأبيحي (ت: ٧٥٦ هـ) في كتابه: المواقف، ط. القاهرة ١٣٥٧ هـ، ص: ٢٩٧، وفيه ورد: عمرو بدل بشر.

الكرسيّ

الكرسيّ في اللغة: السرير والعلم.

روى الطبري والقرطبي وابن كثير عن ابن عباس واللفظ من الطبري بإيجاز أنّه قال كرسِيّه عِلْمُهُ.

قال الطبري: كما أخبر عن ملائكته أنّهم قالوا في دعائهم: رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فأخبر تعالى ذكره أنّ علمه وسع كل شيء، فكذلك قوله وسع كرسِيّه السنوات والأرض، قال: وأصل الكرسي العلم، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب: كراسة.

ومنه يقال للعلماء الكراسي.

ومنه قول الزجاج: (حتى إذا ما احتازها تكرّسا) يعني: علم.

ومنه قول الشاعر:

تحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين تنوب
يعني بذلك علماء بحوادث الأمور - انتهى ما نقلناه عن الطبري.

وحكى الله عن إبراهيم (ع) أنّه قال لقومه:

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾. (الأنعام / ٨٠)

وعن شعيب (ع) أنّه قال لقومه:

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾. (الأعراف / ٨٩)

وعن موسى (ع) أنّه قال للسامري:

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾. (طه / ٩٨)

وقال الإمام الصادق (ع) السادس من أوصياء الرسول (ص) في جواب من سألته عن قوله تعالى:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ . (البقرة / ٢٥٥)

قال: علمه^(١).

وانَّ الكرسيَّ جاء في القرآن الكريم - أيضاً - بمعنىين:

أ - بمعنى السرير، كما جاء في قوله تعالى في قصّة سليمان:

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّه جَسَداً﴾ .

ب - بمعنى العلم، كما جاء في قوله تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ . (البقرة / ٢٥٥)

ومجيئه في هذه الجملة بعد علمه يدلّ على أنَّ المقصود من كرسيّه، علمه

تعالى. ويكون معنى الجملة عندئذ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلّا بما شاء وسع علمه السموات والأرض.

وعلى هذا فإنّ معنى بعض الروايات أنَّ (كلَّ شيءٍ في الكرسي) أي إنّ كل

شيءٍ في علم الله.

(١) توحيد الصدوق، ص ٣٢٧، باب معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

الله (جَلَّ جَلَالُهُ)

اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ، اسمٌ لِلَّهِ الْخَالِقِ، وَالرَّبِّ الْمَرْبِيِّ وَالرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَيِّ الْقَيُّومُ إِلَى آخِرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى. وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ حَيْثُ يَقُولُ:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. (الأعراف / ١٨٠)

وَبِنَاءٌ عَلَى ذَلِكَ فَعِنْدَمَا نَقُولُ:

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

نَعْنِي:

أَنَّ لَا خَالِقَ وَلَا مَعْبُودَ إِلَّا الَّذِي هُوَ رَبُّ وَرَحْمَنٌ وَرَحِيمٌ وَحَيٌّ وَقَيُّومٌ إِلَى آخِرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى.

وَأَخْطَأَ مِنْ عُلَمَاءِ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ (اللَّهُ) أَصْلُهُ (إِلَهٌ) الَّذِي هُوَ إِسْمُ جِنْسٍ لِلْإِلَهِ، وَدَخَلَتْ عَلَيْهَا الْأَلْفُ وَاللَّامُ لِلتَّعْرِيفِ وَصَارَ (الْإِلَه) ثُمَّ حَذَفَتْ الْأَلْفُ وَأُدْغِمَ اللَّامَانِ فَصَارَ (اللَّهُ)^(١). وَعِنْدُنَا يَكُونُ (إِلَهٌ) وَ(اللَّهُ) مِثْلَ (رَجُلٌ) وَ(الرَّجُلُ) الْأَوَّلَانِ مِنْهُمَا إِسْمَانِ جِنْسٍ لِكُلِّ آلَهِةٍ وَلِكُلِّ الرَّجَالِ، وَالثَّانِيَانِ مِنْهُمَا عَرَفَا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ وَبِهِمَا شَخْصَ الرَّجُلِ الْمَقْصُودِ وَالْإِلَهَ الْمَقْصُودَ. وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) يَكُونُ: لَا إِلَهَ إِلَّا الْإِلَهُ الَّذِي أَقْصَدَهُ وَأَعْنِيهِ.

لَقَدْ أَخْطَأَ الْقَائِلُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ، فَإِنَّ لَفْظَ (اللَّهُ) عِلْمٌ مَرْتَجِلٌ بِإِصْطِلَاحِ

(١) رَاجِعْ مَادَّةَ: (أَلَه) مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ (ت: ٧١١ هـ)، وَ«التَّحْقِيقُ فِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ» لِمَسْنِ الْمِصْطَفَوِيِّ الْمَعَاصِرِ، وَتَفْسِيرُ الْبِسْمَلَةِ مِنْ تَفْسِيرِ الْمِيزَانِ لِلْسَيِّدِ الطَّبَاطِبَايِ (ت: ١٤٠٤ هـ).

النحويين سُمِّيَ به الذات الذي صفاته جميع الأسماء الحسنَى ، ولا يشاركه في التسمية غيره ، كما لا يشاركه غيره في الألوهيَّة والرُّبوبيَّة .

وكذلك الأمر في اللُّغة العبريَّة ، فإنَّ (يهوه) إسمُ الله وحده ، و(إله) بمعنى (إله) و(إلهيم) بمعنى الآلهة^(١) .

وعلى ما تقدَّم من بحث يكون معنى (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) :
أ - (بِسْمِ) أي : بحقيقة ، بصفات .

ب - (الله) ذاتُ الباري المتَّصف بجميع أسماء الله الحسنَى .

ج - (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) خُصَّصا بالذكر من صفات ربوبيَّة الله .

إذاً ، يكون المعنى : أستمعين في تلاوة السورة برحمنيَّة الله الرَّبِّ ورحيميَّة .
وفي إيراد أَلْبَسْمَلَةَ أوائل السور براعة استهلال ، لأنَّ جميع السور القرآنيَّة تشرح جوانب من ربوبيَّة الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وتبيِّنها ، عدا سورة براءة التي لم يُبدأ فيها بالبَسْمَلَةِ .

(١) راجع استعمالات الكلمات في التوراة العبريَّة ، ومادَّة : (يهوه) في : «قاموس - كتاب مقدَّس» (فارسي) .

القيوم

من أسماء الله الحسنى ولا يوصف به سوى الله ومعناه: القائم المحافظ لكل شيء والمعطي له ما به قوامه.

الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ

الرَّحْمَنُ مِنَ الْإِنْسَانِ: رَقَّةٌ قَلْبٍ وَتَعَطُّفٌ عَلَى الْمَرْحُومِ، وَمِنْ اللَّهِ: إِنْعَامٌ وَإِفْضَالٌ عَلَيْهِ.

وَالرَّحِيمُ يَدُلُّ عَلَى دَوَامِ اتِّصَامِ الرَّاجِمِ بِالرَّحْمَةِ، وَيُوصَفُ الْبَارِي - عَزَّ وَجَلَّ - بِالرَّحِيمِ لِاسْتِمْرَارِ صُدُورِ الرَّحْمَةِ مِنْهُ، وَيُوصَفُ بِهَا الْإِنْسَانُ الَّذِي يَرِقُّ قَلْبُهُ عَلَى الدَّوَامِ.

وَالرَّحْمَنُ يَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ صُدُورِ الرَّحْمَةِ مِنَ الرَّاجِمِ وَلَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ مَعْنَاهُ لَا يَصِحُّ إِلَّا لَهُ، إِذْ هُوَ الَّذِي وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً، وَعَمَّتْ رَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَدَامَتْ رَحْمَتُهُ بِالْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهُوَ رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَرَحِيمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ.

وَبِمَا أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَمُرَبِّي الْعَالَمِينَ وَمُدَبِّرُ أَمْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ فَهُوَ رَحْمَنُ الدُّنْيَا، وَبِمَا أَنَّهُ يَجْزِي الْمُؤْمِنِينَ بِمَحْسَنَاتِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ رَحِيمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ.

إِذَا فَبَانَ الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ هُمَا مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ وَهِيَ وَالرَّبُّ وَالْإِلَهُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ جَلَّ أَسْمُهُ.

الْعِبَادَةُ

في مفردات القرآن للزَّاعِب: الْعُبُودِيَّةُ: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها.
وفي القاموس المحيط للفيروزآبادي: عبد عبادة وعبودة وعبوديَّة: أطاع.
وفي الصَّحاح للجوهري: أصل العبوديَّة: الخضوع والتذلل والعبادة والطاعة.

بناءً على ما ذكروا يكون لـ «عبد عبادة» معنيان:

أ - خضع وتذلل وأجرى الطقوس الدينيَّة.

ب - أطاع.

وبالمعنى الثاني ورد في حديث الإمام الصَّادق (ع)، (ت: ١٤٨ هـ) في قوله:

«من أطاع رجلاً فقد عبده»^(١).

وفي رواية الإمام الرضا (ع)، (ت: ٢٠٣ هـ) عن جدّه الرّسول (ص) أنّه قال:

«من أصفى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس»^(٢).

(١) أصول الكافي، للكليني (ت: ٣٢٩ هـ)، (٢ / ٣٩٨).

(٢) عيون أخبار الرضا (١ / ٣٠٣)، ووسائل الشيعة للحرّ العاملي (ت: ١١٠٤ هـ).

(١٨ / ٩٢) الحديث ١٣.

وعلى هذا يكون معنى:

عبادة الإله الخالق جلّ وعلا: إجراء الطّقوس الدّينية له مثل إقامة الصّلاة وأداء مناسك الحجّ وصيام شهر رمضان. وعبادة الأصنام: إجراء الطّقوس الدّينية لها.

وعبادة الرّب: إطاعة الرّب، لأنّ الرّب هو المربّي الذي يسنّ نظام الحياة لمن يرّيه. فعن قولنا لرّب العالمين: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ»: نطعم أوامرنا لهدايتنا إلى الصّراط المستقيم.



مُصْطَلَحَات النّبوة

- الوحي
- النّبيّ
- الرّسول
- خليفة الله
- الأئمّة المُبلّغون
- الصّحابيّ والصّاحب

الوحي ونزوله

أ - الوحي في اللغة والمصطلح الإسلامي:
في اللغة:

أوحى إليه وله: أشار وأوماً، وكلمه بكلام خفي يخفى على غيره، وأمره، وألمه، وأوحى فلان الكلام إلى فلان: ألقاه إليه^(١).

في المصطلح الإسلامي:

الكلمة الإلهية التي يلقيها إلى أنبيائه ورسله بواسطة ملك يشاهده الرسول ويسمع كلامه، كتبليغ جبرئيل لخاتم الأنبياء (ص) أو سماع كلام الله من غير معاينة، كسماع موسى كلام الله.

أو بالرؤيا في المنام كما أخبر الله عن قول إبراهيم لابنه إسماعيل في سورة الصافات:

﴿إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ أَنِّي أُذْجَبُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الآية ١٠٢).

أو بأنواع أخرى من الوحي يعلمه الله وتدركه رسله صلوات الله عليهم أجمعين.

ومن موارد استعماله في المصطلح الإسلامي في القرآن الكريم قوله تعالى:

(١) مصدرنا في ما نذكر من معاني المصطلحات:

أ - مفردات القرآن للأصبهاني. ب - معجم ألفاظ القرآن الكريم.

أ - في سورة النساء :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ (الآية ١٦٣).

ب - في سورة الشورى :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الآية ٧).

ج - في سورة المؤمنون :

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا ﴾ (الآية ٢٧).

د - في سورة الأعراف :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (الآية ١١٧).

﴿ ... وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ... ﴾ (الآية ١٦٠).

ب - نزول الوحي وتنزيله :

١ - نزل نزولاً : انحطّ من علو إلى سفلى مكاناً أو معنى ، ونزول الكتب السماوية بلوغها إلى من أنزلت عليه .

٢ - تنزل تنزلاً : نزل في تمهل وتدرج .

٣ - أنزله نزولاً ونزله تنزيلاً : جعله ينزل ، والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أنّ التنزيل يخصّ بالموضع الذي يشير إلى إنزاله ويكون التنزيل تدريجياً بينما الإنزال عام .

ومثال النزول من الأعلى مكاناً إلى الأسفل قوله - تعالى - في سورة

النحل :

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَتَ بِهِ الْأَرْضَ﴾ (الآية ٦٥).

ومثال النزول المعنوي وبلوغ الكتب السماوية إلى من أنزلت عليه قوله تعالى:

أ - في سورة الشعراء:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (الآيتان ١٩٣ و ١٩٤).

ب - في سورة طه:

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ (الآية ٢).

ومثال التنازل في تمهل وتدرج قوله تعالى في سورة فصلت:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ (الآية ٣٠).

ومثال الاختصاص بالموضع الذي يشير إلى إنزاله قوله تعالى:

أ - في سورة الأنعام:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الآية ٧).

ب - في سورة الأنعام:

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ...﴾ (الآية ١١١).

ومثال الانزال التدريجي قوله تعالى في سورة الإسراء:

﴿وَفَرَّانَا فَرقَهُاءُ لِنَفْقَرَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنُنَزِّلُهَا تَنْزِيلًا﴾ (الآية ١٠٦).

وجاء في القرآن نزل وأنزل بمعنى أوحى في قوله تعالى:

أ- في سورة البقرة:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَآخِرَةَ هُمْ
يُوقِنُونَ﴾ (الآية ٤).

ب - في سورة آل عمران:

﴿وَأُنْزِلَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ﴾ (الآيتان ٣
و ٤).

ج - في سورة يوسف:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الآية ٢).

د - في سورة الإنسان:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (الآية ٢٣).

هـ - و (نزل به) في قوله تعالى في سورة الشعراء:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ
مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الآيات ١٩٢ - ١٩٥).

كما جاء أوحى بمعنى نزل وأنزل في قوله تعالى:

أ - في سورة الشورى:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الآية ٧).

ب - في سورة الأنعام:

﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (الآية ١٩).

والوحي والإنزال من الله قد يكون معناه ولفظه وكتابه من الله سبحانه
وينزله الله مرة واحدة على رسوله كما كان شأن التوراة حيث قال الله سبحانه
في سورة الأعراف:

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَا حِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾.

وقد يكون لفظه ومعناه من الله وينزل متدرّجاً على الرّسول (ص) كما قال سبحانه في وصف القرآن :

أ - في سورة المزمل :

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ .

ب - في سورة الإسراء :

﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ .

وقد يوحي الله المعنى إلى رسوله ويبلغ الرّسول (ص) المعنى بلفظه وهو بعض من سنّة الرّسول أي حديثه كما روى الدارمي بسنده وقال :

« كان جبريل ينزل على رسول الله بالسنة كما ينزل بالقرآن »^(١).

وكذلك كان الله يوحي إلى الرّسول (ص) ببيان الآيات مع إنزال الآيات كما أخبر الله تعالى عن ذلك في سورة القيامة حيث قال تعالى :

﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قُرْآنُهُ قَاتِبٌ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ .

خلاصة البحث :

أولاً - الوحي :

الوحي في المصطلح الإسلامي كلمة الله - جلّ اسمه - التي يلقيها إلى أنبيائه ورسوله بسماع كلام الله - جلّ جلاله - دونما رؤية الله - سبحانه - مثل تكليمه موسى بن عمران (ع) ، أو بنزول ملك يشاهده الرّسول ويسمعه مثل تبليغ جبرائيل (ع) لخاتم الأنبياء (ص) ، أو بالرؤيا في المنام مثل رؤيا إبراهيم (ع) في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل (ع) ، أو بأنواع أخرى لا يبلغ إدراكها علمنا .

(١) سنن الدارمي (١ / ١٤٥) ، المقدّمة ، باب السنّة قاضية على القرآن .

ثانياً - نزول الوحي :

أنزل الله وحيه وكتابه ونزله : جعله ينزل .

وإنزال القرآن والملائكة إلى محل نزوله مثل قلب النبي ، والتنزيل : إنزال تدريجي للوحي أو الكتاب والإنزال عام .

والتنزل : نزول في تمهل وتدرج .

واستعمل نزل وأنزل في القرآن الكريم بمعنى أوحاه ، وكذلك العكس .

ثالثاً - ما أوحى الله إلى رسله :

ينقسم ما أوحى الله إلى رسله إلى قسمين :

أ - ما أوحى إليهم لفظه ومعناه وكان ذلك شأن كتبه التي أنزلها إلى رسله وآخرها القرآن الكريم .

ب - ما أنزل الله المعنى وبلغته رسله بلفظهم وهذا ما يسمى بالمصطلح الإسلامي سنة الرسول ومن جعلتها أحاديث الرسول (ص) في تفسير آي القرآن وبيان مجملها ومتشابهها .

النَّبِيُّ وَالنَّبُوءَةُ

النَّبُوءَةُ فِي اللُّغَةِ: الرَفْعَةُ وَعُلُوُّ الْمَنْزِلَةِ، وَوَرَدَ النَّبِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ (الآيَةُ ٧٩).

نظيراً لِمَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَقَسِماً لَهَا.

إِذَا فَالْنَّبُوءَةُ مَنْزِلَةٌ خَاصَّةٌ فَضَّلَ النَّبِيُّ بِهَا بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَقُرْبِ الْمَنْزِلَةِ مِنَ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ النَّبِيَّ مَنْ أُوتِيَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ، وَهِيَ الْمَقْصُودَةُ فِي خُطَابِهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ وَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ (الآيَةُ ٤٥).

فَإِنَّ الْمَعْنَى: يَا ذَا الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ... الخ.

وكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ:

﴿أَلَنْبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الآيَةُ ٦).

وَالنَّبِيُّ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ...﴾ (الآيَةُ ١٦٦).

إِذَا فَالنَّبِيُّ مُصْطَلَحٌ إِسْلَامِيٌّ بِمَعْنَى: إِنْسَانٌ ذِي مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ عِنْدَ اللَّهِ يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَقَدْ يَبْعَثُ اللَّهُ الرَّبُّ النَّبِيِّينَ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِهَدَايَةِ النَّاسِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ (الآية ٢١٣).

وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ أَي: إِنَّ اللَّهَ الرَّبَّ أَنْزَلَ الْكِتَابَ مَعَ مَنْ كَانَ مِنَ النَّبِيِّينَ، وليس المقصود أَنَّ الرَّبَّ أَنْزَلَ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ كِتَابًا.

ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ فَضَّلَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ:

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ (الآية ٥٥).

وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ إِلَى النَّاسِ مِنَ النَّبِيِّينَ كَالَّذِي بَيَّانَهُ.

الرَّسُولُ

الرَّسُولُ: حامل الرِّسَالَةِ، وهو وسيلة هداية الرَّبِّ لِلنَّاسِ، وله شرف الوساطة بين الرَّبِّ والمُربوبين من البشر، ومرسل برسالة خاصَّة إليهم، ويختاره الله مَنْ أُرْسِلَ إليهم ومن أهل لغتهم كما قال سبحانه وتعالى في سورة إبراهيم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾ (الآية ٥).

وفي قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (في سورتي الأعراف ٦٥، وهود ٤٥).

وفي قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ (في سور: الأعراف ٧٣، وهود ٦٦، والنمل ٤٥).

وفي قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (في سور: الأعراف ٨٥، وهود ٨٤، والعنكبوت

٣٦).

وإنَّ الحكمة في ذلك واضحة: ليتقوى برهطه في أداء التبليغ كما حكى الله

تعالى في سورة هود عن قوم شعيب أنهم قالوا لشعيب:

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ (الآية ٩١).

ويرسل الرَّبُّ الرِّسَالَ هداية النَّاسِ وإتماماً للحِجَّة عليهم كما قال سبحانه

في سورة النَّسَاء:

﴿وَرُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾

(الآية ١٦٥).

وقال تعالى في سورة الإسراء:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الآية ١٥).

وقال عزّ اسمه في سورة يونس:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ﴾ (الآية ٤٧).

وتستحق الأمم التي تعصي الرسول عذاب الدّنيا والآخرة كما أخبر

سبحانه عن فرعون ومن قبله وقال في سورة الحاقة:

﴿فَقَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ (الآية ١٠).

وتكون معصية الرسول معصية الله الربّ، كما قال سبحانه في سورة الجن:

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (الآية ٢٣).

وأختار الله الرّسل من الأنبياء، وكان عدد الرّسل أقلّ من عدد الأنبياء

كما ورد ذلك في ما رواه أبوذر وقال:

[... فقلت: يا رسول الله (ص) ! كم هي عدّة الأنبياء؟

قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرّسل من ذلك: ثلاثمائة وخمسة

عشر، جمّاً غفيراً»] (١).

وبناءً على ما ذكرناه فإنّ كلّ رسول نبيّ، وليس كلّ نبيّ رسولاً مثل اليسع

(ع) فإنّه كان نبيّاً ووصيّاً للكليم موسى بن عمران (ع).

ومن الرّسل من جاء بشريعة ناسخة لبعض ما في الشريعة السابقة من

المناسك، كما كان شأن شريعة موسى (ع) بالنسبة إلى الشرائع السابقة على

(١) مسند أحمد: (٥ / ٢٦٥ و ٢٦٦)، وتفصيل أوفى في معاني الأخبار للصدوق

ص: ٩٥، والحاصل للصدوق (٢ / ١٠٤)، والبحار (١١ / ٣٢ ح ٢٤)، واللفظ لأحمد.

شريعته ، ومنهم من جاء بشريعة متممة ومجددة للشريعة السابقة كما كان شأن شريعة خاتم الأنبياء (ص) بالنسبة إلى حنيفية إبراهيم الخليل (ع) كما قال سبحانه وتعالى في سورة النحل :

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا...﴾ (الآية ١٢٣).

وقال تعالى في سورة المائدة :

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (الآية ٣).

خليفة الله في الأرض

١ - في المصطلح الإسلامي :

ورد «خليفة الله في الأرض» في المصطلح الإسلامي بمعنى من أصطفاه الله من البشر وجعله إماماً للناس وحاكماً.

وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (الآية ٣٠).

وفسر بعضهم الآية بأن الله تعالى جعل آدم (ع) خليفته في الأرض؛ وفسرها آخرون بأن الله تعالى جعل نوع الإنسان خليفته في الأرض، ويؤيد التفسير الأوّل قوله تعالى في سورة (ص) :

﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ...﴾ (الآية ٢٦).

فإنه لو كان معنى الآية الأولى : إنّ الله جعل نوع الإنسان خليفته في الأرض فلا معنى عندئذ لتخصيص داود (ع) بمجعله خليفة الله في الأرض من بين نوعه الإنساني الذي كان الله قد جعله خليفته في الأرض قبل داود (ع) ومع داود (ع) وبعده.

وقد أستعمل خليفة الله بهذا المعنى في روايات أئمة أهل البيت (ع) ^(١).

جعل الله خلفاءه أئمة للناس :

وقد جعل الله تعالى خلفاءه في الأرض أئمة للناس وآتاهم الكتاب

(١) راجع البحار (٢٦ / ٢٦٣) الحديث (٤٧) نقلاً عن كنز الفوائد للكراجكي .
والكافي (١ / ٢٠٠) . ومن لا يحضره الفقيه (٢ / ٣٦٩ و ٣٧١).

والتَّبَوَّةُ، كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب في سورة الأنبياء وقال:

﴿... وكَلَّا جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمةً يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعلَ الخَيْرَاتِ وإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الآيتان ٧٢ و٧٣).
وقال جلَّ ذكره في سورة الأنعام:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ... * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ... * وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ... وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ... * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالتَّوْبَةَ﴾ (الآيات ٨٣-٨٩).

إِذَا فَإِنَّ مَنْ جَعَلَهُ اللهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ، جَعَلَهُ - أَيْضًا - إِمَامًا لَهُمْ يَهْدِيهِمْ بَكِتَابِ اللهِ وَيُبَلِّغُهُمْ شَرِيعَتَهُ. وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ أَهْمُ وَظَائِفِ خُلَفَاءِ اللهِ التَّبْلِيغِ. كما ورد التصريح بذلك في قوله تعالى:

أ - في سورة النحل:

﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (الآية ٣٥).

ب - في سورة النور (الآية ٥٤) وسورة العنكبوت (الآية ١٨):

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

ج - وأمثالهما في سور:

آل عمران (الآية ٢٠)، والمائدة (الآيتان ٩٢، ٩٩)، والرعد (الآية ٤٠)، وإبراهيم (الآية ٥٢)، والنحل (الآية ٣٥)، والشورى (الآية ٤٨)، والأحقاف (الآية ٣٥)، والتغابن (الآية ١٢).

ثم إنه لا يبلغ عن الله عز وجل إلا رسول يوحى إليه، أو وصي عيّنه الله لذلك. كما نجد مثلاً له في خبر تبليغ الآيات العشر الأولى من سورة براءة كالاتي تفصيله.

أ - في مسند أحمد وغيره واللفظ لمسند أحمد قال:
«عن علي قال:

لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي (ص) دعا النبي (ص) أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة، ثم دعاني النبي (ص) فقال لي:
أدرك أبا بكر، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله! نزل في شيء؟ قال: لا. ولكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤذي عنك إلا أنت أو رجل منك»^(١).

ب - في تفسير السيوطي عن أبي رافع قال:

بعث رسول الله (ص) أبا بكر (رض) ببراءة إلى الموسم، فأتى جبرئيل (ع) فقال: إنه لن يؤذيها عنك إلا أنت أو رجل منك، فبعث علياً (رض) على أثره حتى لحقه بين مكة والمدينة فأخذها فقرأها على الناس في الموسم^(٢).

ج - وفي رواية أخرى عن سعد بن أبي وقاص قال:

«إن رسول الله (ص) بعث أبا بكر (رض) ببراءة إلى أهل مكة، ثم بعث علياً (رض) على أثره فأخذها منه. فكان أبا بكر (رض) وجد في نفسه فقال

(١) مسند أحمد (١/ ١٥١)، وتحقيق أحمد محمد شاكر (٢/ ٣٢٢) الحديث ١٢٩٦، وفي الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٢٠٩)، وفيه عن أنس بن مالك وسعد بن أبي وقاص، وجاء في لفظ سعد: «... فكان أبا بكر (رض) وجد في نفسه فقال النبي (ص) يا أبا بكر! إنه لا يؤذي عني إلا أنا أو رجل مني».

(٢) تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٢١٠).

النبي (ص) يا أبا بكر! إنه لا يؤدّي عني إلا أنا أو رجل مني»^(١).

في هذا الخبر أرسل الرسول (ص) صحابته أبا بكر لتبليغ عشر آيات من صدر البراءة إلى المشركين في حجّ العام التاسع للهجرة، فأثناء جبرئيل - أمين وحي الله - وقال له: إنه لن يؤدّيها عنك إلا أنت أو رجل منك. أي إن تبليغ عشر آيات من سورة البراءة للمخاطبين بها مباشرة وظيفة تبليغية خاصّة بالرسول، ولن يؤدّي هذه الوظيفة عن الرسول إلا هو أو رجل منه وهو عليّ ابن أبي طالب وصيّته على شريعته. كما ستأتي الروايات في تعيين الوصي للرسول (ص) في بحث الوصيّة إن شاء الله تعالى، ومن ثمّ ندرك أنّ التبليغ عن الله مباشرة ووظيفة وولاية للرسول ووصيّته.

يؤتي الله خلفاءه ما يعجز عنه البشر

أحياناً تقتضي حكمة الله أن يأتي خليفته - الذي جعله إماماً للناس ومبلغاً لكتابه وشريعته - بآية تدلّ على صدقه في ما يبلغ عن الله، وتسمّى تلك الآية في العرف الإسلامي بالمعجزة؛ لعجز البشر عن الإتيان بمثلها.

كما أخبر الله تعالى عن بعض ما أتى به رسوله موسى وعيسى (ع) وقال في خبر ما أتى به كليمه موسى (ع):

أ - في سورة الأعراف:

﴿فَأَتَىٰ عَصَاءَ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (الآية ١٠٧).

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضٌ لِلنَّازِرِينَ﴾ (الآية ١٠٨).

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الآية

١١٧).

(١) تفسير الدرّ المنثور للسيوطي (٣ / ٢٠٩).

﴿وأوحينا إلى موسى إذ أَسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ (الآية ١٦٠).

ب - في سورة الشعراء :

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (الآية ٣٢).

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الآية ٤٥).

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الآية ٦٣).

وأخبر جلّ ذكره عما آتى رسوله عيسى بن مريم (ع) في سورة المائدة، فقال تعالى :

﴿... إِذْ أَيْدَتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَنَاءٌ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي...﴾ (الآية ١١٠).

وفي سورة آل عمران حكى عن عيسى (ع) أنّه قال :

﴿... وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ...﴾ (الآية ٤٩).

وأخبر تعالى عن ما آتى داود وسليمان الوصيين على شريعته في سورة الأنبياء وقال عزّ اسمه :

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ...﴾ (الآية ٧٩).

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ...﴾ ومن الشياطين من يفوضون له ويعملون عملاً دون ذلك... ﴿ (الآيتان ٨١ و ٨٢).

وليس من الضروري أن يؤتي الله جميع الأنحة جميع المعجزات كما لم يذكر

سبحانه عن هود ولوط وشعيب أنه آتاهم معجزات موسى وعيسى وداود وسليمان صلوات الله عليهم أجمعين، وكذلك لم يَكُنِ النَّاسُ بعض الرُّسل من أن يحكموا بينهم بالعدل، كذلك لم يتسنَّ للرَّسول موسى (ع) ولخاتم الرُّسل محمد (ص) أن يحكما بين النَّاسِ في أوَّل أمرهما، بينما هم أئمة خلفاء منذ بدء تكليفهم بالتبليغ. إذا فإنَّ الخلافة والإمامة ملازمان لتعيين الله صفيّاً من أصفائه لتبليغ كتابه ودينه، وليستا ملازمين للحكم بين النَّاس وإتيان المعجزات. وبناءً على ذلك فإنَّ خليفة الله هو المبلِّغ عن الله. كان ذلكم معنى خليفة الله في كتاب الله.

وورد معنى خليفة الرُّسول (ص) في حديث الرُّسول (ص) كالاتي: «اللَّهُمَّ أرحم خلفائي، اللَّهُمَّ أرحم خلفائي، اللَّهُمَّ أرحم خلفائي». قيه له: يا رسول الله! من خلفاؤك؟

قال: «الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي»^(١).

إذا فإن خليفة الله هو الذي عيّنه الله لتبليغ شريعته، وخليفة الرُّسول هو الذي يقوم بتبليغ حديث الرُّسول وسنته من تلقاء نفسه. كذلك أستعمل مصطلحا خليفة الله وخليفة الرُّسول في الكتاب والسنة واستعملا في مصطلح المسلمين كالاتي بيانه:

٢ - الخليفة وخليفة الله في مصطلح المسلمين:

مرّ بنا في بحث معنى الخليفة اللغوي أن أبا بكر كان يسمّى بخليفة رسول الله (ص) وعمر بخليفة خليفة رسول الله (ص)، وأنه سُمّي بعد ذلك بأمر المؤمنين، وبقي ذلك متداولاً إلى آخر الخلفاء العثمانيين، وإلى جانب ذلك سُمّي الحاكم الإسلامي الأعلى بما يأتي:

(١) راجع مصادره في المجلد الثاني من معالم المدرستين، ط ٣، ص ٥٨ - ٥٩.

أ - في العصر الأموي والعباسي :

تعارف أتباع مدرسة الخلفاء منذ العصر الأموي وإلى العصر العباسي على تسمية الحاكم الأعلى بخليفة الله .

فقد قال الحجاج في خطبة صلاة الجمعة :

فاسمعوا وأطيعوا الخليفة الله وصفيّه عبد الملك بن مروان^(١) .

ولمّا قيل في مجلس المهديّ العباسيّ : إنّ الخليفة الأموي الوليد كان زنديقاً ، قال المهدي :

خلافة الله عنده أجلّ من أن يجعلها في زنديق^(٢) .

وأشتهر ذلك على لسانهم في العصر الأموي والعصر العباسي ، وورد ذكره في شعر الشعراء ، كما قال جرير في قصيدة أنشدها في الخليفة عمر بن عبدالعزيز وقال :

خليفة الله ماذا تأمرون بنا لسنا إليكم ولا في دار منتظر^(٣)

وإنّ عمر بن عبدالعزيز مع أشتهاره بالتدين لم ينكر ذلك من قول جرير .

وقال - أيضاً - مروان بن أبي حفصة (ت : ١٨٢ هـ) في الخليفة أبي جعفر

المنصور في قصيدته التي مدح بها معن بن زائدة الشيباني (ت : ١٥١ هـ)

حيث قال :

ما زلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن

فنتعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كلّ مهتدّ وسنان^(٤)

(١) سنن أبي داود (٢ / ٢١٠) ، ح ٤٦٤٥ باب في الخلفاء .

(٢) تاريخ ابن الأثير (١٠ / ٧ - ٨) .

(٣) شرح شواهد المغني للسيوطي ، ط . منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (١ /

١٩٧) .

(٤) الكنى والألقاب للقمي (١ / ٢٥٢) .

ب - في العصر العثماني :

في عصر العثمانيين أستعمل لفظ الخليفة اسماً لسلطان المسلمين الأعظم ^(١). بدون إضافة إلى (الله) أو (الرسول).

ج - في عصرنا :

اشتهر في عصرنا أن المقصود في قوله تعالى للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أن الله تعالى جعل نوع الإنسان خليفته في الأرض ^(٢). وبناءً عليه يكون معنى (خليفة الله في الأرض) نوع الإنسان ، ومعنى (استخلف) و(يستخلف) وغيرهما مما ورد من مادة (خلف) استخلاف نوع الإنسان ، وأشتهر - أيضاً - أن المقصود في تسمية الحاكم الأعلى للمسلمين بالخليفة إلى آخر عصر الخلافة العثمانية أنه خليفة رسول الله (ص) في الحكم على المسلمين. وعليه يكون معنى (الخليفة) خليفة رسول الله (ص) ، ويصفون الخلفاء الأربعة بعد رسول الله (ص) بالراشدين دون من جاء بعدهم إلى آخر العثمانيين ، واشتهرت هذه التسمية بين المسلمين حتى اليوم.

(١) راجع المعجم الوسيط ، مادة : (خلف).

(٢) قال سيد قطب في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

(وإذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمناً هذه الأرض وتطلق فيها يده... وإذن فهذه منزلة عظيمة ، منزله هذا الإنسان في نظام هذا الوجود على هذه الأرض الفسيحة). تفسير في ظلال القرآن (١ / ٦٥ ، ٦٦).

ويرى مؤلف كتاب (خليفة و سلطان) و. و. يارتولد ، ترجمة ايزدي ، ط. طهران ١٣٥٨ ، ص ١٦. أن هذا المعنى قد تسرب إلى المجتمعات الاسلامية من أفكار أهل الكتاب.

انتقال مصطلح الخليفة من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع) جرى بعد الرسول (ص) كل ذلك التبديل لمعنى (الخليفة) و (خليفة الله في الأرض) في مدرسة الخلفاء.

وفي مدرسة أهل البيت (ع) ورد لفظ (خليفة الله في الأرض) في روايات أئمة أهل البيت (ع) بمعنى المصطلح الإسلامي كما أشرنا إليه.

وأتقل مصطلح (الخليفة) بمعنى: خليفة رسول الله (ص) من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع) منذ القرن الخامس الهجري وحتى اليوم. وأستندت مدرسة الخلفاء إلى عدم ورود (الخليفة) بالمعنى الذي استحدثوه بعد الرسول (ص) في حديث الرسول (ص)، وقالوا: إنَّ الرسول (ص) ترك أئمة هملأ ولم يعين المرجع من بعده.

وفي مقام الردّ عليهم أستند أتباع مدرسة أهل البيت (ع) إلى ما ورد عن الرسول (ص) في تعيين الإمام عليّ وصيّاً من بعده وقالوا: إنَّ الرسول (ص) عيّنه خليفة من بعده بالمعنى الذي أستحدثت للخليفة بعد الرسول (ص) ولم يترك أئمة هملأ^(١).

جرى كل ذلك من أتباع المدرستين غفلة منهم عن أن المصطلح الذي أحدثته مدرسة الخلفاء بعد الرسول (ص) لم يكن ليرد في حديث الرسول (ص).

الخلاصة :

أ - خليفة الشخص في اللغة: من يقوم بعمله في غيابه، وقد ورد بالمعنى اللغوي في القرآن وحديث الرسول (ص) ومحاورات الصحابة.

(١) نجد بعض تلك الأدلة في كتاب (الألفين) للعلامة الحلي (ره).

ب - خليفة الله في الأرض في المصطلح الإسلامي : من يعينه الله تعالى لتبليغ شريعته آخذاً من الوحي أو من الرسول (ص)، وللحكم بين الناس، ويؤتي بعضهم ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، وقد ورد بهذا المعنى في القرآن وروايات أئمة أهل البيت (ع).

ج - خليفة الرسول في حديث الرسول (ص) : من يقوم بتبليغ حديثه وسنته.

د - في مصطلح المسلمين سُمِّي أبو بكر بخليفة رسول الله (ص)، وسُمِّي عمر بخليفة خليفة رسول الله، ثم سُمِّي عمر بأمر المؤمنين وبقيت هذه التسمية للحاكم الإسلامي الأعلى إلى آخر الخلفاء العثمانيين، وفي العهدين الأموي والعباسي أضيف إلى ذلك تسميته بخليفة الله، وإلى جانب ذين الاسمين اشتهرت تسمية الحاكم الأعلى في العهد العثماني بـ (الخليفة) أي خليفة الرسول، وانتشرت هذه التسمية لدى المسلمين بعد العهد العثماني حتى اليوم، وقبل لجميع من ولي الحكم بعد الرسول (ص) إلى العثمانيين بـ (الخليفة) أي خليفة الرسول (ص)، وسُمِّي الخلفاء الأربعة بعد الرسول (ص) بـ (الخلفاء الراشدين)، وانتقل مصطلح (الخليفة) إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع)، وقد أدت الغفلة عن هذا الأمر إلى التشويش على المسلمين فاشتهر لدى مدرسة الخلفاء أن الرسول (ص) ترك أئمة هملأ ولم يعيِّن المرجع من بعده لأن المصطلح الذي استحدثوه بعد الرسول (ص) لم يرد في حديث الرسول (ص)، وأستند أتباع مدرسة أهل البيت إلى ما ورد عن الرسول (ص) في تعيين الإمام عليّ وصيّاً بعده، وقالوا: إن الرسول (ص) عيَّنه خليفة للمسلمين بالمعنى الذي استحدثه المسلمون للخليفة بعد الرسول (ص)، واشتدَّ الخلاف بين المسلمين في هذا الأمر.

الأئمة المبلغون

آلِ إمامٍ في اللغة: الإنسان الذي يُؤثَّمُ به ويُقتدى بقوله أو فعله مُحِقّاً كان أو مُبْطِلاً^(١).

فن الأول ما ورد في قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ أَبْنَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ .
(الآية / ١٢٤)

ومن الثاني ما ورد ذكره في قوله تعالى:

﴿فَقَاتِلُوا أَلِئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ .
(التوبة / ١٢)

والإمام في الإسلام هو الهادي إلى سبيل الله بأمر من الله؛ إنساناً كان، كما ورد ذكره في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَبْنَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ .
(البقرة / ١٢٤)

وقوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...﴾ .
(الأنبياء / ٧٣)

أو كان كتاباً كما ورد ذكره في قوله تعالى:

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ .
(هود / ١٧)

وندرك من فحوى الآيات المذكورة أعلاه أنَّ شرط الإمام في الإسلام إن

(١) راجع مادة: (أُثِّمَ) في معاجم اللغة.

كان كتاباً أن يكون منزلاً من قِبَلِ الله على رسوله لهداية الناس كما كان شأن كتاب محمدٍ (ص) : القرآن الكريم، ومن قبله كتاب موسى : التّوراة، وكذلك شأن سائر الأنبياء.

وإن كان إنساناً؛ أن يكون معيّناً من قِبَلِ الله، لقوله تعالى.

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ و﴿عَهْدِي﴾.

وأن يكون غير ظالم لنفسه ولا لغيره أي غير عاص لله، لقوله تعالى :

﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

في ضوء ما سبق يتّضح أنّ الإمام في الإصطلاح الإسلامي هو :

أ - الكتاب المنزل من قِبَلِ الله على رسوله لهداية الناس .

ب - الإنسان المعين من قِبَلِ الله لهداية الناس وأن يكون معصوماً من

الذنوب .

ثمّ إنّ الإمام المعين من قِبَلِ الله تعالى لهداية الناس إمّا أن يكون رسولاً

صاحب شريعة، أو وصيه على شريعته . وستأتي دراسة مصطلح (الوصي) في

فصل الإمامة بعونه تعالى .

الصَّحَابِيُّ وَالصَّاحِب

في اللغة:

الصاحب (وجمه: صحب وأصحاب وصحاب وصحابة): المعاشر^(١) والملازم^(٢). ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته^(٣)، وإن المصاحبة تقتضي طول لبته^(٤).

وبما أنَّ الصحبة تكون بين اثنين؛ فقد لزم إضافة [(صاحب) وجمعه الصحب و...] إلى أسم آخر في الكلام. كما ورد في قوله تعالى في سورة الشُّعراء: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى﴾ (الآية ٦١).

تعريف الصَّحَابِيِّ لدى المدرستين

تعريف الصَّحَابِيِّ في مدرسة الخلفاء

قال ابن حجر في مقدّمة الإصابة، الفصل الأوّل في تعريف الصحابي: الصحابيّ من لقي النبيّ (ص) مؤمناً به، ومات على الإسلام. فيدخل في من لقيه من طالّت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى^(٥).

(١) لسان العرب، مادة: (صحب).

(٢) مفردات الزّاغب، مادة: (صحب).

(٣) (٤) المصدر السابق.

(٥) الإصابة (١ / ١٠).

وهذا القول بمدرسة الخلفاء هو مصدر الشهيد الثاني حين قال في كتابه الدراية: الباب

وذكر في (ضابط يستفاد من معرفته صحبة جمع كثير) وقال: (إنهم كانوا في الفتوح لا يؤمرون إلا بالصحابة).

(وأنه لم يبق بمكة ولا الطائف أحد في سنة عشر إلا أسلم وشهد مع النبي حجة الوداع) و(أنه لم يبق في الأوس والخزرج أحد في آخر عهد النبي (ص) إلا دخل في الإسلام) و(ما مات النبي (ص) وأحد منهم يظهر الكفر)^(١).

وإذا راجع باحث أجزاء كتابنا (خمسون ومائة صحابي مختلف) يرى مدى تسامحهم في ذلك ومبلغ ضرره على الحديث.

تعريف الصحابي بمدرسة أهل البيت (ع)

إن مدرسة أهل البيت ترى أن تعريف الصحابي: هو ما ورد في قواميس اللغة العربية كالآتي:

الصاحب وجمعه: صَحب، وأصحاب، وصِحاب، وصحابة^(٢) و(الصاحب: المعاصر^(٣) والملازم^(٤))، (ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته)^(٥)، (وإن المصاحبة تقتضي طول لبته)^(٦).

وبما أن الصُحبة تكون بين اثنين، يتضح لنا أنه لا بد أن يضاف لفظ (الصاحب) وجمعه (الصُحب و...) إلى أسم ما في الكلام، وكذلك ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿يا صاحبي السجن﴾ و﴿أصحاب موسى﴾، وكان يقال في عصر الرسول (ص): (صاحب رسول الله) و(أصحاب رسول الله)

الرابع في بعض المصطلحات في أسماء الرجال وطبقاتهم: (الصحابي) من لقي النبي مؤمناً به ومات على الإسلام.

(١) المصدر السابق ص ١٦ وقبله ص ١٣.

(٢)، (٣) راجع لسان العرب، مادة: (صحب).

(٤)، (٥)، (٦) مفردات الراغب: مادة: (صحب).

مضافاً إلى رسول الله (ص) كما كان يقال: (أصحاب بيعة الشجرة) و(أصحاب الصَّفَّة) مضافاً إلى غيره، ولم يكن لفظ الصاحب والأصحاب يوم ذاك أسماءً لأصحاب الرّسول (ص) ولكنّ المسلمين من أصحاب مدرسة الخلافة تدرّجوا بعد ذلك في تسمية أصحاب رسول الله (ص) بالصحابيّ والأصحاب، وعلى هذا فإنّ هذه التسمية من نوع (تسمية المسلمين) و(مصطلح المشرّعة).

مُصْطَلَحَات قرآنيّة

- ✻ القرآن
- ✻ الكتاب
- ✻ المصحف
- ✻ السّورة والآية
- ✻ الجزء والحزب
- ✻ التلاوة والقراءة والإقراء
- ✻ النسخ

الْقُرْآن

القرآن: هو كلام الله الذي نزلَه نجوماً - في أوقاتها المعيّنة لانزالها - على خاتم أنبيائه محمد (ص)، بلغة العرب ولهجة قريش منهم، ويقابله الشعر والنثر في الكلام العربي.

• عليه فإنّ الكلام العربي ينقسم إلى قرآن وشعر ونثر.

وكما أنّه يقال لديوان الشاعر: «شعر»، وللقصيدة في الديوان: «شعر»، وللبيت الواحد فيه: «شعر» وللشطر الواحد أيضاً: «شعر»، كذلك يقال لجميع القرآن: «قرآن»، وللسورة الواحدة: «قرآن»، وللآية الواحدة: «قرآن»، وأحياناً لبعض الآية: «قرآن»، مثل ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ في الآية الثالثة من سورة البقرة. والقرآن بهذا المعنى، مصطلح إسلامي وحقيقة شرعية. إنّ منشأ هذه الاستعمالات مجيئه في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

أسماء أخرى للقرآن^(١):

أستخرج العلماء من القرآن أسماء أخرى للقرآن الكريم مثل: (الكتاب) و(النور) و(الموعظة) و(كريم).

١ - الكتاب: لقوله تعالى في سورة البقرة:

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت: ٩٧٤ هـ) ط. القاهرة. النوع الخامس عشر: معرفة أسمائه (١ / ٢٧٣ و ٢٧٦).

﴿الَمْ • ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ .

٢ - النور: لقوله تعالى في سورة النساء :

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (الآية ١٧٤).

٣ - الموعظة: لقوله تعالى في سورة يونس :

﴿... قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ (الآية ٥٧).

٤ - كريم: لقوله تعالى في سورة الواقعة :

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (الآية ٧٧).

وندرس من الأسماء الآتفة الكتاب فيما يأتي.

الكتاب

يظهر بأدنى تدبر في موارد استعمال الكتاب في القرآن الكريم بانها جاءت هي ونظائرها وصفاً للقرآن الكريم، وليست أسماء له، ما عدا الكتاب الذي ليس واضحاً أنه ليس اسماً للقرآن الكريم، ومن ثم ندرس موارد استعمال لفظ (الكتاب) في اللغة والقرآن الكريم في ما يأتي بإذنه تعالى:

جاء استعمال الكتاب في اللغة والقرآن لمعان متعددة منها:

أولاً - في اللغة:

أ - كتب الكتاب كتباً وكتاباً.

أي دَوّن حروف الهجاء على أشكال تكون فيها الكلمات والجمل مثل قوله - تعالى - في سورة البقرة:

﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبْتُ أَتُحِبُّهُمْ﴾ (الآية ٧٩).

ب - جاء الكتاب مصدراً سمي به المكتوب فيه، مثل قوله تعالى في حكاية قول بلقيس في سورة النمل:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِئِىَ أُنْتِىَ إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمِنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الآيتان ٢٩ و ٣٠).

ثانياً - في القرآن الكريم:

أُطْلِقَ الكتاب في القرآن على التوراة والإنجيل والقرآن وكلّ كتاب أنزله الله على رسله مثل قوله - تعالى - في سورة البقرة:

١ - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾ (الآية ٨٧) للتوراة.

٢ - ﴿... وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾
(الآية ١١٣) للإنجيل.

٣ - ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الآيتان ١، ٢) للقرآن الكريم.

٤ - ﴿... فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ...﴾
(الآية ٢١٣) أي أنزل مع كل منهم كتاباً.

وسمى اليهود والنصارى أهل الكتاب في قوله تعالى في سورة المائدة: .
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا الشُّرُوعَ وَالْإِنجِيلَ﴾
(الآية ٦٨).



كان هذا معنى الكتاب الذي يساوي المصحف في المعنى في اللغة والقرآن الكريم واشتهر عند النحويين كتاب سيبويه في النحو بـ (الكتاب).

قال حاجي خليفة في باب الكتاب من كشف الظنون:

(كتاب سيبويه في النحو: كان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علماً عند النحويين، فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب، فلا يشك أنه كتاب سيبويه...).

وشرحه أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن خروف النحوي الأندلسي الأشبيلي (ت: ٦٠٩ هـ)، وسمّاه تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب. وشرح أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري البغدادي الحنبلي (ت: ٦١٦ هـ) أبياته وسمّاه: لباب الكتاب.

ولأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي الأندلسي الأشبيلي (ت: ٣٨٠ هـ):
أبنية الكتاب^(١).

إذا فليس (الكتاب) أسماً للقرآن في القرآن الكريم ولا في عرف المسلمين:
ونستنتج من هذا البحث ونقول:

إنّ العلماء أخطأوا إذ فسّروا ما جاء من لفظ (الكتاب) أو (كتاب) في
محاورات الصحابة بمعنى القرآن، في حين أنهم قصدوا من (الكتاب) ما فرض
الله على عباده، كما درسناها مفصلاً في بحث روايات اختلاف المصاحف، في
المجلد الثاني من كتاب (القرآن الكريم وروايات المدرستين).

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت: ١٠٧٦ هـ) تركيا، (٢) /
١٤٢٧ و ١٤٢٨.

وسيبويه، أو مبشر، أو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر البصري، مولى بني الحارث بن
كعب. توفي سنة ١٨٠ هـ.

المصحف

١ - في اللغة:

(الصحيفة: التي يُكْتَب فيها، والجمع صحائف وصُحُف وصُحُف، والمُصْحَف والمُصْحَف: الجامع للصحف بين الدفتين)^(١).

وقالوا في تفسير الدفتين، الدقة: الجنب من كل شيء وصفحته، ودفتا الطبل: المجلدتان اللتان تكتنفانه، ويضرب عليهما، ومنه دفتا المصحف، يقال: حفظ ما بين الدفتين^(٢) - أي حفظ الكتاب من المجلد إلى المجلد.

وبناءً على ما ذكرنا، فإنَّ المصحف: أسم للكتاب المجلّد، وذلك لأنّه إذا كانت الصحيفة هي ما يُكْتَب فيها وجمعها الصحف، والمصحف: هو الجامع للصحف بين الدفتين، والدفتان - هما جلدتا الكتاب - فالمصحف في كلامهم بمعنى الكتاب المجلّد في كلامنا.

وبناءً على ما ذكرنا، إنّ المصحف: أسم لكلّ كتاب مجلد قرآناً كان أم غير قرآن.

٢ - في مصطلح الصحابة:

استعمل المصحف بالمعنى اللّغوي الذي ذكرناه في روايات (جمع القرآن) حتى عهد عثمان.

(١) راجع مادة (صحف) في الصحاح للجوهري، (ت: ٢٩٣ هـ). والمحکم لابن سیده (ت: ٤٥٨ هـ). والمفردات للراغب، (ت: ٥٠٢ هـ). ولسان العرب لابن منظور (ت: ٧١١ هـ). والقاموس المحيط للفيروزآبادي (ت: ٨١٦ أو ٨١٧ هـ).
(٢) راجع تاج العروس للزبيدي (ت: ١٢٠٥ هـ) والمعجم الوسيط، مادة: (دفع).

فقد روى البخاري عن الصحابي زيد بن ثابت ما ملّخصه: أن الخليفة أبا بكر أمره بجمع القرآن. قال: «فَتَبَّعْتُ القرآنَ أجمعه، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثمَّ عند عمر في حياته، ثمَّ عند حفصة بنت عمر (رض)».

وروى بعدها عن أنس ما ملّخصه:

(أنَّ عثمانَ عندما أراد أن يجمع القرآن أرسله إلى حفصة: أن ارسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثمَّ نردّها إليك ...) الخبر^(١).
ومن الواضح أنَّ الصحف والمصاحف ذكرا في الخبرين المذكورين آنفاً بنفس المعنى اللَّغوي: (الكتاب المجلد).

وأكثر تصرّحاً ممَّا جاء عند البخاري، ما جاء عند ابن أبي داود السجستاني في باب: جمع القرآن في المصحف من كتابه: (المصاحف)، فقد روى فيه:

أ - عن محمد بن سيرين، قال:

«لَمَّا تَوَفَّى النَّبِيُّ (ص) أَقْسَمَ عَلَيَّ أَنْ لَا يَرْتَدِّي الرِّدَاءَ إِلَّا لَجْمَعَةٍ، حَتَّى يَجْمَعَ الْقُرْآنَ فِي مَصْحَفٍ».

ب - عن أبي العالية:

(أَتَمَّ هُمْ جَمَعُوا الْقُرْآنَ فِي مَصْحَفٍ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ).

ج - عن الحسين:

(أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَمَرَ بِالْقُرْآنِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَهُ فِي الْمَصْحَفِ)^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، (٢ / ١٥٠).

(٢) كتاب المصاحف للحافظ أبي بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني (ت: ٣١٦

استشهدنا بهذه الروايات الثلاثة لأنها تدلّ على أنّ في عصر روايتها كان المصحف في كلامهم أعمّ من القرآن، فقد جاء فيها على حسب التسلسل:

أ - (حتى يجمع القرآن في مصحف).

ب - (جمعوا القرآن في مصحف).

ج - (وأمر بالقرآن فجمع، وكان أول من جمعه في المصحف).

ولو كان المصحف لديهم هو القرآن لكان تفسير الروايات كالاتي:

أ - حتى يجمع القرآن في القرآن.

ب - جمعوا القرآن في القرآن.

ج - وكان أول من جمع القرآن في القرآن.

٣ - في روايات أئمة أهل البيت (ع):

وقد جاء المصحف في روايات أئمة أهل البيت (ع) بنفس المعنى اللغوي لمدرسة الخلفاء، فقد روى الكليني في باب (قراءة القرآن في المصحف):

الحديث الأول عن أبي عبدالله جعفر الصادق (ع)، قال:

من قرأ القرآن في المصحف مُتَّعَ ببصره، وَخُفِّفَ عن والديه، وإن كانا كافرين.

وفي الحديث الرابع منه - أيضاً - عن أبي عبدالله (ع)، قال: «قراءة القرآن في المصحف تُخَفِّفُ العذاب عن الوالدين، ولو كانا كافرين»^(١).

وبناءً على ما ذكرنا ثبت أن المصحف كان يستعمل في كلام الصحابة

هـ). تصحيح الدكتور اثر جفري، ط. الأولى، القاهرة ١٣٥٥ هـ. والروايتان: أ. و ج. في ص ١٠ منه والرواية: ب في ص ٩ منه.

(١) أصول الكافي، ط. طهران، سنة ١٣٨٨ هـ، (٢ / ٦١٣).

والتابعين والرواة بمدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت (ع) ويراد به الكتاب المجلّد، أي: أنّ المصحف أستعمل في محاوراتها في عصر الإسلام الأوّل في معناه اللّغوي وأشتهر بعد ذلك في مدرسة الخلفاء تسمية القرآن المدوّن والمخطوط بين الدفتين بـ (المصحف).

٤ - في أخبار مدرسة الخلفاء:

وقد سُمّي في مدرسة الخلفاء غير القرآن بالمصحف كالآتي:

مصحف خالد بن معدان:

روى كل من ابن أبي داود (ت: ٣١٦ هـ) وابن عساكر (ت: ٥٧١ هـ) والمزّي (ت: ٧٤٢ هـ) وابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) بترجمة خالد بن معدان وقالوا:

إنّ خالد بن معدان كان علمه في مصحف له اضرار وعري^(١).

فمن هو خالد بن معدان صاحب المصحف؟

كان خالد بن معدان من كبار علماء الشام ومن التابعين، أدرك سبعين من الصحابة، ترجم له ابن الأثير (ت: ٦٣٠ هـ) في مادة الكلاعي^(٢)، وقال: توفي خالد سنة ثلاث أو أربع أو ثمان ومائة هجرية.

(١) المصاحف، ص ١٣٤ - ١٣٥.

وتاريخ دمشق، مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق، مصوّة المجمع العلمي الإسلامي بطهران، (٥ / ٢ / ٢٥٩ أ).

وتهذيب الكمال، مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق، مصوّة المجمع العلمي الإسلامي بطهران، (٢ / ١٧٠).

وتهذيب التهذيب (٣ / ١١٨ - ١١٩).

(٢) اللّباب في تهذيب الأنساب (٣ / ٦٢ - ٦٣).

٥ - اشتهار المصحف في كل ما كُتِبَ وجُعِلَ بين الدفتين: الكتاب المجلّد
كان استعمال المصحف في ما كُتِبَ وجُعِلَ بين الدفتين، أي الكتاب المجلّد
مشهوراً ومتداولاً لدى العلماء والباحثين بمدرسة الخلفاء، وإليك المثلين
الآتين لذلك:

أ - عنوان ابن أبي داود السجستاني من أعلام القرن الثالث الهجري في
كتابه المصاحف كالآتي:

١ - جمع أبي بكر الصديق (رض) القرآن في المصاحف بعد رسول الله
(ص).

٢ - جمع علي بن أبي طالب (رض) القرآن في المصحف^(١).

ب - ومن المعاصرين قال ناصر الدين الأسد في كتابه مصادر الشعر
الجاهلي: وكانوا يطلقون على الكتاب المجموع: لفظ المصحف، ويقصدون به
مطلق الكتاب، لا القرآن وحده، فمن ذلك ما ذكره...

ثم نقل خبر مصحف خالد بن معدان من كتاب المصاحف لابن داود
السجستاني^(٢).

٦ - في مصطلح الأمم السابقة:

تسمية الكتب الدينية للأمم السابقة بالمصحف:

وكذلك سميت الكتب الدينية للأمم السابقة بالمصحف كما جاء في طبقات
ابن سعد بسنده:

(١) كتاب المصاحف ص ٥ و ١٠ منه، حسب التسلسل الذي أوردناه.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي، الطبعة الخامسة، ص ١٣٩، وقد نقله من المصاحف

للسجستاني، ص ١٣٤ - ١٣٥.

عن سهل مولى عُثَيبة أنه كان نصرانياً من أهل مريس، وأنه كان يتيماً في حجر أُمِّه وعمِّه، وأنه كان يقرأ الإنجيل، قال: فأخذتُ مصحفاً، لعُمِّي فقرأته حتى مرّت بي ورقة، فأنكرت كتابتها حين مرّت بي ومسستها بيدي، قال: فنظرت فإذا فصولُ الورقة ملصق بغراء، قال: ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد (ص)، أنه لا قصير ولا طويل، أبيض، ذو ضفيرين، بين كتفيه خاتم، يكثر الاحتباء، ولا يقبل الصدقة، ويركب الحمار والبعير، ويحتلب الشاة، ويلبس قيصاً مرقوعاً، ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبر، وهو يفعل ذلك، وهو من ذرّية إسماعيل اسمه أحمد، قال سهل: فلما انتهيت إلى هذا من ذكر محمد (ص) جاء عمِّي، فلما رأى الورقة ضربني وقال: ما لك وفتح هذه الورقة وقراءتها؟ فقلت: فيها نعت النبي (ص) أحمد، فقال: إنه لم يأت بعد^(١).



وهكذا وجدنا المصحف اسماً عاماً للمصحف بين الدفتين وإن صح ما جاء في رواية المصاحف لابن أبي داود أن الخليفة أبا بكر كان قد سمى القرآن بالمصحف فإنّ هذه التسمية لم تشتهر حتى عصر عثمان، كما يظهر ذلك من الخبرين اللذين نقلناهما آنفاً من صحيح البخاري، وإنما اشتهرت تسمية القرآن بالمصحف بعد ذلك، وعند ذاك أيضاً لم تبقى هذه التسمية منحصرة بالقرآن، بل سُمّيت كتب أخرى في مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت بـ (المصحف). وكان منها مصحف فاطمة ابنة رسول الله (ص) كالأتي خبره:

(١) طبقات ابن سعد، ط. بيروت (١ / ٣٦٣).

٧ - مصحف فاطمة ابنة الرسول (ص) :

جاء في الروايات أنَّ فاطمة ابنة رسول الله (ص) كان لها كتاب اسمه المصحف فيه إخبار بالمغيبات.

لقد جاء في بصائر الدرجات بأكثر من سند عن الإمام الصادق (ع) قال : قال أبو عبد الله لأقوام كانوا يأتونه ويسألونه عما خلف رسول الله (ص) إلى عليّ (ع) وعما خلف عليّ إلى الحسن ، لقد خلف رسول الله (ص) عندنا ما فيها كل ما يحتاج إليه حتى أرش الخندش والظفر ، وخلفت فاطمة مصحفاً ما هو قرآن ... الحديث^(١).

إذن فقد كان لابنة رسول الله (ص) مصحف كما كان لخالد بن معدان كتاب اسمه المصحف فيه علمه .

وإنَّ أئمة أهل البيت الذين انتشر منهم هذا الخبر نصّوا على أنَّه ما هو بالقرآن وليس فيه شيء من القرآن ، بل فيه أخبار بالحوادث الكائنة في المستقبل . ومع الأسف الشديد أفترى بعض الكتّاب في مدرسة الخلفاء وقال : إنَّ مصحف فاطمة عند أتباع مدرسة أهل البيت : قرآن آخر !!! ولكن أتباع مدرسة أهل البيت لم يقولوا هذا القول في شأن مصحف خالد ولا الكتاب لسيبويه .

٨ - مصاحف الصحابة :

ذكرنا في بحث اختلاف مصاحف الصحابة في المجلد الثاني من كتاب (القرآن الكريم وروايات المدرستين) :

(١) بصائر الدرجات ص ١٥٦ . وأوردت موضع الحاجة من الحديث ، وراجع تفصيل الخبر في معالم المدرستين (٢ / ٣٢٢) .

إنَّه كان لكثير من الصحابة مصاحف كتب كل منهم في مصحفه القرآن وما سمعه من رسول الله (ص) في تفسير بعض آيات القرآن، إذاً كان معنى مصاحف الصحابة في عصر الصحابة: القرآن المكتوب مع حديث الرسول في تفسير بعض آياته كما هو الحال في تفاسير القرآن بالمأثور مثل الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور للسيوطي في مدرسة الخلفاء والبرهان في تفسير القرآن لدى أتباع مدرسة أهل البيت (ع).

مثالان لمصاحف الصحابة:

أ - مصحف أم المؤمنين عائشة:

رووا عن أبي يونس مولى عائشة أنه قال أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فأذني: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ فلما بلغت آذنتها فأملت عليّ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ «وصلاة العصر» وقوموا لله قانتين) قالت عائشة سمعتها من رسول الله (ص).

ب - مصحف أم المؤمنين حفصة:

عن أبي رافع مولى حفصة أنه قال: استكتبتني حفصة مصحفاً، فقالت: إذا أتيت على هذه الآية، فتعال حتى أمليها عليك كما قرأتها، فلما أتيت على هذه الآية: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾، قالت: اكتب: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [وصلاة العصر] ^(١).

ومصاحف أخرى سوف نذكرها في ما يأتي بإذنه تعالى.

(١) راجع تفصيل أخبار مصاحف الصحابة باسنادها في المجلد الثاني من كتاب (القرآن الكريم وروايات المدرستين) في بحث اختلاف مصاحف الصحابة.

٩ - مصحف الرسول (ص) :

أوصى الرسول (ص) الإمام علياً أن لا يرتدي رداءه بعد وفاته حتى يجمع الصحف التي كانت في بيت الرسول (ص) التي كتب عليها القرآن بأمر الرسول (ص) ، ولم تكن آي القرآن التي كتبت في تلك الصحف بدعاً عما كتبها الصحابة في صحفهم مما تعلموها من لفظ الآيات ومعانيها مما تلقاها الرسول (ص) جميعاً عن طريق الوحي ، بل لابد أن تكون مشابهة لمصاحف الصحابة في كتابة اللفظ والمعنى معاً ما عدا أمراً واحداً وهو أن كل صحابي كان يكتب مع ما يكتب من آي القرآن ما بلغه عن رسول الله (ص) في تفسير الآية . وكان رسول الله (ص) قد أمر الإمام علياً بكتابة كل ما يحتاجه المسلمون في تفسير الآيات مما تلقاه عن طريق الوحي^(١).

(١) كما برهننا عليه في بحث: (القرآن والسنة ، هما مصدر التشريع لدى مدرسة أهل البيت «ع» من المجلد الثاني من معالم المدرستين).

السّورة والآية

أ - السّورة:

١ - في اللّغة:

اختلفوا في أصلها لغة، منها قولهم: أنّها من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور^(١).

٢ - في المصطلح الإسلامي القرآني:

جزء من القرآن يفتتح بالبسملة ما عدا سورة البراءة، ويشتمل على آي ذوات عدد، وقد جاءت بالمعنى الاصطلاحي في القرآن الكريم بلفظ المفرد تسع مرّات، ولفظ الجمع مرّة واحدة.
وإنّ أصغر سور القرآن الكوثر وأكبرها البقرة.

٣ - في القرآن الكريم:

نرى أنّ أسماء سور القرآن المنحصرة باسم واحد مثل (الرحمن) و(الأنفال) و(الأنعام) مصطلحات إسلاميّة نزلت عن طريق الوحي إلى رسول الله (ص) وما اشتهر لها اسمان أو أكثر مثل سورة الإسراء التي تُسمّى أيضاً بني إسرائيل ينبغي أن ندرس الروايات المرويّة عن الرّسول (ص) في شأن تعدّد أسماء بعض السور لمعرفة المصطلح الإسلامي منها عن مصطلح المسلمين.

(١) رجع مائة (السورة) في معجم ألفاظ القرآن الكريم.

ب - الآية:

في اللغة:

أشهر معاني «الآية» في اللغة: العلامة الواضحة للشيء المحسوس، والأمانة الدالة على المراد للأمر المعقول.

ومثال الأول قوله تعالى في سورة مريم في حكاية قول زكريا (ع):

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾

(الآية ١٠).

أي: قال أجعل لي علامة واضحة ...

ومثال الثاني قوله تعالى في سورة يوسف:

﴿وَكَايْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّاعَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا

مُعْرِضُونَ﴾ (الآية ١٠٥).

أي كم من أمانة تدلُّ على قدرة الله وحكمته، أو غيرها من صفاته يمرُّون

عليها وهم عنها معرضون.

وقول الشاعر:

وفي كلِّ شيءٍ له آية تدلُّ على أنَّه واحدُ

في المصطلح الإسلامي:

ما قاله الراغب في مفردات القرآن:

(ويقال لكلِّ جملة من القرآن دالة على حكم: آية، سورة كانت، أو

فصولاً، أو فصلاً من سورة).

وقد يقال لكلِّ كلام منه، منفصل بفصل لفظي: آية.

وعلى هذا اعتبار آيات السورة التي تعدُّ بها السورة^(١).

(١) اخترنا ذكر أشهر معنى للآية في اللغة والتي تتناسب مع المعنى الاصطلاحي.

وتُضاف إليه الحروف المقطعة المبدوء بها بعض سور القرآن مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ...﴾ وفي سورة فصلت: ﴿حَمَّ تَغْزِيلٍ مِنْ أَلَرْحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

قال المؤلف:

إنَّ الراغب وإن لم يفرِّق بين المعنى اللغوي للآية والذي قدَّم ذكره وبين معانيها في المصطلح الإسلامي والتي أخرَّ ذكرها، غير أنَّنا لما وجدنا المجموعة الثانية لم ترد عند العرب وإنَّما جاءت في الكتاب والسنة خاصة، وشاع فيها استعمال «الآية» في تلك المعاني، قلنا بأنها من معاني «الآية» في المصطلح الإسلامي، وكذلك القاعدة في معرفة المصطلح الإسلامي، مثل مصطلح الصَّلَاة والزَّكَاة والخمس في الشريعة الإسلامية.

وإنَّ الراغب في تعريفه معنى «الآية» قسم ما وصفناه بالمصطلح الإسلامي إلى قسمين:

١ - ما اعتبر (الحكم) في التسمية، حيث قال:

(كلَّ جملة دالَّة على حكم آية، سورة كانت أو...).

٢ - ما اعتبر (اللفظ) في التسمية، حيث قال:

(كلَّ كلام...).

ونحن بعد البحث والفحص عن موارد استعمال (الآية) في القرآن الكريم وجدنا الراغب مصيباً في قوله: وإليك الدليل على ذلك:

أولاً - وجدنا من أمثلة القسم الأول:

١ - قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (الآية ١٠٦).

٢ - قوله تعالى في سورة النحل :

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ (الآية ١٠١).

٣ - وقوله تعالى في سورة الأحزاب في خطابه لأزواج النبي (ص) :

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ (الآية ٣٤).

٤ - ومنها قوله تعالى في سورة القصص :

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَسْأَلُوا عَنْهُمْ

آيَاتِنَا﴾ (الآية ٥٩).

وقوله تعالى في سورة الزمر في حكاية خطاب الملائكة لأهل جهنم :

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ (الآية ٧١).

٥ - وقوله تعالى في سورة آل عمران :

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ

(الآية ١١٣).

والمعنى في الآية الأولى : ما ننسخ من حكم في فصل من كتاب الله أو ننسه

نأت بخير منه أو بمثله .

وفي الآية الثانية : وإذا بدلنا حكماً في فصل أو فصول من كتاب الله بحكم

آخر في فصل أو فصول من كتاب الله .

وفي الآية الثالثة : وأذكركن يا أزواج النبي (ص) ما يُتلى في بيوتكن من

أحكام الله اللاتي جاء في فصول كتاب الله .

وفي الآية الرابعة : حتى يبعث الله في أم القرى رسولا يتلو على أهلها

أحكام الله في فصول كتاب الله .

وفي الآية الخامسة: ليس أهل الكتاب متساوين في أمر الدين، منهم أمة مستقيمة يتلون أحكاماً من فصول كتاب الله.

ثانياً - وجدنا من أمثلة القسم الثاني، قوله تعالى في سورة يوسف:

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ آلَ الْكَاتِبِ الْمُبِينِ﴾ (الآية ١).

وقوله تعالى في صورة الرعد:

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ آلَ الْكَاتِبِ وَأَلْذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ (الآية ١).

وكذلك جاء نظيرها في أول يونس والنمل، والثانية من الشعراء والقصص ولقمان.

إن هذه الآيات ونظائرها تشير إلى الآيات التي تشخص في كل سورة بالعدد، ويقال مثلاً: سورة الحمد سبع آيات، كما جاء في حديث الرسول (ص).

والآية بهذا المعنى لم ترد في القرآن الكريم بغير لفظ الجمع، وقد قصد من (الآية) هنا ألفاظ الجملة القرآنية دون معناها.

ونضيف إلى ما سبق ما جاء في مادة الآية من معجم الفاظ القرآن الكريم فوهم:

وسُمِّيت معجزات الأنبياء (آية)، لأنها علامة على صدقهم وعلى قدرة الله.

ونقول: إن منها قوله - تعالى - في حكاية قول صالح لقومه.

﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ (الأعراف / ٧٣)، و(هود / ٦٤).

وقوله تعالى في سورة النمل في خطابه لموسى بن عمران حين أرسله إلى فرعون وقومه:

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى
فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الآية ١٢).

وبناء على ما بيّناه فلفظ (آية) مشترك بين ثلاثة معانٍ في المصطلح
الإسلامي مضافاً إلى معانيها في اللغة العربية.

وقد استعملت (الآية) بكثرة في معانيها اللغوية والاصطلاحية جميعاً في
القرآن الكريم.

ولا بدّ لنا في تشخيص المعنى المقصود أن نعمل بما قرّره العلماء في علم
أصول الفقه من أنّ اللفظ المشترك إذا جاء في الكلام لا بدّ أن تدلّ قرينة على
المعنى المقصود منه.

وعليه ينبغي لفهم المراد مما جاء من مادة (الآية) في القرآن، أن نبعث عن
القرينة الدالة على المعنى المقصود في التعبير القرآني.

الخلاصة:

السورة في المصطلح القرآني جزء من القرآن يفتتح بالبسملة عدا سورة
براءة، ويشتمل على آيات تميّز بالترقيم، ونرى أن الله قد سمّى كل سورة
باسم واحد. وما أشتهر لها أكثر من اسم واحد مثل سورة الإسراء وسورة
بني إسرائيل ينبغي أن يبحث في السنّة النبوية عن اسمها في المصطلح القرآني.
(الآية) في اللغة: العلامة الواضحة على شيء محسوس أو الأمانة الدالة
على شيء معقول.

وفي المصطلح الإسلامي قد تكون (الآية): معجزة من معاجز الأنبياء أو
جملة من ألفاظ سورة قرآنية معيّنة بالعدد أو فصلاً أو فصولاً من كتب الله
تبيّن حكماً من أحكام شريعته.

ولا نقول: إنَّ معنى الآية في المصطلح الإسلامي ينحصر بما ذكرناه، بل نقول: هذا ما عرفناه من معاني الآية إلى اليوم، ولعلَّ البحث يعرفنا بعد اليوم غيرها من معاني الآية في المصطلح الإسلامي.

إذاً لفظ الآية مشترك في المصطلح الإسلامي بين عدّة معانٍ، ولا يستعمل اللفظ المشترك في الكلام دوغماً قرينة تعيّن المعنى المقصود.

الجزء والحزب

قسّم المسلمون القرآن إلى ثلاثين قسماً وكل قسم سَمَّوه جزءاً^(١)، والجزء إلى أربعة أحزاب، وهما من مصطلح المسلمين، لعدم أستعمالهما بهذا المعنى في الكتاب والسنة.

(١) روي أن تقسيم القرآن إلى ثلاثين جزءاً كان في عصر الحجاج.

التلاوة والقراءة والإقراء

أ - التلاوة:

يقال: تلا الكتاب تلاوة، إذا تلفظ بكلمات كتاب يجب اتباعه مثل التوراة والإنجيل والقرآن مع تدبر معاني جملاته.

ولا يقال: تلوت كتابك في ما لا يجب اتباعه، وبهذا المعنى جاء في قوله تعالى:

١ - في سورة الكهف:

﴿وَأَن تُلَّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ...﴾ (الآية ٢٧).

٢ - في سورة العنكبوت:

﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (الآية ٥١).

جاء في سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري عند ذكرهما خبر دعوة الرسول (ص) في موسم الحج رهطاً من المخزرج قالوا:

(فدعاهم إلى الله - عز وجل - وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن)^(١).

ب - القراءة والإقراء:

١ - في اللغة:

قرأ الكتاب قراءة وقرأنا تتبع كلماته نظراً ونطق بها^(٢).

(١) سيرة ابن هشام ط. المجازي بالقاهرة (٢ / ٣٨). وتاريخ الطبري ط. مصر

(٢ / ٣٥٣).

(٢) المعجم الوسيط، مادة: (قرأ).

٢ - في المصطلح الإسلامي :

لمعرفة معنى القراءة والإقراء في المصطلح الإسلامي نتدبر ما جاء من هذه المادة في القرآن الكريم وسنة الرسول (ص).

أما القرآن فقد قال الله سبحانه :

أ - في سورة العلق :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

ب - في سورة القيامة :

﴿ لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَفْجَلَ بِهِ • إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ • فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ • ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ .

ج - في سورة الأعلى :

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ .

د - في سورة الفرقان :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ .

هـ - في سورة الإسراء :

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ... ﴾ .

و - في سورة النحل :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (الآية ٤٤).

ج - جمعه في كلام الرسول (ص) .

د - جمعه حفظاً في صدور من حفظه من الصحابة .

هـ - جمعه كتباً في ما كتبه الصحابة في مصاحفهم .

وفي السنة:

أ - نقرأ في أخبار سيرة الرسول (ص) عندما آمن به من دعاهم من
الخزرج في موسم الحج ما رواه ابن هشام:

فلما انصرف عنه (ص) القوم بعث رسول الله (ص) معهم مصعب بن عمير
ابن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصي، وأمره أن يقرئهم القرآن،
ويعلمهم الإسلام، ويُفقههم في الدين، فكان يُستَمَى بالمدينة المقرئ^(١).

ب - نقرأ عن سيرة الرسول في إقرائه القرآن لأصحابه ما رواه أحمد
وغیره واللفظ لأحمد.

قال: كانوا - أي الصحابة - يقرؤون من رسول الله عشر آيات عشر
آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيها من العلم
والعمل^(٢).

تفسير الآيات:

في سورة العلق أمر الله نبيه أن يقرأ، وفي سورة القيامة بيّن كيفية القراءة
والإقراء وقال: - جلّ أسمه - لا تجعل في القراءة إنّ علينا جمعه، أي: إنّ على
الله جمع القرآن بكل ما للجمع من معنى أي جمع لفظ القرآن ومعناه.

أ - جمعه في كلام جبرائيل للرسول (ص).

ب - جمعه في صدر الرسول (ص).

و - جمعه حفظاً في صدور بعض المسلمين.

ز - جمعه كتباً في ما يكتبه البشر وتسجيلاً على وسائل التسجيل في من
سجله من البشر على الأشرطة إلى يوم الدين.

(١) سيرة ابن هشام ط. القاهرة (٢ / ٧٦).

(٢) مسند أحمد (٥ / ٤١٠).

كَلَّ ذَلِكَ جَمْعٌ لِلْقُرْآنِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَتَحْقِيقُ لَوْعَدِهِ، وَذَلِكَ بِقَاعِدَةٍ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال / ١٧).

ويفهم من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أنه - تبارك وتعالى - علّم رسوله معاني القرآن مع تعليمه تلاوة ألفاظه. إذاً فإن إقراء الله نبيه في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ...﴾ كان بتعليمه تلاوة لفظ القرآن مع تعليمه معنى اللفظ في ما احتاج فهم معنى اللفظ إلى تعليم الله إياه^(١). وتعليم معاني أي القرآن الكريم بما فيها آيات الأحكام كان بحاجة إلى سعة في الوقت لاستيعاب المعنى، فكان من الحكمة أن ينزل القرآن متدرّجاً، وليعلّم الرسول (ص) المؤمنين كذلك تلاوة ألفاظ القرآن مع ما تلقاه - أيضاً - عن طريق الوحي من معاني الآيات متدرّجاً ليستوعبوها، ومن أجل ذلك لم ينزل الله القرآن مرة واحدة، بل أنزله على مكث، ليثبت به فؤاد الرسول (ص) أولاً ثم يقرئ الرسول (ص) المؤمنين على مكث، إذاً فإن معنى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ نعلّمك تلاوة ولفظ القرآن مع بيان معناه وإنك لا تنسى ما علّمناك من لفظ القرآن وبيان معانيه، وكذلك فعل الرسول (ص) في تعليم القرآن للمصحابة فإنه (ص) كان يقرئ أصحابه عشر آيات عشر آيات على مكث يعلمهم في كلّ مرة تلاوة ألفاظ الآيات العشر مع تعليمهم ما فيه من العلم والعمل.

وكان الأصحاب الذين تعلّموا لفظ القرآن ومعناه من الرسول على مكث يعلمون الآخرين تلاوة اللفظ والمعنى معاً وكذلك كان الجميع يتقارؤون القرآن على عهد الرسول (ص) مثل النفر الذين سمّوا بالقراء من أصحاب

(١) ذكرنا في بحث (النظام الذي سنّه النبي «ص» في إقراء القرآن) أنّ النبي (ص) كان يتلقّى عن طريق الوحي ما كان يعلم الناس. راجع المجلد الأوّل من كتاب (القرآن الكريم وروايات المدرستين)، ص ١٣٧، الطبعة الثانية.

الرّسول (ص) الذين بعث منهم سبعين شخصاً لتعليم القرآن، فاستشهدوا في بئر معونة.

وكان رسول الله (ص) عندما ينتخب الأقرأ من أصحابه، ليؤليه على المسلمين مهما استطاع إلى ذلك سبيلاً ينتخب الأكثر علماً بتلاوة لفظ القرآن مع فهم معناه.

ومن جملة ذلك انه (ص) بعث مع الأنصار بعدما بايعوه في العقبة بمنى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يُسمّى مصعب بالمدينة المقرئ^(١).

وكذلك كان يفعل الصحابي الفقيه ابن مسعود الذي عيّنه عمر بن الخطاب، ليعلم أهل الكوفة القرآن في مسجد الكوفة عندما كان يقرئ القرآن فانه لم يكن معلّم كتابيب يعلم الأطفال تلاوة ألفاظ القرآن، بل كان مقرئاً يعلم طلاب علوم القرآن تلاوة لفظ القرآن مع بيان معانيه.

وبناء على ذلك كان معنى الاقراء على عهد الرّسول إلى سنوات قليلة من بعده تعليم تلاوة اللفظ مع تعليم معناه.

والمقرئ من يعلم تلاوة لفظ القرآن مع تعليم معنى اللفظ والقارئ وجمعه القراء من تعلم تلاوة لفظ القرآن مع تعلم معنى اللفظ.

وقد قال الراغب في مادة (قرأ) من مفردات القرآن (كل اسم موضوع للمعنيين معاً يطلق على كل واحد منها إذا انفرد كالمائدة للخوان وللطعام، ثم قد يسمّى كل واحد منها بانفراده به) وكذلك جرى الأمر في استعمال مادة الإقراء فإنه كان في عصر الرّسول (ص) يستعمل في المعنيين تعليم تلاوة

(١) سيرة ابن هشام (٢ / ٤٢).

اللفظ وتعليم معنى اللفظ وأصبح بعد انتشار تعلّم القرآن يستعمل الإقراء في أحد المعنيين وهو تعليم معنى الآيات التي تحتاج إلى تفسير ومن تلك الموارد ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه قال:

كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجّها... الحديث^(١).

وإذا علمنا أن إسلام عبدالرحمن بن عوف كان في السنة الثالثة من البعثة حسب ما يذكر ابن هشام من أخبار السابقين إلى الإسلام من المهاجرين^(٢). وإن آخر حجة حجّها عمر كانت سنة ٢٣ هـ، وقيل في الشهر نفسه، قُتِل في المدينة، عرفنا أن المدة بين الزّمانين أكثر من اثنتين وثلاثين سنة ولم يكن كبراء المهاجرين أمثال عبدالرحمن بن عوف أطفال ككتائب ليقترنهم ابن عباس تلاوة ألفاظ القرآن وإنما كان يعلمهم تفسير القرآن.

ما يؤيد أن الصحابة كانوا يعنون بتعلّم معنى القرآن:

سيأتي في أخبار القرآن في عصر الخليفة عمر أنه كان يسأله عن معاني القرآن وأنه كان يقول في حقّه (نعم ترجمان القرآن عباده بن عباس).

وكيف روى الخليفة عمر كبار الصحابة أن يقتروا القرآن من ابن عباس وكان الذين يفتون في عصر عمر هم الذين يقرؤون القرآن، أي لهم حق تعليم معنى القرآن كما سندرسه - بإذنه تعالى - بعد إيراد أخبار وروايات

(١) صحيح البخاري (٤ / ١١٩) باب رجم الحبلى من كتاب الزّنا إذا أحصنت.

(٢) ذكر ابن هشام إسلام عبدالرحمن بن عوف وآخرين من المهاجرين قبل مباداة رسول الله (ص) قومه في السنة الثالثة من البعثة، راجع سيرة ابن هشام، ط. الحلبي بمصر سنة ١٣٥٥ هـ. (١ / ٢٦٨).

في شأن القرآن في ما يأتي.

أخبار وروايات في شأن القرآن:

١ - عندما حضر الرسول (ص) :

في صحيح البخاري وغيره بسندهم إلى ابن عباس أنه قال : (لما حضر النبي (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال : هلمّ أكتب كتاباً لكم لن تضيّلوا بعده، قال عمر : إنّ النبيّ (ص) غلبه الوجع، وعندكم كتاب الله واختلف أهل البيت، واختصموا، فمنهم من يقول ما قال عمر .
فلما أكثروا اللَّفْظ والاختلاف قال : قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع).
وفي لفظ بعض الروايات وما شأنه أهجر^(١).

٢ - في أوّل عهد أبي بكر :

روى الذهبي أن الخليفة أبا بكر جمع النَّاس بعد وفاة نبيهم، وقال في ما حدّثهم : «... فلا تحدّثوا عن رسول الله (ص) شيئاً، فن سألهم، قولوا : بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه»^(٢).

٣ - على عهد عمر :

روى الطبري في سيرة عمر وقال : كان عمر إذا استعمل العَمال خرج معهم يشيعهم فيقول : (جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن محمّد (ص) وأنا شريككم)^(٣).

(١) راجع مصادر الخبر في عبد الله بن سبأ، الجزء الأوّل، بحث : السقيفة ط . السادسة ص ٩٧.

(٢) بترجمة أبي بكر من تذكرة الحفاظ للذهبي، (١ / ٢٢ - ٢٣).

(٣) تاريخ الطبري، طبعة مصر سنة ١٩٦٣، (٤ / ٢٠٤)، وطبعة أوربا (١ / ٢٧٤١).

٤ - خبر صبيغ بن عسل:

كان صبيغ بن عسل يذهب إلى الأجناد أي البلاد التي يسكنها جنود المسلمين مثل البصرة والكوفة والإسكندرية وكان من ضمن أولئك الجنود صحابة الرسول (ص) الذين أخذوا من الرسول تفسير القرآن فيسأل منهم عن معاني آي القرآن الكريم، فأخبر الخليفة عمر بذلك فجلبه إلى المدينة وأحضر له عراجين النخل وضرب بها رأسه حتى أدماه وفي المرة الثانية ضرب بها على ظهره حتى ترك ظهره ذبرة أي على ظهره مثل قرحة الدواب، ثم تركه حتى برئ وأعاد ضربه ثالثة ثم نفاه إلى البصرة وحرمه عطاءه ونهى عن مجالسته، فكان إذا حضر مجلساً في المسجد تفرقوا عنه، وبقي كذلك حتى تشفع له الوالي أبو موسى عند الخليفة فرفع العقاب عنه^(١).



وبناءً على ما ذكرنا حصر الخليفة عمر تعليم معنى القرآن بعدد محدود، منهم ابن عباس ومنع الآخرين من البحث عن معاني القرآن، وأمرهم بالاختصار على تلاوة - لفظ - القرآن، وأنتج ذلك تبدل معنى القراءة والإقراء كالاتي بيانه بإذنه تعالى.

تبدل معنى القراءة والإقراء في مصطلح المسلمين:

كان الرسول (ص) يتلقى عن طريق الوحي تلاوة لفظ القرآن ويتعلم.

(١) ترجمته بصورة مخطوطة ابن عساكر (٨ / ١ / ١١٦ أ - ١١٨ أ)، وسنن الدارمي (١ / ٥٤، ٥٥ - ٥٦)، وتفسير ابن كثير (٤ / ٢٣١ - ٢٣٢)، وتفسير الدر المنثور (٦ / ١١١)، وتفسير القرطبي (١٧ / ٢٩)، والإكمال لابن ماكولا (٥ / ٢٢١)، واخرنا لفظ ابن عساكر في المتن.

معناه في ما يحتاج معناه إلى تعلّم من جبرائيل: مثل آيات الأحكام في الوضوء والتيمّم وركعات الصلاة وأذكارها وما شابهها وذلك معنى ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (الأعلى ٦/).

وكان الرسول كذلك يفعل في إقرائه القرآن للصحابة ويُسمّى عندئذ من تعلّم شيئاً كثيراً من تلاوة لفظ القرآن مع تعلّم معناه بالقارئ وإذا قام القارئ بإقراء الآخرين يُسمّى بالمقرئ.

وبناء على ذلك كانت القراءة في عصر الرسول (ص) بمعنى تعلّم تلاوة القرآن مع تعلّم معناه، والإقراء تعليم تلاوة لفظ القرآن مع تعليم معنى اللفظ الذي يحتاج إلى تعلّمه.

وكان لمعنى مائة القراءة والإقراء في عصر الرسول (ص) جزءان:
أ - تعلّم تلاوة اللفظ وتعليمها.

ب - تعلّم معنى اللفظ وتعليمه.

إذاً فإن القراءة والإقراء كان في المصطلح الإسلامي في عصر الرسول (ص) بمعنى تعلّم لفظ القرآن وتعلّم معناه وتعليمها معاً.

وبهذا المعنى استعمل في قوله تعالى ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾.

وأيضاً استعمل في القرآن الكريم في معناه اللغوي أحياناً في مثل قوله - تعالى - في سورة المزمل: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (الآية ٢٠)، وقوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً﴾ (الآية ١٩).

كما أن لفظ الصلاة استعمل في المصطلح الإسلامي بمعنى الصلاة التي تقرأ سورة الفاتحة في الركعتين الأوليين منها.

وهذا المعنى استعمل في قوله - تعالى - في سورة البقرة:
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (الآية ٢٣٨).

كما استعمل - أيضاً - في معناه اللغوي في مثل قوله تعالى في سورة النور
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَاقَاتٍ كُلُّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (الآية ٤١).

واستعملت القراءة والإقراء بعد عصر الرسول (ص) غالباً في المعنى
الاصطلاحي، وأحياناً استعمل في أحد جزأي المعنى الاصطلاحي وهو تعليم
معنى القرآن أي تعليم تفسير القرآن.

وقد قال الراغب في مادة (قرأ) من مفردات القرآن:

(كَلَّ اسم موضوع لمعنيين معاً يُطلق على كُلِّ واحد منه إذا انفرد كالمائدة
للخِوان وللطعام، ثم قد يُسَمَّى كُلُّ واحد منهما بانفراده به).

ونرى أن ما جاء في صحيح البخاري أن ابن عباس كان يقرئ في منى في
آخر سنة من خلافة عمر كبار الصحابة أمثال عبدالرحمن بن عوف القرآن،
جاء بمعنى إقراءهم معنى الآيات أي أنه كان يقرئهم تفسير القرآن.

وكان المسلمون صحابة وتابعين يعنون بتعلّم معاني القرآن بعد تعلّم
تلاوته، يسافرون من بلد إلى بلد في سبيل ذلك كما فعل ذلك صبيغ بن عسل
التميمي وأخذ يسافر من بلد فيه جند من أجناد المسلمين إلى بلد آخر،
ويسأل من صحابة الرسول بيان الرسول (ص) حول الآيات، وكانت
الصحابة يومذاك في أجناد المسلمين.

كان صبيغ يحاول أن يتعلّم منهم ويقرئ عليهم ما خفي عليه من معاني
القرآن وكذلك كان يفعل المهاجرون الأولون أمثال عبدالرحمن بن عوف حين
كان يقرئهم ابن عباس في منى في آخر حجة حجّها عمر، أي: في شهر ذي

الحجّة سنة ٢٣ هـ، فإنّ المهاجرين الأولين الذين كانوا قد أسلموا بمكّة، ومضى على إسلامهم أكثر من ربع قرن لم يكونوا أطفال كتاتيب يحتاجون إلى تعلّم تلاوة القرآن، أضف إليه إنا رأينا الخليفة عمر يسأله عن تفسير القرآن بحضور الصحابة.

وبذلك كان قد رشّحه لتعليم تفسير القرآن كما درسنا ذلك في بحث من تاريخ القرآن على عهد الخليفة عمر^(١).

وكذلك نفّس ما جاء من مادّة (قرأ) في حديث الخليفة عمر في الشهر نفسه في آخر خطبة جمعة خطبها في مسجد الرّسول قبل أن يطعن.

وكذلك نفّس ما جاء عن أئمّة أهل البيت (ع) أن المهدي إذا ظهر يأمر بتعليم القرآن في مسجد الكوفة.

في مصطلح المسلمين:

وبناءً على ما ذكرنا آنفاً فإنّ مادّة القراءة في المصطلح الإسلامي كانت تدلّ على تعلّم لفظ القرآن مع تعلّم معناه واستعمل في عصر الصحابة في المدينة بمعنى تعلّم المعنى كما يظهر ذلك من كلام ابن عبّاس. ولما أمر الخليفة عمر بتجريد القرآن عن بيان الرّسول (ص) ونهى عن السؤال عن معانيه، ونكّل بمن سأل عنه، ونسخ الخليفة عثمان القرآن في مصاحف مجردة عن حديث الرّسول (ص) ووَزَعها في بلاد المسلمين وحرّق ما عداها، انتشرت القراءة المجردة للقرآن.

وفي أخريات القرن الأوّل الهجري قام علماء العربيّة بتحريف القرآن وسَمّوا

(١) راجع البحث السابع من المجلّد الثاني من كتاب (القرآن الكريم وروايات المدرستين)، بحث: من تاريخ القرآن على عهد الخليفة عمر.

كل تحريف (قراءة) وسَمّوا كل من يَعْلَم تلك التحريفات المقرئ وسَمّوا بعضهم المقرئ الكبير وسَمّوا الذي تعلّم تلك التحريفات القارئ وجمعه القراء أي الذي يقرأ القرآن بتلك التحريفات.

واستمر الأمر على ذلك قروناً حتى نسي معنى القراءة والإقراء في المصطلح الإسلامي الذي كان تعلّم اللفظ والمعنى معاً.

ونتيجة لتبدل معنى القراءة والإقراء في محاوراتهم فسروا ما جاء منها في الكتاب والسنة ومحاورات الصحابة بالمعنى المتداول عندهم، أي: قراءة القراءات المختلفة كما درسناها في بحث القراءات^(١).

نتيجة البحث:

يقال: تلا الكتاب لكتاب يجب العمل به مثل كتب الله المنزلة على رسله.

ويقال في لغة العرب: قرأ الكتاب قراءة إذا تتبع كلماته نظراً ونطق بها.

وفي المصطلح الإسلامي:

يقال قرأ القرآن واقرأه فهو قارئ إذا تعلّم تلاوة لفظ القرآن مع بيان معانيه، ومعنى أقرأه ويقرئه: علّم تلاوة لفظه مع تعليم معناه فهو عندئذ: مقرئ.

ولما رفع الخلفاء الثلاثة شعار «جرّدوا القرآن من حديث الرسول»، وكتبوا نسخة من القرآن مجرداً عن حديث الرسول (ص)، ونسخوا عليها نسخاً، ووزّعوها في بلاد المسلمين، وأحرقوا مصاحف الصحابة التي كان أصحابها قد دوّنوا فيها لفظ القرآن مع ما أخذوا من الرسول (ص) في بيان

(١) راجع البحث السادس من المجلد الثاني من كتاب: (القرآن الكريم ورواياته المدرستين)، بحث: القراءات المختلفة وقراؤها.

معاني آياته انتشر بين المسلمين نسخ القرآن بدون بيان الرسول (ص).
وبعد ذلك التاريخ سُمي القرآن المجرد عن بيان الرسول (ص) بالمصحف.
إذاً فالمصحف قبل إحراق المصاحف كان اسماً للقرآن الذي كُتِبَ معه شيء
من بيان الرسول (ص)، وبعد إحراق المصاحف أصبح اسماً للقرآن دون بيان
الرسول (ص).

وبعد أن أصدر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في عام ١٤٣ هـ أمراً
بتدوين العلوم وبدأ العلماء يدوّنون النص القرآني مع بيان معانيه سُميت تلك
المدوّنات بالتفسير وبقي اسم القرآن المجرد عن بيان معاني الآيات بالمصحف.
واشتهرت هذه التسمية على عهد الخلفاء العثمانيين بحيث أصبح القرآن
والمصحف بعد ذلك كالإنسان والبشر لفظين مترادفين لمعنى واحد.

النسخ

النسخ في اللغة: إزالة شيء بشيء يتعقبه، يقال: نسخت الشمس الظل^(١). وفي المصطلح الإسلامي: نسخ أحكام في شريعة بأحكام في شريعة أخرى^(٢). مثل نسخ بعض أحكام الشرائع السابقة بأحكام في شريعة خاتم الأنبياء (ص).

وكذلك نسخ حكم مؤقت بحكم أبدي في شريعة خاتم الأنبياء (ص)، مثل نسخ حكم توارث المتأخين من المهاجرين والأنصار في المدينة قبل فتح مكة بحكم توارث ذوي الأرحام بعد فتح مكة.

وقد صنّف أتباع مدرسة الخلفاء النسخ إلى ثلاثة أصناف:

أ - نسخ التلاوة والحكم: ويقصدون منه أن الله - سبحانه - كان قد أنزل من القرآن آياً أو سوراً على رسوله (ص) تتضمن حكماً شرعياً ثم نسخ تلاوة ذلك القرآن، فلم يكتب في المصحف المتداول بين المسلمين، ونسخ حكمه من شريعة الإسلام.

ب - نسخ التلاوة دون الحكم: ويقصد منه أن الله - سبحانه - كان قد أنزل

(١) مفردات الراغب والمعجم الوسيط مادة (نسخ).

(٢) قال أبو الوليد: (النسخ: إزالة الحكم الثابت بشرع متقدّم بشرع متأخر عنه على وجه، لولاه لكان ثابتاً).

كتاب الأصول في الحدود، تأليف الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي، (ت: ٤٧٤ هـ) ط. بيروت، سنة ١٣٩٢، ص ٤٩٠.

من القرآن آياً أو سوراً على رسوله (ص) ثم نسخ تلاوتها، فلم تكتب في المصحف المتداول بين المسلمين، وأبقى حكمها في شريعة الإسلام.

ج - نسخ الحكم دون التلاوة: ويقصد منه أن الله - سبحانه - أنزل من القرآن آياً عمل بها المسلمون، ثم نسخ تلك الآيات بآيات أخرى، وبقيت الآيات المسقاة منسوخة مكتوبة في المصحف، ونسخ حكمها.

مُصْطَلَحَات عَقَائِدِ الْإِسْلَام

- ❁ مشيئة الله
- ❁ البداء
- ❁ الجبر والتفويض
- ❁ القضاء والقدر
- ❁ الدين والإسلام
- ❁ الإيمان والمؤمن
- ❁ النفاق والمنافق



مرکز تحقیقات کلامیه و تفسیر علوم اسلامی

مشيئة الله رب العالمين

من صفات الله رب العالمين مشيئته في الهداية والرزق والعذاب والرحمة،
كما يأتي بيانها في أربعة بحوث:

أولاً - المشيئة في اللغة والقرآن الكريم: أ - المشيئة في اللغة:

في لغة العرب، شاء يشاء مشيئة: أراد إرادة، وبهذا المعنى أسندت المشيئة
إلى الناس في قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (المزمل ١٩) و(الإنسان ٢٩).
أي إن الإنسان إذا أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فإنه قادر على أن يفعل
ذلك بكامل حرّيته ومحض اختياره، وورد نظيره - أيضاً - في: سورة المدثر
(٥٥) وسورة عبس (١٢) والتكوير (٢٨) والكهف (٢٩) وغيرها من الموارد
في القرآن الكريم.

وبالمعنى اللغوي - أيضاً - أسندت المشيئة إلى الله سبحانه وتعالى في قوله:
١ - في سورة الفرقان:

﴿أَلَمْ تَر إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ (الآية ٤٥).

٢ - في سورة هود:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ

سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ
عَطَاءٌ غَيْرٌ يُجْذَوذُ ﴿ (الآيات ١٠٦-١٠٨).

وجاء نظيرهما - أيضاً - في سورة الإسراء (٨٦) والفرقان (٥١).

المعنى في الآيات الماضية :

١ - في المورد الأول قال سبحانه وتعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ شيئاً فشيئاً بعد الظهيرة من المغرب إلى
المشرق حسب اقتراب الشمس من الأفق، حتى إذا غربت كانت في نهاية
الامتداد في الليل ولو شاء لجعل الظل ساكناً دائماً، أي أن تَمُدُّ الظِّلَّ وتحركه
يجري بقدرة الله ووفق إرادته وليس خارجاً عن إرادته .

٢ - في المورد الثاني قال سبحانه وتعالى :

إِنَّ أَهْلَ النَّارِ خَالِدُونَ فِي النَّارِ أَبَدًا، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ خَالِدُونَ فِي الْجَنَّةِ أَبَدًا وَإِنَّ
ذَلِكَ كَائِنٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَلَيْسَ خَارِجاً عَنْ إِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ .
كان ذلكم من موارد اسناد المشيئة إلى الله وإلى الناس بمعناه اللغوي .

ب - مشيئة الله في الاصطلاح القرآني :

إذا أسندت المشيئة في القرآن الكريم إلى الله ما بعد مائة: الرزق والهداية
والعذاب والرحمة أريد بها جريان الرزق والهداية وأمثالها للإنسان وفق سنن
قررها لها الله وفق حكمته وإنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ لَن تَبَدَّلَ وَهِيَ إِذَا مِنْ
مصاديق قوله تعالى في سورتي الأحزاب (٣٨) و (٦٢) والفتح (٢٣) :

﴿ سُنَّةُ اللَّهِ ... وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

وقوله تعالى في سورة فاطر :

﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (الآية ٤٣).

كما يأتي بيانها بحوله تعالى .

ثانياً - مشيئة الله في الرزق :

جاء ذكر مشيئة الله في أمر الرزق في قوله تعالى :

١ - في سورة الشورى :

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَعْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الآية ١٢).

ونظيره في سورة الرعد (الآية ٢٦).

٢ - في سورة العنكبوت :

﴿وَكَايْنٍ مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَعْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ نَّزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الآية ٦٠ - ٦٣).

٣ - في سورة سبأ :

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَعْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (الآية ٣٩).

٤ - في سورة الإسراء :

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَعْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ

خَطَنَّا كَبِيرًا * ... وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوتُمْ
بِالْقِسَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ (الآيات ٢٩ - ٣١ و ٣٤، ٣٥).

٥ - في سورة آل عمران :

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ
وَتُعْزِّزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُوَلِّجُ
الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ
الْحَيِّ وَتَزُودُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الآيتان ٢٦، ٢٧).

ما هي مشيئة الله في أمر الرزق ؟

لقد مررنا في بحث «جزاء الأعمال» أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل توسعة
الرزق في صلة الرَّحِم، جُعِلَ الولد يرث أثر صلاح أبيه، كما مررنا في خبر
موسى والعبد الصالح عندما بنى جداراً يريد أن ينقضَّ ليبقى الكنز المدفون
لليتيمين لأنَّ أباهما كان صالحاً وليستخرجاه عندما يبلغان أشدهما، وهذان
مثالان لمشيئة الله في أمر الرزق وإنها تجري وفق سنن لا تتبدل.

ثالثاً - مشيئة الله في الهداية :

يأتي ذكر هداية الإنسان في القرآن بمعنيين :

١ - بمعنى تعليم الإنسان عقائد الإسلام وأحكامه :

ويسنده القرآن غالباً إلى الأنبياء الذين بعثهم الله لتبليغ الإنسان عقائد
الإسلام وأحكامه .

وأحياناً يسنده إلى الله جلَّ اسمه لأنَّه الذي أرسل الأنبياء بدين الإسلام .

٢ - بمعنى توفيق الله الإنسان إلى الإيمان بعقائد الإسلام والعمل بأحكامه .
وهذا ما يسنده القرآن إلى الله وحده، تارة مع وصف أن هذه الهداية من
مشيئة الله، وأخرى بدون ذكر مشيئة الله .

وفي ما يأتي أمثلة من مواردنا في القرآن الكريم :
وقد اشترط الله لهذا النوع من الهداية أن يرضاها الناس ويختاروها
وباشروا العمل من أجل الوصول إليها كما يأتي بيانها في ثلاثة بحوث بحوله
تعالى .

أ - الهداية بمعنى التعليم :

أسند القرآن هداية الناس بمعنى تبليغ الإسلام إلى الأنبياء في موارد منها
الآيات الآتية :

١ - في سورة الشورى :

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (الآيتان ٥٢، ٥٣) .

وأحياناً يأتي اسناد عن الأنبياء في الهداية إلى الله تعالى كما قال سبحانه :

٢ - في سورة الأنبياء :

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...﴾ (الآية ٧٣) .

٣ - في سورة الفتح :

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ (الآية ٢٨) .

وبهذا المعنى - أيضاً - اسندت الهداية إلى الكتب السماوية مثل قوله تعالى :

١ - في سورة البقرة :

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى

وَالْفُرْقَان ﴿ (الآية ١٨٥).

٢ - في سورة آل عمران:

﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ (الآيتان ٣، ٤).

وقد يأتي في القرآن اسناد الهداية التعليمية إلى الله جلّ اسمه مثل قوله تعالى:

١ - في سورة البلد في وصف الإنسان:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (الآيات ٨ -

١٠).

٢ - في سورة فصلت:

﴿وَأَمَّا نُمُودُ فَبَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ (الآية ١٧).

إذاً فإن الله تبارك وتعالى يسند الهداية بمعنى تعليم الإسلام إلى أنبيائه وكتبه تارة، وإلى نفسه تبارك وتعالى تارة أخرى؛ لأنه الذي أرسل الرُّسُل بتلك الكتب لتعليم الناس، ثم يأتي بعد ذلك دور الإنسان في قبول الهداية أو رفضها كالاتي بيانه بحوله تعالى.

ب - اختيار الإنسان الهداية أو الضلالة وآثارهما:

بعد إرسال الله الأنبياء بالكتب إلى الناس فإن الناس ينقسمون إلى فريقين: فريق يختارون الهداية على الضلالة، وفريق يختارون الضلالة على الهداية كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم في الآيات الآتية وقال عز اسمه:

١ - في سورة النمل:

﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمِنْ هَدًى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ

الْمُنْذِرِينَ﴾ (الآية ٩٢).

٢ - في سورة يونس :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (الآية ١٠٨).

ونظيرها في سورة الإسراء (١٥).

ويأتي بعد ذلك توفيق الله سبحانه وتعالى للمهتدي، كما أخبر الله عز اسمه وقال :

١ - في سورة مريم :

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ (الآية ٧٦).

٢ - في سورة محمد :

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (الآية ١٧).

إنَّ الَّذِينَ اخْتَارُوا الْهُدَايَةَ بعد إرسال الرّسل، وجاهدوا في سبيل الله، استحقوا توفيق الله لهم، والذين كَذَّبُوا الرّسول واتبَعُوا هوى النفس حَقَّتْ عليهم الضلالة، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنها وقال :

١ - في سورة المنكَبوت :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الآية ٦٩).

٢ - في سورة النحل :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنِ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَيَّ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ... ﴾ (الآيات ٣٦ و ٣٧).

٣ - في سورة الأعراف:

﴿قَرِيبًا هَدَىٰ وَقَرِيبًا حَقًّا عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الآية ٣٠).
وهذا النوع من الهداية هو الذي يأتي بمشيئة الله، كما يأتي بيانه بحوله تعالى.

ج - الهداية بمعنى توفيق الإيمان والعمل مسندة إلى مشيئة الله
جاء ذكر الهداية بمعنى توفيق الإيمان والعمل مسندة إلى مشيئة الله في قوله تعالى:

١ - في سورة البقرة:

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة ١٤٢ و ٢١٣) و (النور ٤٦) و (يونس ٢٥).

٢ - في سورة الأنعام:

﴿... مَن يَشَأُ اللَّهُ يُضِلِّلْهُ وَمَن يَشَأُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الآية ٣٩).

٣ - في سورة القصص:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (الآية ٥٦).

شرح الكلمات

صراط مستقيم:

الصراط من السبيل الواضح، والمستقيم بلا التواء فيه.

والصراط المستقيم من أمر الدين ما شرحه الله تعالى في سورة الفاتحة

وقال:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الآية

٧).

وقد بين الله تعالى من أنعم عليهم في سورة مريم وقال بعد ذكره خبر زكريا ويحيى ومريم وعيسى (ع): واذكر في الكتاب إبراهيم... (وأذكر في الكتاب موسى... و.. إسماعيل و.. إدريس) ثم قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ... وَثُمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ (مريم

١ و٦٣).

وصراطهم هو دين الإسلام الذي كانوا يدعون إليه، وسيرتهم في عملهم بالإسلام.

والمغضوب عليهم هم اليهود خاصة كما وصفهم الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وقال عز اسمه:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (الآية ٦١).

وكذلك في سورة آل عمران الآية (١١٢).

و﴿وَالضَّالِّينَ﴾ الضَّالُّون هم الذين لا يتخذون الإسلام ديناً كافة كما صرح بذلك تبارك وتعالى في سورة آل عمران وقال عز من قائل:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ... وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ (الآيات ٨٥ - ٩٠).

يهدي: راجع شرحه في بحث هداية رب العالمين للأصناف الأربعة من الخلق.

رابعاً - مشيئة الله في العذاب والرحمة :

قد جاء ذكر مشيئة الله في العذاب والرحمة في موارد من القرآن الكريم منها الآيات الآتية :

أ - في سورة الأعراف حكاية قول كليم الله موسى (ع) :

﴿وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالٌ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ يُجِزُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الآيتان ١٥٦، ١٥٧).

ب - في سورة الأنبياء :

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَخْلَامٍ بَلْ أَفْتَاءُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ * مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ * ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ * لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الآيات ١ - ١٠).

ج - في سورة الإسراء:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كَلَّا نَبْدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الآيات ١٨ - ٢٠).

د - في سورة الإنسان:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَبِيلًا * نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا * إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الآيات ٢٧ - ٣١).



كان ذلك معنى مشيئة الله رب العالمين، ومن صفات الله تعالى أنه يحو ما يشاء ويثبت، كما يأتي معناه في البحث الآتي بإذنه تعالى.

البداء أو يَمْحُو الله ما يشاء وَيُثَبِّت

أولاً - البداء في اللغة :

للبداء في اللغة معنيان :

أ - بدا الأمر بُدْواً وبداءً: ظهر ظهوراً بيّناً.

ب - بدا له في الأمر كذا: جدّ له فيه رأي، نشأ له فيه رأي.

ثانياً - البداء في مصطلح علماء العقائد الإسلامية :

بدا لله في أمرٍ بداءً أي ظهر له في ذلك الأمر ما كان خافياً على العباد.

وأخطأ من ظنّ أن المقصود من بدا لله في أمرٍ بداءً جدّ له في ذلك الأمر

غير الأمر الذي كان له قبل البداء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثالثاً - البداء في القرآن :

أ - قال الله تعالى في سورة الرعد :

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (الآيتان ٧ و ٢٧).

ثم قال تعالى :

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ * يَمْحُو اللَّهُ مَا

يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ * وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ

نَتَوَفِّيكَ فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (الآيات ٢٨ - ٤٠).

شرح الكلمات

١ - آية:

الآية في اللغة: العلامة الظاهرة كما قال الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وسُميت معجزات الأنبياء آية لأنها علامة على صدقهم وعلى قدرة الله الذي مكّنه من الإتيان بتلك المعجزة، مثل عصا موسى وناقته صالح، كما جاءت في الآية (٦٧) من سورة الشعراء والآية (٧٣) من سورة الأعراف. وكذلك سُمي القرآن أنواع العذاب الذي أنزله الله على الأمم الكافرة بالآية والآيات، كقوله تعالى في سورة الشعراء عن قوم نوح:

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ (الآيتان ١٢٠، ١٢١).

وعن قوم هود:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ (الآية ١٣٩).

وعن قوم فرعون في سورة الأعراف:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ (الآية ١٣٣).

٢ - أجل:

الأجل: مدة الشيء والوقت الذي يحدّد لحلول أمرٍ وأنتهائه، يقال: جاء أجله إذا حان موته، وضربت له أجلاً: أي وقتاً محدّداً لعمله.

٣ - كتاب:

للكتاب معانٍ متعدّدة، والمقصود منها هنا: مقدار مكتوب أو مقدّر، ويكون معنى (لكلّ أجلٍ كتاب): لوقت إتيان الرّسول بآية زمان مقدّر معيّن.

٤ - يحو :

محاه في اللّغة : أزالته وأبطله ، أو أزال أثره مثل قوله تعالى :

أ - في سورة الإسراء :

﴿ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ (الآية ١٢).

وآية اللّيل هي اللّيل ، ومحو اللّيل : إزالته .

ب - في سورة الشورى :

﴿ وَنُخِّثُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ (الآية ٢٤).

أي يذهب بآثار الباطل .

تفسير الآيات

أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أن كفار قريش طلبوا من رسول الله (ص) أن يأتيهم بآيات ، كما بيّن طلبهم ذلك في قوله تعالى في سورة الإسراء :

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً * ... أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَّمْتَ عَلَيْنَا كِسْفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً ﴾ (الآيتان ٩٠ و ٩٢).

وقال في الآية (٣٨) من سورة الرعد : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ ﴾ مقترحة عليه ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وأن لكل أمر وقتاً محدداً سُجِّلَ في كتاب .

واستثنى منه في الآية بعدها وقال : ﴿ يَمُحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ من ذلك الكتاب ما كان مكتوباً فيه من رزق وأجل وسعادة وشقاء وغيرها ﴿ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ ﴾ مما لم يكن مكتوباً في ذلك الكتاب ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أي أصل الكتاب وهو اللّوح المحفوظ الذي لا يُغَيَّرُ ما فيه ولا يُبَدَّل .

وبناءً على ذلك قال بعدها : ﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ من

العذاب في حياتك ﴿أَوْ تَتَوَفَّيْكَ﴾ قبل ذلك ﴿فَأَنَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ فحسب ...
ويدلّ على ما ذكرناه ما رواه الطبري والقرطبي وابن كثير في تفسير الآية
وقالوا ما موجهه:

إنّ الخليفة عمر بن الخطاب كان يطوف بالبيت ويقول: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ
كُتِبْتَنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ فَأَثْبِتْنِي فِيهَا، وَإِنْ كُنْتُ كُتِبْتَنِي فِي أَهْلِ الشَّقَاوَةِ
وَالذُّنْبِ فَامْحِنِي وَأَثْبِتْنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالْمَغْفَرَةِ، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثَبِّتُ،
وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ.

وروي عن الصحابي ابن مسعود أنّه كان يقول:

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كُتِبْتَنِي فِي السَّعْدَاءِ فَأَثْبِتْنِي فِيهِمْ، وَإِنْ كُنْتُ كُتِبْتَنِي فِي
الْأَشْقِيَاءِ فَامْحِنِي مِنَ الْأَشْقِيَاءِ وَآكُتِبْنِي فِي السَّعْدَاءِ، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ
وَتُثَبِّتُ، وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ.

وروي عن أبي وائل أنّه كان يكثر أن يدعو: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كُتِبْتَنَا أَشْقِيَاءَ
فَامْحِ وَأَكُتِبْنَا سَعْدَاءَ، وَإِنْ كُنْتُ كُتِبْتَنَا سَعْدَاءَ فَأَثْبِتْنَا، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ
وَتُثَبِّتُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ^(١).

وفي البحار: «وإن كنت من الأشقياء فامحني من الأشقياء واكتبني من
السَّعْدَاءِ، فَإِنَّكَ قُلْتَ فِي كِتَابِكَ الْمَنْزِلَ، عَلَى نَبِيِّكَ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿يَمْحُو
أَلْفَهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾»^(٢).

(١) أخرج الأحاديث الثلاثة الطبري بتفسير الآية، وأبو وائل شفيق بن سلمة
الأسدي الكوفي. قال في ترجمته بهذيب التهذيب: ثقة محضرم، أدرك عهد الصحابة
والتابعين، مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وله مائة سنة. أخرج له جميع أصحاب
الصُّحاح والسُّنن (١٠ / ٣٥٤).

(٢) البحار (٩٨ / ١٦٢).

واستدل القرطبي - أيضاً - على هذا التأويل بما روى عن صحيح البخاري ومسلم أن رسول الله (ص) قال:

(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ - أَجَلُهُ - فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ).
وفي رواية: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمُدَّ اللَّهُ فِي عُمُرِهِ وَيُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)^(١).

ونقل عن ابن عباس أنه قال في جواب من سأله وقال: كيف يزداد في العمر والأجل؟

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجْلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ فالأجل الأول أجل العبد من حين ولادته إلى حين موته، والأجل الثاني - يعني المسمى عنده - من حين وفاته إلى يوم يلقاه في البرزخ لا يعلمه إلا الله، فإذا أتقَى العبد ربه ووصل رحمه، زاده الله في أجل عمره الأول من أجل البرزخ ما شاء، وإذا عصى وقطع رحمه، نقصه الله من أجل عمره في الدنيا ما شاء، فيزيده من أجل البرزخ... الحديث^(٢).

وأضاف ابن كثير على هذا الاستدلال وقال ما موجهه:

وقد يستأنس لهذا القول ما رواه أحمد والنسائي وابن ماجه عن النبي (ص) أنه قال:

(إِنَّ الرَّجُلَ لَيُخْرَمَ الرِّزْقُ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَلَا يَزِيدُ

(١) صحيح البخاري (٣ / ٣٤) كتاب الأدب، باب ١٢ و ١٣، وصحيح مسلم ص ١٩٨٢ الحديث ٢٠ و ٢١ من باب صلة الرحم، ومسنند أحمد (٣ / ١٥٦ و ٢٤٧ و ٢٦٦) و (٥ / ٧٦).

(٢) تفسير القرطبي (٩ / ٣٢٩ - ٣٣١).

في العُمرِ إِلَّا البرَّ^(١).

وقال: وفي حديث آخر:

(إِنَّ الدُّعَاءَ وَالْقَضَاءَ لَيُغْتَلِبَانِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)^(٢).

كان ما ذكرناه وجهاً واحداً مما ذكروه في تأويل هذه الآية وذكرها معها وجوهاً أخرى في تأويل الآية مثل قولهم:

إنَّ المراد محو حكم وإنابات آخر، أي نسخ الأحكام، والصواب في القول، أنه يعمُّ الجميع وهذا ما اختاره القرطبي - أيضاً - وقال:
(... الآية عامة في جميع الأشياء وهو الأظهر والله أعلم)^(٣).

وروى الطبري والسيوطي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِبُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: يَقْدُرُ اللَّهُ أَمْرَ السَّنَةِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَّا السَّعَادَةَ وَالشَّقَاءَ^(٤).

يمحو الله ما يشاء وَيُنْثِبُ قال: من أحد الكتابين هما كتابان يمحو الله من أحدهما وَيُنْثِبُ وعنده أُمُّ الكتاب أي حملة الكتاب^(٥).

ب - قال سبحانه وتعالى في سورة يونس:

﴿قُلْ لَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْحِزْبِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَمَتْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (الآية ٩٨).

(١) والرواية في سنن ابن ماجه، المقدمة، باب ١٠، الحديث ٩٠.

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٥١٩).

(٣) تفسير القرطبي (٩ / ٣٢٩).

(٤) تفسير الطبري (١٣ / ١١١) والسيوطي واللفظ للطبري.

(٥) تفسير السيوطي (٤ / ٦٥) عن ابن جرير الطبري والحاكم قال وصححه.

شرح الكلمات

أ - كَشَفْنَا:

كشف عنه الغم: أزاله، وكشف العذاب: أزاله.

ب - الحِزْبِي:

خِزْي خِزْيًا: هان وأفتضح.

ج - حين:

الحين، الوقت والمدة من غير تحديد في معناه بِقَلَّةٍ أو كَثَرَةٍ.

تفسير الآية

قصة يونس بإيجاز كما في تفسير الآية بتفسير الطبري والقرطبي ومجمع البيان^(١): أَنَّ قوم يونس كانوا بنيونى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم يونس (ع) يدعوهم إلى الإسلام وترك ما هم عليه فأبوا، وتبعه منهم عابد وشيخ من بَقِيَّةِ علمائهم وكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم والعالم ينهأ ويقول له: لا تدعُ عليهم فإنَّ الله يستجيب لك ولا يحبُّ هلاك عباده. فقبل يونس قول العابد فأخبر الله تعالى أَنَّهُ يأتِيهم العذاب في شهر كذا في يوم كذا، فأخبرهم يونس بذلك فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيهم وقال قومه:

لم تُجَرِّب - يونس - عليه كذباً فانظروا فإن بات فيكم الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا أَنَّ العذاب مُصْبِحكم، فلما كان في جوف اللَّيْلِ خرج يونس من بين أظهرهم ولَمَّا علموا ذلك ورأوا آثار العذاب وأيقنوا بالهلاك

(١) مجمع البيان (٣ / ١٣٥)، القرطبي (٨ / ٣٨٤)، الطبري (١١ / ١١٨)، والدر

المنتور (٣ / ٣١٧).

ذهبوا إلى العالم فقال لهم: افزعوا إلى الله فإنه يرحمكم ويردّ العذاب عنكم،
 فاخرجوا إلى المفازة وفرّقوا بين النّساء والأولاد وبين سائر الحيوان وأولادها
 ثمّ ابكوا وادعوا، ففعلوا. خرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسانهم وصبيانهم
 ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الإيمان والتوبة وأخلصوا النّية وفرّقوا بين
 كلّ والدّة وولدها من النّاس والأنعام، فحنّ بعضها إلى بعض وعلت أصواتها
 واختلطت أصواتها بأصواتهم وتضرّعوا إلى الله عزّ وجلّ وقالوا آمنا بما جاء
 به يونس، فرحمهم ربّهم واستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعدما
 أظلمهم، بعد أن بلغ من توبتهم إلى الله، ردّوا المظالم بينهم حتى أن كان الرّجل
 ليأتي الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيقتلعه ويردّه وكذلك محّا الله
 العذاب عن قوم يونس بعد أن تابوا وكذلك يمحّو الله ما يشاء ويثبت وعنده
 أمّ الكتاب.

ج - قال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف:

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِمَقَرٍّ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾
 (الآية ١٤٢).

وقال في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾
 (الآية ٥١).

رابعاً - البداء في روايات مدرسة الخلفاء:

روى الطيالسي وأحمد وابن سعد والترمذي واللفظ للطيالسي بإيجاز.

قال قال رسول الله (ص):

إِنَّ اللَّهَ أَرَى آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ فَرَأَى رَجُلًا أَزْهَرَ سَاطِعًا نُورَهُ.

قال: يا ربَّ مَنْ هذا؟

قال: هذا أَبْنُكَ داود!

قال: يا ربَّ فما عُمرُهُ؟

قال: ستونَ سَنَةٍ!

قال: يا ربَّ زِدْ في عُمرِهِ!

قال: لا إِلَّا أَنْ تَزِيدَهُ مِنْ عُمرِكَ!

قال: وما عُمرِي!

قال: أَلْفَ سَنَةٍ!

قال آدم: فَقَدْ وَهَبْتُ لَهُ أَزْبَعَيْنِ سَنَةٍ مِنْ عُمرِي.

..... فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ وَجَاءَتْهُ الْمَلَأِكَةُ قَالَ: قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمرِي أَزْبَعُونَ سَنَةً.

قالوا: إِنَّكَ قَدْ وَهَبْتَهَا لِدَاوُدَ...^(١).

هذه الرواية بالاضافة إلى ما سبق إيراده من أخبار آثار صلة الرحم ونظائرها بمدرسة الخلفاء من مصاديق ﴿يَتِمُّوْا اللّٰهَ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

وقد سَمَّى أُمَّةَ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع) المَحو والاثبات بالبداة كما سندرسه إن شاء الله تعالى في ما يأتي.

(١) الطيالسي ص ٣٥٠، الحديث ٢٦٩٢، ومسند أحمد (١ / ٢٥١ و ٢٩٨ و ٣٧١)، وطبقات ابن سعد ط. أوروبا (ج ١ / ق ١ / ٧ - ٩)، وسنن الترمذي (١١ / ١٩٦، ١٩٧) بتفسير سورة الأعراف، وفي البحار (٤ / ١٠٢، ١٠٣) عن الباقر (ع) باختلاف يسير في اللفظ.

خاصاً - البداء في روايات أئمة أهل البيت (ع):

في البحار عن أبي عبدالله (الإمام الصادق) (ع) قال: (ما بعث الله عز وجل نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار بالعبودية، وخلع الأنداد، وأن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء) (١).

وفي رواية أخرى وصف الإمام الصادق (ع) هذا الأمر بالمحو والاثبات وقال: (ما بعث نبياً قط حتى يأخذ عليه ثلاثاً: الإقرار لله بالعبودية وخلع الأنداد، وأن الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء) (٢).

وفي رواية ثالثة سمى المحو والإثبات بالبداء، وقال ما موزره: (ما تنبأ نبي قط حتى يقر لله تعالى... بالبداء) الحديث (٣).

وعن الإمام الرضا (ع) أنه قال: (ما بعث نبياً قط إلا بتحريم المحتر، وأن يقر له بالبداء) (٤).

وفي رواية أخرى أخبر الإمام الصادق (ع) عن زمان المحو والاثبات وقال: (إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتب إلى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون من قضاء الله تعالى في تلك السنة فإذا أراد الله أن يقدم شيئاً أو يؤخره أو ينقص شيئاً أمر الملك أن يمحو ما يشاء ثم أثبت الذي أراد) (٥).

وأخبر الإمام الباقر (ع) عن ذلك وقال ما موزره: (تنزل فيها الملائكة والكتب إلى سماء الدنيا فيكتبون ما هو كائن في أمر السنة وما يصيب العباد

(١) (٣)، (٤) البحار (٤ / ١٠٨)، نقلاً عن توحيد الصدوق.

(٢) البحار (٤ / ١٠٨)، نقلاً عن المحاسن.

(٥) البحار (٤ / ٩٩)، عن تفسير علي بن إبراهيم.

فيها. قال: وأمر موقوف لله تعالى فيه المشيئة يقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء، وهو قوله تعالى: يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب^(١).

وفي حديث آخر له قال: (في قول الله: ﴿وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾).

إن عند الله كتباً موقوتة يقدم منها ما يشاء ويؤخر فإذا كان ليلة القدر أنزل الله فيها كل شيء يكون إلى ليلة مثلها، وذلك قوله: ﴿لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ إذا أنزل، وكتبه كتاب السماوات وهو الذي لا يؤخره^(٢).

وروى المجلسي في هذا الباب خبر هبة آدم (ع) أربعين سنة من عمره لداود (ع) الذي أوردناه آنفاً في روايات مدرسة الخلفاء^(٣).

هذا هو البداء في أخبار أئمة أهل البيت (ع) وأما البداء بمعنى أن الله جد له رأي في أمر لم يكن يعلمه - معاذ الله - فقد قال أئمة أهل البيت (ع) فيه ما رواه المجلسي عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: (مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْدُو لَهُ فِي شَيْءٍ لَمْ يَعْلَمْهُ أَمْسٌ فَابْرُؤُوا مِنْهُ)^(٤).

أثر الاعتقاد بالبداء

لو اعتقد الإنسان أن من الناس من كُتِبَ في السعداء فلن تتبدل حاله ولن يكتب في الأشقياء، ومنهم من كُتِبَ في الأشقياء فلن تتبدل حاله ولن يكتب في السعداء، وجف القلم بما جرى لكل إنسان، عندئذ لا يتوب العاصي من

(١) البحار (٤ / ١٠٢)، نقلاً عن أمالي الشيخ المفيد.

(٢) البحار (٤ / ١٠٢)، نقلاً عن تفسير علي بن إبراهيم.

(٣) البحار (٤ / ١٠٢)، عن علل الشرائع.

(٤) البحار (٤ / ١١١)، نقلاً عن إكمال الدين.

معصيته بل يستمرّ في ما هو عليه لاعتقاده بأنّ الشقاء قد كُتِبَ عليه ولن تتغيّر حاله، ومن الجائز أن يوسوس الشيطان إلى العبد المنيب أنّه من السعداء ولن يكتب في الاشقياء وتؤدّي به الوسوسة إلى التساهل في الطاعة والعبادة، وعدم استيعاب بعض المسلمين معاني الآيات والروايات المذكورة في المشيئة، اعتقد بعضهم أنّ الإنسان مجبور على ما يصدر منه وآخرون على أنّ الأمر كلّه مفوّض للإنسان، كما سندرسه في البحث الآتي لنعرف الحق في ذلك بإذنه تعالى.

الجبر والتفويض

معنى الجبر والتفويض والاختيار

الجبر والتفويض والاختيار:

أ - الجبر في اللغة:

جَبَرَهُ عَلَى الْأَمْرِ وَأَجَبَرَهُ: قَهَرَهُ عَلَيْهِ، وَأَكْرَهَهُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِهِ.

ب - الجَبْرُ في مصطلح علماء العقائد الإسلامية:

الجَبْرُ: إجبارُ الله تعالى عبادةً على ما يفعلون، خيراً كان أو شراً، حسناً كان أو قبيحاً، دون أن يكون للعبد إرادةٌ واختيارُ الرِّفْضِ والإِمتِناعِ، ويرى الجبرية الجبر مذهباً يرى أصحابه أنَّ كُلَّ ما يحدث للإنسان قُدْرٌ عليه أزلاً، فهو مسيرٌ لا مخيرٌ، وهو قول الأشاعرة^(١).

ج - التفويض في اللغة:

فَوَّضَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ تَفْوِيضاً: جَمَلَ لَهُ التَّصَرُّفَ فِيهِ.

د - التفويض في مصطلح علماء العقائد الإسلامية:

هو أنَّ الله تعالى فَوَّضَ أفعال العباد إليهم، يفعلون ما يشاؤون، على وجه الإستقلال، دون أن يكون لله سلطان على أفعالهم، وهو قول المعتزلة^(٢).

(١) راجع تعريف الأشاعرة في الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١ / ١١٩ - ١٥٣).

(٢) راجع تعريف المعتزلة في الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١ / ٥٥ - ٥٧).

هـ - الاختيار في اللغة :

خيرّه : فوّض إليه الاختيار بين أمرين أو شيئين أو أكثر .

و - الاختيار في مصطلح علماء العقائد الإسلامية :

إنّ الله سبحانه كلّف عباده بواسطة الأنبياء والرّسل ببعض الأفعال ونهاهم عن بعض آخر ، وأمرهم بطاعته في ما أمّر به ونهى عنه بعد أن منحهم القوّة والإرادة على الفعل والترك وجعل لهم الاختيار في ما يفعلون دون أن يجبر أحداً على الفعل .

القضاء والقدر

تستعمل مادّتا القضاء والقدر لعدّة معانٍ منها: في ما يخص البحث من مادة القضاء .

أ - قضى أو يقضى بين المتخاصمين كقوله تعالى :

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس / ٩٣) و(الجاثية / ١٧).

ب - قضى الله الأمر: أنبأه به كقوله تعالى في ما أخبر به لوطاً عن مصير قومه في سورة الحجر:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ (الآية ٦٦).
أي أنبأناه.

ج - قضى الله الشيء، وبه: أوجبه، أمر به كقوله تعالى في سورة الإسراء:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الآية ٢٣).

أي أمر ربك وأوجب عليكم إلّا تعبدوا إلّا إياه.

د - قضى الله الأمر أو الشيء: تعلّقت إرادته به، قدّره كقوله تعالى في سورة البقرة:

﴿وَإِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ فَانْمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (الآية ١١٧).

أي إذا أراد أمراً.

وقوله تعالى في سورة الأنعام:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ (الآية ٢).

أي قدّر لكل إنسان مدّة يحيا فيها.

ومن مادة القدر:

أ - قدر على الشيء أو العمل: استطاع أن يفعله، يتغلب عليه فهو قادر،
والقدير: ذو القوة كقوله تعالى:

١ - في سورة يس:

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾
(الآية ٨١).

٢ - في سورة البقرة:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
(الآية ٢٠).

أي ذو القدرة على فعل كل شيء على قدر ما تقتضي الحكمة.
ب - قَدَرَ:

١ - قَدَرَ الرِّزْقَ عليه وَيَقْدِرُ: ضيقه كقوله تعالى في سورة سبأ:
﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الآية ٣٦).

٢ - قدر الله الأمر بقدره: دبره أو أراد وقوعه، كقوله تعالى في سورة
المرسلات:

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (الآية ٢٣).

ج - قَدَرَ:

١ - قَدَرَ الله الأمر: قضى به أو حكم بأن يكون، كقوله تعالى في شأن
زوجة لوط، في سورة النمل:

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (الآية ٥٧).

أي حكمنا، أو قضينا عليها بأن تكون من المالكين.

٢ - قَدَرَ في الأمر: تمهل وتروى في إنجازه كقوله تعالى في سورة سبأ

مخاطباً داود (ع): ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّيِّدِ﴾ (الآية ١١).

أَي تَهْل وَتَرَوْ فِي صُنْعِهِ كَيْ تَحْكَم عَمَلِهِ.

د - الْقَدَر :

١ - الْقَدَر : المقدار والكمية ، كقوله تعالى في سورة الحجر : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ

إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الآية ٢١).

أَي بِمِقْدَارٍ وَكَمِيَّةٍ مَعْلُومَةٍ .

٢ - قَدَّرَ الشَّيْءَ : زَمَانَهُ أَوْ مَكَانَهُ ، كقوله تعالى في سورة المرسلات :

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾

(الآيات ٢٠ - ٢٢).

أَي إِلَى زَمَانٍ مُحَدَّدٍ مَعْلُومٍ .

٣ - قَدَّرَ اللَّهُ : قَضَاؤُهُ الْمُحْكَمَ ، أَوْ حَكْمَهُ الْمُبْرَمَ عَلَى خَلْقِهِ ، كقوله تعالى في

سورة الأحزاب :

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (الآية ٣٨).

أَي قَضَاءٌ مُحْكَمًا ، وَحُكْمًا مُبْرَمًا .

لَعَلَّ تَعَدَّدَ مَعَانِي مَا يَنْسَبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ مَادَّيِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، قَدْ أَدَّى إِلَى

لِبَسٍ مَعْنَى مَا وَرَدَ مِنْهَا فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَاعْتِقَادِ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّ

الْإِنْسَانَ يَسِيرُ فِي حَيَاتِهِ ، فِي كُلِّ مَا يَعْمَلُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَفَقَ مَا قَضَى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَقَدَّرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ . وَيُطْلَقُ فِي الْأَخْبَارِ لَفْظُ الْقَدَرِيِّ عَلَى الْجَبَرِيِّ

وَالْتَفْوِيزِيِّ كُلِّهِمَا^(١) . وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْقَدَرَ اسْمٌ لِلشَّيْءِ وَضِدُّهُ كَالْقُرْءِ ، اسْمٌ

لِلْحَيْضِ وَالطَّهْرِ مَعًا . وَلَا تُطِيلُ الْبَحْثَ بِإِيرَادِ أَقْوَالِ الْمُعْتَظِدِينَ بِذَلِكَ ، وَالْإِجَابَةُ

عليها، وأما نكتني بإيراد الأحاديث التي نجد فيها جواباً لتلك الأقوال توضيحاً وبياناً للأمر بحوله تعالى.

روايات من أئمة أهل البيت (ع) في القضاء والقدر

أولاً: عن أول أئمة أهل البيت علي بن أبي طالب (ع) روي في توحيد الصدوق بسنده إلى الإمام الحسن (ع)، وفي تاريخ ابن عساكر بسنده إلى ابن عباس واللفظ للأول قال:

دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين (ع)، فقال: أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام أبقياء من الله وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين (ع): أجل يا شيخ، فوالله ما علوتم تلمة ولا هبطتم بطن وإلا بقضاء من الله وقدر، فقال الشيخ: عند الله احتسب عنائي^(١) يا أمير المؤمنين، فقال: مهلاً يا شيخ، لعلك تظن قضاء حتماً وقدرًا لازماً^(٢) لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي الزجر، ولسقط معنى الوعيد والوعد، ولم يكن على مسيء لائمة ولا لمحسنٍ محمّدة، ولكان المحسن أولى بالائمة من المذنب والمذنب أولى بالإحسان من المحسن^(٣) تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء

(١) أي إن كان خروجنا وجهادنا بقضائه وتعالى وقدره لم نستحق أجراً، فرجائي أن يكون عنائي عند الله محسوباً في عداد أعمال من يتفضل عليهم بفضله يوم القيامة.

(٢) بالمعنى الذي زعمته الجبرية.

(٣) لأنهما في أصل الفعل سيان، إذ ليس بقدرتها وإرادتها مع أن المحسن يمدحه الناس وهو يرى ذلك حقاً له وليس كذلك فليستحق الائمة دون المذنب، والمذنب يذمه الناس وهو يرى ذلك حقاً عليه وليس كذلك فليستحق الإحسان كي ينجر تحمله لأذى ذم الناس دون المحسن.

الرَّحْمَنِ وَقَدَرِيَّةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَجَبَّحَهَا. يَا شَيْخُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّفَ تَخْيِيرًا، وَنَهَى تَحْذِيرًا، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا، وَلَمْ يُعْصَ مَقْلُوبًا، وَلَمْ يُطْغَ مُكْرَهًا، وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ^(١).

قال: فنهض الشيخ وهو يقول:

«أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بَطَاعَتَهُ يَوْمَ النِّجَاةِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانًا»
«أَوْضَحْتَ مِنْ دِينِنَا مَا كَانَ مُلْتَبَسًا جِزَاكَ رَبُّكَ عَنَّا فِيهِ إِحْسَانًا»
«فَلَيْسَ مَعْذِرَةً فِي فِعْلِي فَاجِشَةً قَدْ كُنْتُ رَاكِبَهَا فَسَقًا وَعِضْيَانًا»^(٢)

ثانيًا: عن السادس من أئمة أهل البيت (ع)، الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع): إِنَّ النَّاسَ فِي الْقَدَرِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَجْبَرَ النَّاسَ عَلَى الْمَعَاصِي فَهَذَا قَدْ ظَلَمَ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَرَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ الْأَمْرَ مَفْوُضٌ إِلَيْهِمْ فَهَذَا قَدْ أَوْهَنَ اللَّهَ فِي سُلْطَانِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَرَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ كَلَّفَ الْعِبَادَ مَا يَطِيقُونَ وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ مَا لَا يَطِيقُونَ وَإِذَا أَحْسَنَ حَمْدَ اللَّهِ وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ فَهَذَا مُسْلِمٌ بَالِغٌ^(٣).

(١) كما في سورة ص: ٢٧.

(٢) توحيد الصدوق ص ٢٨٠، وترجمة الإمام علي (ع) في تاريخ ابن عساكر (٣/ ٢٣١) تحقيق الشيخ الحمودي.

(٣) توحيد الصدوق ص ٣٦٠ - ٣٦١.

ثالثاً: وعن الثامن من أئمة أهل البيت الإمام أبي الحسن الرضا (ع) قال:

أ - إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُطْعَ بِإِكْرَاهٍ، وَلَمْ يُغْصَ بِغَلْبَةٍ، وَلَمْ يُهْمَلِ الْعِبَادَ فِي مُلْكِهِ، هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مُلْكُهُمُ وَالْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَتَمَّرَ الْعِبَادُ بِطَاعَتِهِ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ مِنْهَا صَادِقاً، وَلَا مِنْهَا مَانِعاً، وَإِنْ أَتَمَّرُوا بِمَعْصِيَتِهِ فَشَاءَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ فَعَلَّ وَإِنْ لَمْ يَحُلْ وَفَعَلُوا فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُمْ فِيهِ ^(١).

يعني أن الإنسان الذي اطاع الله لم يكن مجبراً على الطاعة، والإنسان الذي عصاه لم يغلب مشيئة الله بل الله شاء أن يكون العبد مختاراً في فعله.

ب - قال:

قال الله تبارك وتعالى:

يَا ابْنَ آدَمَ بِمَشِيتِي كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَشَاءُ لِنَفْسِكَ مَا تَشَاءُ، وَبِقَوِّي أَذِيتَ إِلَيَّ فَرَاثِي، وَبِنِعْمَتِي قَوِيْتُ عَلَى مَعْصِيَتِي، جَعَلْتُكَ سَمِيعاً بَصِيراً قَوِيّاً، مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَرَأَى اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَرَأَى نَفْسَكَ ^(٢).

وفي رواية عملت بالمعاصي بقوتي التي جعلتها فيك ^(٣).

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) قال:

أ - لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِضَ وَلَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَالَ: قُلْتُ: وَمَا أَمْرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ؟ قَالَ: مِثْلُ ذَلِكَ رَجُلٌ رَأَيْتَهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ فَهَيْبَتُهُ فَلَمْ يَنْتَهَ فَتَرَكْتُهُ فَعَلَّ تِلْكَ الْمَعْصِيَةَ، فَلَيْسَ حَيْثُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْكَ فَتَرَكْتَهُ كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَهُ

(١) توحيد الصدوق ٣٦١.

(٢) توحيد الصدوق ٣٢٨، ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٦٢، والكافي (١ / ١٦٠).

(٣) التوحيد ص ٣٦٢.

ب - ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله.

يقول الله للعبد لِمَ عَصَيْتَ؟ لِمَ فَسَقْتَ؟ لِمَ شَرِبْتَ الْخَمْرَ؟ لِمَ زَنَيْتَ؟ فهذا فِعْلُ الْعَبْدِ، ولا يقول لَهُ لِمَ مَرَضْتُ؟ لِمَ قَصُرْتُ؟ لِمَ أَيْبَضْتُ؟ لِمَ أَسْوَدَدْتُ؟ لِأَنَّهُ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى^(٢).

شرح الروايات

إِنَّ لِلْجَبْرِ وَالتَّفْوِيزِ جَانِبَيْنِ:

أ - ما كان منها من صفات الله.

ب - ما كان منها من صفات الإنسان.

فما كان منها من صفات الله: فينبغي أخذه منه بوساطة الأنبياء، وأوصياء الأنبياء عن الأنبياء، وما كان من صفات الإنسان: فإِنْ قَوْلُنَا: أَفْعَلْ هَذَا أَوْ لَا أَفْعَلْهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّنا نَفْعَلُ مَا نَفْعَلُهُ بِاخْتِيَارِنَا، وَقَدْ عَرَفْنَا مِمَّا سَبَقَ أَنَّ سِيرَ الْإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ لَا يَشَابَهُ سِيرَ الذَّرَّةِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْمَجَرَّاتِ الْمَسْخَرَاتِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ حَرَكَاتِهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا مِنْ آثَارٍ.

ولم يفوض الله إليه أمر نفسه وكلّ ما سَخَّرَ لَهُ لِيَفْعَلَ مَا يَشَاءُ كَمَا يُحِبُّ، وكما تهوى نفسه، بل إِنَّ اللَّهَ أَرْشَدَهُ بِوَسَاطَةِ أَنْبِيَائِهِ كَيْفَ يُؤْمِنُ بِقَلْبِهِ بِالْحَقِّ، وَهَدَاهُ إِلَى الصَّالِحِ النَّافِعِ فِي مَا يَفْعَلُهُ بِجِوَارِحِهِ، وَالضَّارِّ مِنْهُ، فَإِذَا اتَّبَعَ هَدْيَ

(١) الكافي (١ / ١٦٠)، والتوحيد ص ٣٦٢.

(٢) الطراف.

الله، وسار على الطريق المستقيم خطوة أخذ الله بيده وسار به عشر خطوات ثم جزاه بآثار عمله في الدنيا والآخرة سبعائة مرة اضعاف عمله والله يضاعف لمن يشاء بحكمته ووفق سنته.

وقلنا في المثل الذي ضربناه في ما سبق، بأن الله أَدْخَلَ الإنسان المؤمن والكافر في هذا العالم في مطعم له من نوع (سلف سرويس) كما قال سبحانه في سورة الإسراء:

﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾
(الآية ٢٠).

فلولا إمداد الله عبده بكل ما يملكون من طاقات فكرية وجسدية، وما سَخَّرَ لهم في هذا العالم لما استطاع المؤمن أن يعمل عملاً صالحاً، ولا الضالَّ الكافر أن يعمل عملاً ضاراً فاسداً، ولو سلبهم لحظة واحدة أي جزء مما منحهم من الرؤية والعقل والصحة و... و... لما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً. إذاً فَإِنَّ الإنسان يفعل ما يفعل بما منحه الله بمحض اختياره، وبناءً على ما بَيَّنَّاهُ، أَنَّ الإنسان لم يَفُوضْ إليه الأمر في هذا العالم، ولم يجبر على فعلٍ بل هو أمر بين الأمرين، وهذه هي مشيئة الله وسنته في أمر أفعال العباد، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

الدِّينُ وَالْإِسْلَامُ

أ - الدِّينُ :

في اللّغة: الطاعة والجزاء .

وفي المصطلح الإسلامي: الشريعة .

وذلك معنى قوله تعالى :

(آل عمران / ١٩)

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ .

كما يأتي بيانه بإذنه تعالى .

ب - الإسلام :

في اللّغة: أسلمَ إسلاماً: إنقاد، فهو مسلم .

وفي المصطلح الإسلامي: دخل في الإسلام فهو مسلم .

ويتحقق دخول الإنسان في الإسلام بالإقرار واللّسان وقوله: أشهد أن لا

إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسولُ الله .

ومعنى الشّهادة الأولى: الإقرار بأن لا خالق ولا معبود إلا الله .

ومعنى الشّهادة الثانية: الإقرار بأن الله الرّبّ أرسل محمداً (ص) بشريعة

الإسلام، وأنّ المقرّ يتعهّد بالعمل بتلك الشريعة .

والإسلام: اسم لجميع الشرائع التي أنزلت على رُسل الله قبل خاتم الرُسل

(ص) كما يظهر ذلك من قوله تعالى في سورة آل عمران :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ

مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ...﴾ (الآية ١٩) .

وقوله تعالى فيها :

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الآية ٨٥).

وكما أخبر الله سبحانه وتعالى أن إبراهيم (ع) كان مسلماً وقال تعالى:
﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا...﴾.

(آل عمران / ٦٧)

وحكى (في سورة البقرة) عن وصية إبراهيم (ع) لبنيه أن يكونوا مسلمين
وقال سبحانه:

﴿وَوَصَّيْنَا بَنِي إِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الآية ١٣٢).

وكان ذلك معروفاً - أيضاً - لدى الكفار في الأمم السابقة كما يظهر ذلك
من قول فرعون عند موته حيث أخبر الله عنه وقال تعالى في سورة يونس:
﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَقًّا
إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ
الْمُسْلِمِينَ﴾ (الآية ٩٠).

وما أخبر تعالى عن شأن عيسى (ع) مع الكفار ومحاورته للحواريين
بقوله:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

(آل عمران / ٥٢)
إذاً فقد كان اسم شريعة إبراهيم وموسى وعيسى (ع)؛ الإسلام، وإنما غير
أهل الكتب اسم دينهم، فتسمى الذين زعموا أنهم على شريعة موسى باسم
اليهودية نسبةً إلى مدينة يهودا في جبل صهيون^(١).

(١) راجع مادة يهودا والتاصرة من «قاموس كتاب مقدس» (فارسي) ص: ٩٨٠.

وتسمى الذين زعموا أنهم على شريعة عيسى باسم النصارى نسبة إلى
الناصرة البلدة التي ولد فيها عيسى بن مريم (ع). واسم المسيحي نسبة إلى
لقب عيسى المسيح (ع).

وهكذا حرّفوا اسم دين الله كما حرّفوا كتابيه: التّوراة والإنجيل.
وأقرّهم الله على ما سمّوا به أنفسهم وسمّاهم في القرآن الكريم: اليهود
والنصارى، لأنّ الدّين الذي يدينون به ليس الإسلام الذي جاء به
الرّسولان: موسى وعيسى (ع)، وليسوا بمسلمين.

وقد أوحى الله سبحانه شريعة الإسلام إلى رسله في الكتب التي أنزلها
إليهم وبلّغتها الرّسل إلى أممهم وفترّوا الكتب بمحدثهم، فن أظهر الخضوع
والإتقياد وقبول الشريعة التي جاءت بها الرّسل من عند الله فهو مسلم، فإن
كان منه إيماناً بالقلب وإقراراً باللسان وعملاً بالأركان فهو مؤمن، وإلا فهو
منافق كالآتي بيانه.

المؤمن والإيمان

آمن إيماناً فهو مؤمن :

أ - في اللغة :

أذعنَ وصدقَ .

ب - في المصطلح الإسلامي :

يقال المؤمن لمن آمن بالله ورسله منذ آدم حتى الرسول الخاتم، وأذعن وصدق بما أوحى الله إليهم .

ولا يتم ذلك بأن يؤمن الإنسان ببعض ما أوحى الله ويكفر ببعض كما قال الله تعالى في سورة البقرة :

﴿ آمَنَ الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (الآية ٢٨٥) .

وقد فصل الله القول في ذلك في قوله تعالى في سورة النساء :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا • إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ
أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا • بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا • الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عِنْدَهُمْ

الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوَذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿ (الآيات ١٣٦ - ١٤١).

في هذه الآيات يطلب الله تعالى من الذين آمنوا بالإيمان بجميع ما فصل ذكره فيها؛ وهو الإيمان بالله ورسوله - الخاتم - والكتاب الذي نزل عليه، والكتاب الذي أنزله من قبله، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ويقابل هؤلاء المؤمنين؛ المنافقون الذين آمنوا - بالسنتهم - ثم كفروا - في قلوبهم - فعلوا ذلك مرات متعددة. ومن أفعالهم؛ اتّخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين يطلبون العزّة عندهم والعزّة جميعها لله، وعلى المؤمنين إذا سمعوا آيات الله يكفروا بها ويستهزأوا بها أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإن لبث المؤمنون في تلك المجالس مع المستهزئين كانوا منافقين مثلهم، وينهى الله المؤمنين - أيضاً - عن اتّخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

وبناء على ذلك فإنّ على المؤمنين (أي المسلمين) أن يؤمنوا بالله في بذل الطاعة في كلّ ما أمر، والإمتناع عن فعل كل ما نهى عنه؛ وعند ذلك يكون المؤمن مؤمناً حقاً.

وخلاصة القول: إذا كان الإنسان يؤمن بما يرتضي مما أنزل الله ويرضيه، ويترك مما أنزل الله ما لا يرتضيه فليس بمؤمن، ومن ثمّ يخاطب الله المؤمنين ويقول لهم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِمَا ... و... و...﴾. (النساء / ١٣٦)

النَّفَاقُ وَالْمُنَافِقُ

أ - في اللغة :

نافق اليربوع؛ إذا ضرب برأسه النّافقَاء من جحره ومرق منه؛ وذلك لأنّ لجحر اليربوع باباً ظاهراً يسمّى (ألقاصعاء)، ومخرجاً قد رقق التراب من جانبه دون أن يظهر ذلك من سطح الأرض؛ فإذا هوجم من بابه القاصعاء ضرب برأسه النّافقَاء ومرق منه وهرب، وعندئذ يقال: «نافق اليربوع».

ب - في المصطلح الإسلامي :

نَافِقُ الرَّجُلِ نِفَاقاً: أظهر الإسلام وعمل بعمله وأبطن الكفر؛ فهو منافق.

قال الله سبحانه في سورة «المنافقون»:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ • اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً...﴾ (الآيتان ١ و ٢).

أي اتّخذوا ما يحلفون به سترأً سميكاً. إذا فهم يسترون نفاقهم بستر سميك من اليمين الكاذبة، والله يكشف للرّسول (ص) زيف قولهم.

وقال سبحانه في سورة النّساء :

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ...﴾ (الآية ١٤٢).

ثم إنّ الإسلام الذي أنزله الله في الكتب السماوية قد بلغه الرّسل إلى أممهم، وفسّروا الكتب بمحدينهم.



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

مُصْطَلَحَاتُ الْإِمَامَةِ وَالْخَلَاةِ

- ✽ الْخَلِيفَةُ وَالْخَلَاةُ
- ✽ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
- ✽ الْإِمَامُ
- ✽ الْوَصِيّ
- ✽ الْأَمْرُ وَأَوَّلُو الْأَمْرِ
- ✽ الشُّورَى
- ✽ الْبَيْعَةُ
- ✽ أَهْلُ الْبَيْتِ (ع)
- ✽ السُّنَّةُ وَالشَّيْعَةُ أَوْ مَدْرَسَةُ الْخُلَفَاءِ وَمَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع)



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الخليفة والخلافة

الخلافة في لغة العرب: النيابة عن الغير^(١).

والخليفة: مَنْ يخلف غيره، ويقوم مقامه، ويسدّ مسدّه^(٢).

وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم، في قوله تعالى:

أ - في سورة الأعراف:

﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ...﴾ (الآية / ٦٩).

﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ...﴾ (الآية / ٧٤).

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ...﴾ (الآية / ١٦٩).

ب - في سورة مريم:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ...﴾ (الآية / ٥٩).

ج - في سورة الأنعام:

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ...﴾ (الآية / ١٣٢).

وكذلك ورد في غيرها ونظائرها من آيات كريمة.

وورد في المعنى اللغوي - أيضاً - في حديث الرسول (ص) في قوله:

«اللَّهُمَّ أَرْحَمْ خُلَفَائِي، اللَّهُمَّ أَرْحَمْ خُلَفَائِي، اللَّهُمَّ أَرْحَمْ خُلَفَائِي».

قيل له: يا رسول الله (ص) مَنْ خلفاؤك؟

(١) مفردات الراغب، مادة: (خلف).

(٢) نهاية اللغة، لابن الأثير، ولسان العرب، مادة: (خلف).

قال: «الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي».
وأسعمل - أيضاً - في المعنى اللغوي في عصر الصحابة كالاتي:

أ - على عهد الخليفة الأول:

قال ابن الأثير في نهاية اللغة:

وفي حديث أبي بكر، جاءه أعرابي فقال له: أنت خليفة رسول الله؟
فقال: لا.

فقال: ما أنت؟

قال: أنا الخالفة من بعده.

قال ابن الأثير: الخالفة: الذي لا غناء عنده ولا خير فيه، وإنما قال ذلك
تواضعاً...^(١)

ب - على عهد الخليفة الثاني:

روى السيوطي (ت: ٩١١ هـ) في تاريخه وقال: (فصل في نبذ من أخباره
وقضاياه) أخرج العسكري في (الأوائل) والطبراني في (الكبير) والحاكم في
(المستدرک): (أنَّ عمر بن عبدالعزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حنمة:
لأي شيء كان يكتب: «من خليفة رسول الله (ص)» في عهد أبي بكر؟ ثمَّ
كان عمر كتب أولاً: «من خليفة أبي بكر»، فَنَ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ: «من أمير
المؤمنين»؟ فقال: حدَّثتني الشفاء - وكانت من المهاجرات - أنَّ أبا بكر كان
يكتب: من خليفة رسول الله، وكان عمر يكتب: من خليفة خليفة رسول
الله، حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جلدتين يسألهما

(١) وعن ابن الأثير نقل ذلك في لسان العرب.

عن العراق وأهله، فبعث إليه لبيد بن ربيعة وعديّ بن حاتم، فقدمَا المدينة، ودخلا المسجد، فوجدا عمرو بن العاص، فقالا: إستانْذَنَ لنا على أمير المؤمنين، فقال عمرو: أنتمَا والله أصبَتَا أسمه. فدخل عليه عمرو، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال: ما بدا لك في هذا الاسم؟ لتخرجنَّ ممّا قلت. فأخبره وقال: أنتَ الأمير ونحن المؤمنون، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ. وروى عن النووي في تهذيبه، وقال:

قال عمر للناس: أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فسُمِّيَ أمير المؤمنين، وكان قبل ذلك يُقال له: خليفة خليفة رسول الله، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها.^(١)

(١) تاريخ السيوطي، ط. مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧١ هـ، ص ١٣٧ - ١٣٨.
والحاكم في المستدرک (٣ / ٨١ - ٨٢). والأوائل للعسكري ص ١٠٣ - ١٠٤.

أمير المؤمنين

مما أوردنا سابقاً عرفنا أنَّ لفظ أمير المؤمنين أستمحل منذ عصر الخليفة
عمر بن الخطاب وأريد به الحاكم الاسلامي الأعلى ، وبقي متداولاً كذلك إلى
عصر العثمانيين .

الإمام

الإمام في اللغة: الإنسان الذي يُؤْتَمُّ به ويُقتدى بقوله أو فعله مُحَقَّاقاً كان أو مُبْطِلًا^(١)، كما ورد في قوله تعالى:

﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۖ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلَّ سَبِيلًا ۖ﴾
(الإسراء / ٧١، ٧٢)

ومن الثاني ما ورد ذكره في قوله تعالى:

﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أِيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ۖ﴾
(التوبة / ١٢)

والإمام في الاسلام هو الهادي إلى سبيل الله بأمر من الله إنساناً كان كما ورد ذكره في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَبَتلىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ، قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۖ﴾
(البقرة / ١٢٤)

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...﴾
(الأنبياء / ٧٣)

أو كان كتاباً كما ورد في قوله تعالى:

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۖ﴾
(هود / ١٧)

وندرك من فحوى الآيتين المذكورتين أعلاه أنَّ شرط الإمام في الاسلام إن كان كتاباً أن يكون منزلاً من قِبَلِ الله على رسله لهداية الناس، كما كان شأن كتاب محمد (ص): القرآن الكريم، ومن قبله كتاب موسى: التوراة،

(١) راجع مادة: (أَمَّ) في معاجم اللغة.

وكذلك شأن كتب سائر الأنبياء^(١).

وإن كان إنساناً أن يكون معيَّناً من قِبَلِ الله لقوله تعالى:

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ و ﴿عهدي﴾.

وأن يكون غير ظالم لنفسه ولا لغيره، أي غير عاصٍ لقوله تعالى: ﴿لَا

يُنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

وفي ضوء ما سبق يصحّ القول بأن الإمام في الاصطلاح الاسلامي هو:

أ - الكتاب المنزل من قِبَلِ الله على رسله لهداية الناس.

ب - الإنسان المعين من قِبَلِ الله لهداية الناس، بشرطه أن يكون معصوماً

من الذنوب.

(١) راجع مادة: (الكتاب) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

الوصي

ورد مصطلح الوصي والوصية ومشتقاتها في كلام العرب بالمعاني الآتية:
يقال لإنسان حيّ يعهد لإنسان آخر أن يقوم بأمره بعد وفاته:
الموصي، وللآخر: الوصي، وللأمر الموصى به: الوصية؛ وتجري الوصية بلفظ الوصية ومشتقاتها تارةً مثل أن يقول الموصي لوصيه: أوصيك بعدي برعاية أهلي أو إدارة مدرستي، وأن تفعل كذا وكذا، وأخرى بلفظ يؤدّي معنى الوصية، مثل أن يقول الموصي لوصيه: أطلب منك أن تقوم بعدي برعاية أهلي وإدارة مدرستي وتفعل كذا وكذا...

ويخبر الموصي الآخرين عن وصيته أحياناً بلفظ: أوصيتُ إلى فلان، ووصي فلان، وأخرى يقول: عهدتُ إلى فلان، أو: أوكلتُ إليه أن يقوم بكذا، وكلا اللفظين يؤدّيان معنى واحداً، وهكذا نظائرهما.

كان هذا موجز معنى مصطلح الوصي والوصية ومشتقاتها في لغة العرب، وبنفس المعنى وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ قال الله سبحانه في سورة البقرة (الآيات: ١٨٠ - ١٨٢):

﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية﴾ - إلى قوله تعالى -: ﴿فمن خاف من موصٍ جَنَاحاً أو إِثماً فأصلح بينهم﴾، وفي سورة المائدة (الآية: ١٠٦):

﴿يا أيّها الذين آمنوا شهداء منكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية أثنان ذوا عدل منكم...﴾، وكذلك وردت في سورة النساء (الآيتان: ١١ و ١٢).

ومما ورد في السنّة النبويّة ما رواه كلّ من البخاري في أوّل كتاب الوصايا من صحيحه، ومسلم في كتاب الوصيّة من صحيحه^(١).

إنّ رسول الله (ص) قال: «ما حقّ أمرئ مسلم له شيء يوصي فيه أن يبیت ليلتين إلّا ووصيته مكتوبة عنده».

وللوصيّة أحكامها في الفقه الاسلامي. وبناءً على ما ذكرناه إنّ لفظي الوصي والوصيّة من المصطلحات الاسلامية.

والوصيّة من الأنبياء والرّسل أن يعهد الرّسل إلى أوصيائهم بعدهم إلى النّاس ورعاية أمّتهم من بعدهم.

وفي هذه الأمّة فعل خاتم الأنبياء (ص) مثل من سبقه من الرّسل وعهد إلى الامام عليّ (ع) تبليغ شريعته ورعاية أمّته من بعده، وبواسطته عهد ذلك إلى بنيه الأئمّة الأحد عشر من بعده، وأخبر النبيّ المسلمين بكلّ ذلك، تارةً بلفظ الوصي والوصيّة ومشتقاتهما، وأخرى بألفاظ أخرى تؤدّي المعنى نفسه. فلُقّب الامام عليّ (ع) بلقب الوصي وأصبح علماً له.

(١) صحيح البخاري (٢ / ٨٣). وصحيح مسلم بشرح النووي (١١ / ٧٤).

الأمر وأولو الأمر

لمعرفة معنى (الأمر) و (أولي الأمر) وهل هما مصطلحان شرعيان أم لا؟ نستعرض في ما يلي موارد استعمالهما في لغة العرب وعُرف المسلمين والنصوص الإسلامية كتاباً وسنةً، فنقول:

أ - في لغة العرب:

ورد في سيرة ابن هشام، والطبري، وغيرهما، أن رسول الله كان يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، يدعوهم إلى الاسلام، ويخبرهم أنه نبيُّ مُرسل من قِبَل الله، ويسألهم أن يُصدّقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به. قال: وإنه أتى بني عامر بن صعصعة ذات مرّة فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له ببحرة بن فراس^(١): والله لو أتني أخذتُ هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب. ثم قال له: أرايت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على مَنْ خالفك، أ يكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»، قال: فقال له: أفنُهدف نحورنا^(٢) للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك^(٣).



(١) قال ابن هشام: فراس، ابن عبد الله بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. سيرة ابن هشام (٢ / ٣٣).

(٢) (أفنُهدف نحورنا) معناه نصيرها هدفاً، والهدف: الفرض الذي يُرمى بالسهم إليه.

(٣) سيرة ابن هشام (٢ / ٣١ - ٣٤). والطبري، ط. أوروبا (١ / ١٢٠٥ - ١٢٠٦).

إِنَّ هذا العربي كان يفهم (أمر رسول الله (ص)) على أَنَّهُ سيادة وحكم على العرب، فأراد أن يعقد مع الرسول (ص) حلفاً يكون لقبيلته الحكم والسيادة على العرب من بعد الرسول (ص)، لكنَّ الرسول (ص) امتنع من إجابته رغم حاجته الشديدة يومذاك إلى المؤازرين، لأنَّ الأمر ليس إليه وإنما الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء.

وكذلك كان شأن هوزة بن عليّ الحنفيّ في طلبه من الرسول (ص) حين دعاه الرسول (ص) إلى الاسلام كما في طبقات ابن سعد، ما ملخصه:

كتب رسول الله (ص) إلى هوزة بن عليّ الحنفيّ يدعوه إلى الاسلام، فكتب في جواب النبيّ (ص): ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك، فقال النبيّ (ص): «لو سألتني سيابة من الأرض ما فعلت»^(١).

نرى أَنَّ الرسول (ص) قصد من (سيابة): الأرض المهملة. إذن فقد طلب هوزة من الرسول (ص) أن يجعل له بعض الأمر: إمارة ما على أرض أو قبيلة وما شابهها، فأجابه الرسول (ص) أَنَّهُ لا يؤمّره ولا على سيابة من الأرض، وهذا القول من الرسول (ص) نظير قول أهل الكوفة أو البصرة عندما وظّف واليهم على كلّ واحد منهم نقل كمّيّة من الحصباء إلى مسجدهم الجامع ليفرشه بالحصباء، وأمر عليهم أحدهم وكان يتمصّب في قبول الحصباء منهم،

(١) طبقات ابن سعد، ط. أوربا (١/٢ ق ١٨).

وقالوا في السيابة: واحدة السياب: البسر الأخضر، وعلى هذا لم يكن من المناسب أن يقول ولا سيابة أي لا بسر من الأرض، بل كان المناسب أن يقول ولا بسر من التمر. ونرى أَنَّ السيابة مشتقة من السيب وهو كلّ سيب وخلي، ومنه السّاتبة: أي الدّابة المهملة، ويكون المعنى: الأرض الخالية المتروكة.

فقالوا: يا حَبْذا الإمارة ولو على الحجارة! وكذلك الأمر في الخبر السابق، فإنَّ هُوَذة طلب من الرِّسول الإمارة (ولو على الحجارة) فأجابه الرِّسول (ص): لا، ولا على الحجارة.

ب - في عُرْف المسلمين:

كان أكثر أَسْتعمال (الأمر) في عُرْف المسلمين يوم السَّقِيفة وما بعدها، قال سعد بن عبادَة للأَنْصار يوم السَّقِيفة:

(استبَدُّوا بهذا الأمر دون النَّاس...).

وأجابته الأنصار بقوله: (نولِّيك هذا الأمر).

ثمَّ تراَدَّوا الكلام وقالوا: (فإنَّ أبْتَ مهاجرة قريش فقالوا: نحن عَشيرته وأولياؤه، فعَلَّام تنازعوتنا هذا الأمر من بعده؟...).

وقال أبو بكر في أحتجاجه عليهم يومذاك: (ولن يُعرف هذا الأمر إلَّا لهذا الحيِّ من قريش...).

وقال - أيضاً - في قريش: (هم أحقُّ النَّاس بهذا الأمر من بعده، ولا يَنازعهم ذلك إلَّا ظالم).

وقال عمر - أيضاً - يوم السَّقِيفة: (مَن ذا يَنازعنا سلطان محمَّد وإمارته ونحن أهله وعشيرته).

وقال الحُبَّاب بن المنذر في جوابه: (لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر... فأنتم والله أحقُّ بهذا الأمر...).

وقال بشير بن سعد عندئذ في حقِّ قريش: (لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً)^(١).

(١) كل هذه المهاجبات وردت في خبر السَّقِيفة بتاريخ الطبري، ط. أوروبا

ج - في النصوص الإسلامية:

لقد ورد في حديث الرسول ذكر (الأمر) كثيراً. ونكتفي هنا بتسجيل كلمة الرسول (ص) في جواب العامري:

«إِنَّ الأَمْرَ إِلَى اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ».

وقد ورد في كتاب الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

(النساء / ٥٩)



في كل هذه الموارد سواء في لغة العرب، وعُرف المسلمين، والنصوص الإسلامية سنّة وكتاباً، إنّما أريد من (الأمر) أمر الإمامة والحكم على المسلمين.

وعلى هذا فإنّ (الأمر) أستعمل في الشرع الاسلامي بنفس المعنى الذي أستعمل فيه لدى العرب والمسلمين، ولا مانع بعد ذلك أن نسمي (أولي الأمر) مصطلحاً شرعياً وتسمية إسلامية وأنه أريد به الإمام بعد النبي (ص)، ولا خلاف في ذلك، ولكن الخلاف بين المدرستين في من يصدق عليه تسمية أولي الأمر، فإنّ مدرسة أهل البيت (ع) ترى أنّه لما كان المقصود من أولي الأمر: الأئمة، فلا بد أن يكون منصوباً من قبل الله، معصوماً من الذنوب.

وترى مدرسة الخلافة أنّ (أولي الأمر): من بايعه المسلمون بالحكم. وبناءً على ذلك يرون وجوب طاعة كلّ من بايعوه، وعلى هذا الأساس أطاعوا الخليفة يزيد بن معاوية، فقتلوا وسبوا آل بيت رسول الله (ص) بكر بلاء،

وأباحوا مدينة الرسول (ص) ثلاثة أيام، ورموا الكعبة بالمنجنيق، بحثنا ذلك في المجلد الثالث من كتاب (معالم المدرستين).

الشورى

التشاور، والمشاورة، والمشورة في لغة العرب: استخراج الرأى بمراجعة البعض البعض الآخر.

وشاوره: استخرج ما عنده من رأى.

وأشار عليه بالرأى، يشير: إذا ما وجّه الرأى.

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى / ٣٨)، من صار هذا الشيء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه^(١).

لم يتغير معنى مشتقات هذه المادّة في استعمال القرآن الكريم، والحديث الشريف، ولدى المسلمين عمّا كانت عليه في لغة العرب، وإنّما الكلام في مورد الشورى والمشاورة في الشرع الإسلامى وحكمها. وقد بحثنا هذا الموضوع في المجلد الأوّل من كتاب (معالم المدرستين).

(١) راجع مادّة: (شور) من: مفردات الراغب. ولسان العرب. ومعجم ألفاظ القرآن الكريم.

الْبَيْعَةُ

أ - البيعة في لغة العرب:

البيعة في لغة العرب: الصَّفقة على إيجاب البيع^(١)، وصفق يده بالبيعة والبيع، وعلى يده صفقاً: ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، وتضافقوا: تبايعوا^(٢). كان هذا معنى البيعة لدى العرب.

أما العهد والحلف: فقد كانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة، مثل ما فعل بنو عبد مناف حين أرادوا أن يُعاتلوا بني عبد الدار على من يقوم بحجابة البيت وسقاية الحاج وغيرهما من أعمال السيادة بمكة.

فروى ابن إسحاق أن بني عبد مناف أخرجوا جفنة مملوءة طيباً فوضعوها في المسجد عند الكعبة، ثم غمسوا أيديهم فيها، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم، وسمّوا (المطيبين)^(٣).

وروى - أيضاً - في أمر تجديد الكعبة: أن البنيان عندما بلغ موضع الركن اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا، وأعدّوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، ثم تعاهدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسمّوا (لعقة الدم)^(٤).

(١) لسان العرب، مادة: (بيع).

(٢) لسان العرب، مادة: (صفق).

(٣) سيرة ابن هشام (١ / ١٤١ - ١٤٣).

(٤) سيرة ابن هشام (١ / ٢١٣).

ب - البيعة في الإسلام:

كانت البيعة، أي: صفق اليد على اليد، في لغة العرب علامة على وجوب البيع، وأصبحت في الاسلام علامة على معاهدة المبيع المباع له أن يبذل له الطاعة في ما تقرّر بينهما، ويقال: بايعه عليه مبايعة: عاهده عليه.

وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. (الفتح / ١٠)

ونذكر من سنة الرسول (ص) ثلاث مرّات أخذ الرسول (ص) فيها البيعة من المسلمين:

١ - البيعة الأولى:

إنّ أول بيعة جرت في الاسلام هي بيعة العقبة الأولى، أخبر عنها عبادة ابن الصامت وقال:

(وافى موسم الحج من الأنصار اثنا عشر رجلاً ممّن أسلم منهم في المدينة، وقال عبادة:

بايعنا رسول الله (ص) ببيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بهتان نفترقه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحذّه في الدنيا فهو كفّارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمرکم إلى الله عزّ وجلّ؛ إن شاء عذب، وإن شاء غفر^(١)، وسمّيت هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى).

(١) سيرة ابن هشام (٢ / ٤٠ - ٤٢).

٢ - البيعة الثانية الكبرى بالعقبة:

روى كعب بن مالك وقال:

خرجنا من المدينة للحج وتواعدنا مع رسول الله (ص) العقبة أواسط أيام التشريق، وخرجنا بعد مضي ثلث الليل متسللين مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وأمرأتان، فجاء رسول الله (ص) ومعه عمّه العباس، فتكلّم رسول الله (ص) فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال:

«أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون نساءكم وأبناءكم»، فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع به أئزنا^(١)، فيايغنا يا رسول الله فنحن والله أهل المحروب...

فقال أبو الهيثم بن التيهان: يا رسول الله إنّ بيننا وبين الرجال حبلاً، وإنّا قاطعوها (يعني اليهود)، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثمّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم رسول الله (ص) ثمّ قال: «بل الدم الدم والهدم الهدم...» أي: ذمتي ذمتكم وحُرمتي حُرمتكم.

وقال رسول الله (ص): «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم». فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، قال رسول الله (ص): «أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي» يعني: المسلمين. قالوا: نعم.

وأختلفوا فيمن كان أوّل من ضرب على يده، أسعد بن زرارة أم أبو

(١) أئزنا: نساؤنا، والمرأة يكتنى عنها بالازار.

٣ - بيعة الرضوان، أو بيعة الشجرة:

في سنة سبع من الهجرة، استنفر رسول الله (ص) أصحابه للعمرة، فخرج معه ألف وثلاثمائة، أو ألف وستائة، ومعه سبعون بدنة، وقال: لست أحمل السلاح، إنما خرجت مُعْتَمِراً. وأحرموا من ذي الحليفة، وساروا حتى دنوا من الحديبية على تسعة أميال من مكة، فبلغ الخبر أهل مكة فراعهم، وأستنفروا من أطاعهم من القبائل حولهم وقدموا مائتي فارس عليهم خالد ابن الوليد أو عكرمة بن أبي جهل، فاستعدّ لهم رسول الله (ص) وقال: إن الله أمرني بالبيعة. فأقبل الناس يبائعونه على ألا يفروا، وقيل: بايعهم على الموت، وأرسلت قريش وفدًا للمفاوضة، فلما رأوا ذلك تهيّأوا وصالحوا رسول الله (ص) ...^(٢).

هذه ثلاثة أنواع من البيعة على عهد الرسول (ص) وهي:

أ - البيعة على الإسلام.

ب - البيعة على إقامة الدولة الإسلامية.

ج - البيعة على القتال.

والبيعة الثالثة تجديد للبيعة الثانية، وذلك لأنّ الرسول (ص) كان قد أستنفرهم للعمرة. وبعد تبدّل الحالة من العمرة إلى القتال، كانت الحالة الحادثة مخالفة للعمل الذي أستنفرهم له وخرجوا من أجله، فكأنّه كان مخالفاً لما عاهداهم عليه، فلذلك أحتاج إلى أخذ البيعة للقيام بالعمل الجديد،

(١) سيرة ابن هشام (٢ / ٤٧ - ٥٦).

(٢) إمتاع الأسباع للمقرئزي، ص ٢٧٤ - ٢٩١.

وفعل ذلك وأعطى ثمره في إرعاب أهل مكة، وحصول النتيجة المطلوبة.

ونختم البحث بستّ روايات في البيعة وطاعة الإمام:

١ - روى ابن عمر قال: كنّا نبايع رسول الله (ص) على السّمع والطّاعة ثمّ يقول لنا: «فما أستطعت»^(١).

٢ - وفي رواية، وقال عليّ: «ما أستطعتم»^(٢).

٣ - وفي رواية، وقال جرير: قال: «قل: في ما أستطعت»^(٣).

٤ - وروى الهرماس بن زياد قال: مددت يدي إلى النّبيّ (ص) وأنا غلام ليبياعني، فلم يبياعني^(٤).

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص):

«على المرء المسلم السّمع والطّاعة فيما أحبّ وكره، إلّا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب البيعة، ج ٥. وصحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب البيعة على السّمع والطّاعة في ما أستطاع، ح ٩٠. وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة في ما يستطيع الإنسان.

(٢) سنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة في ما يستطيع الإنسان.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب البيعة، ح ٥.

(٤) البخاري، كتاب الأحكام، باب بيعة الصغير. وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب بيعة الغلام.

والهرماس بن زياد، أبو حيدر البصري الباهلي: من قيس عيلان. مات بالجمامة بعد المائة. راجع ترجمته بأسد الغابة، وتقريب التهذيب.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السّمع والطّاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح ٣. وصحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ح ١٨٣٩. وسنن أبن ماجه، كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله، ح ٢٨٦٣. وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب جزاء من أمر بمعصية. ومسنند أحمد (٢ / ١٧، ١٤٢).

٥ - وعن ابن مسعود قال:

قال (ص): «سيلي أموركم بعدي رجال يطفثون السنّة ويعملون بالبدعة، ويؤخّرون الصّلاة عن مواقيتها». فقلت: يا رسول الله! إن أدركتهم كيف أفعل؟ قال: «تسألني يا ابن أمّ عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصى الله»^(١).

٦ - وعن عبادة بن الصّامت في حديث طويل آخره:

«فلا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى، فلا تعتلوا برؤسكم»^(٢).

وفي رواية:

«لا تضلّوا برؤسكم»^(٣).

يتّضح لنا من دراسة البيعة في سنّة الرّسول (ص) أنّ للبيعة ثلاثة أركان:
أ- المّبائع.

ب- المّبائع له.

ج- المعاهدة على الطّاعة للقيام بعمل ما.

وتقوم البيعة أولاً على تفهّم ما يطلب الطّاعة على القيام به، ثمّ تمنعقد المعاهدة بضرب يد المّبائع على يد المّبائع له بالكيفيّة الواردة في السنّة، والبيعة على هذا مصطلح شرعيّ، غير أنّ شروط تحقّق البيعة المشروعة في الاسلام غير واضحة لكثير من المسلمين اليوم، فنقول:

(١) سنن ابن ماجه (٢ / ٩٥٦، ح ٢٨٦٥). ومسند أحمد (١ / ٤٠٠)، وفي لفظ: ليس طاعة لمن عصى الله.

(٢) مسند أحمد (٥ / ٣٢٥)، عن عبادة بن الصّامت، وأنّه روى الحديث في دار عثمان عندما شكاه معاوية إلى عثمان فجلبه عثمان إلى المدينة، ومختصر الحديث برواية عبادة في ص ٣٢٩ منه.

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر (٧ / ٢١٥).

تتعقد البيعة في الاسلام إذا توفّرت فيها الشروط الثلاثة التالية :

أ- أن يكون المْبَاعِ مَمْنٌ تصَحُّ منه البيعة، ويباع مُختاراً.

ب- أن يكون المْبَاعِ لَهُ مَمْنٌ تصَحُّ مبايعته.

ج- أن تكون البيعة لأمر يصحُّ القيام به.

وعلى ما بيّنا لا تصحُّ البيعة من صبيٍّ أو مجنون، لأنهما غير مكلفين بالأحكام في الاسلام، ولا تتعقد بيعة المكره، لأن البيعة مثل البيع، فكما لا ينعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له، كذلك البيعة لا تتعقد بأخذها بالجبر وفي ظلّ السيف.

وكذلك لا تصحُّ البيعة للمتجاهر بالمعصية، ولا تصحُّ البيعة للقيام بمعصية الله. إذن فالبيعة مصطلح إسلامي، ولها أحكامها في الشرع الاسلامي.

الخلاصة:

البيعة في لغة العرب: الصّفقة على إيجاب البيع. وفي الاسلام أمانة على معاهدة المْبَاعِ المْبَاعِ لَهُ على أن يبذل له الطّاعة في ما تقرّر بينهما، ولا تتعقد إذا لم تتوفّر شروطها، فإنّها لا تصحُّ من صبيٍّ أو مجنون، ولا تتعقد البيعة من مُكره ولا تصحُّ للمتجاهر ولا تصحُّ للقيام بمعصية الله.

وقد بايع رسول الله (ص) على الاسلام أولاً، وعلى إقامة الدولة الإسلامية ثانياً، كما بايع المسلمين على القتال، وأشار الله سبحانه وتعالى إلى الأخير في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾. (الفتح / ١٠)

أهل البيت (ع)

في المصطلح الاسلامي:

ورد لفظ «أهل البيت (ع)» في قوله تعالى في سورة الأحزاب:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

(الآية / ٣٣).

وفسره الرسول (ص) في سنته قولاً وعملاً، فقد روى المحاكم (ت):

٤٠٥ هـ) في المستدرک على الصحيحین ما موزه:

[إن رسول الله (ص) لما رأى الرحمة هابطة قال: «أدعوا لي، أدعوا لي»

قالوا: من يا رسول الله؟! قال: «أهل بيتي؛ علياً وفاطمة (ت: ١١ هـ)

والحسن والحسين»، فجيء بهم، فألقى عليهم النبي (ص) كساءه ثم رفع

يديه، ثم قال: «اللهم هؤلاء آلي فصل على محمد وآل محمد»، وأنزل الله عز

وجل:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ [١].

وروت أم سلمة (ت: بين سنة ٦١ و ٦٤ هـ) كيفية الخبر في روايات

متعددة وموزها:

[إن ذلك كان في يوم أم سلمة وفي بيتها، وأن الرسول (ص) جللهم

بكساء كان عليه، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم

(١) مستدرک المحاکم (ت: ٤٥٠ هـ)، (٣ / ١٤٧ - ١٤٨)، وقال المحاکم: صحيح

على شرط الشيخين، أي البخاري (ت: ٢٥٦ هـ)، ومسلم (ت: ٢٦١ هـ).

تَطْهِيراً». فنزلت الآية حين اجتمعوا، فقالت أُمّ سَلَمَة : ما أنا مِنْ أهل البيت ؟ قال : «إِنَّكَ إلى خير، وهؤلاء أهل بيتي، إِنَّكَ من أزواج النبي» [(١)].

ومن أجل أن يُعرَف النبي (ص) مصطلح (أهل البيت) للمسلمين، قال صلوات الله عليه وعلى أهل بيته : «نزلت هذه الآية في خمسة : فيّ وفي عليٍّ وحَسَنٍ وحُسَيْنٍ وفاطمةَ، إِنَّمَا يُريد الله لِيُذهب...» الآية.

ومزيداً للتوضيح كان (ص) كلّمها خرج إلى الصّلاة يمرُّ بباب فاطمة وعليٍّ - وكان باب دارهم شارعاً إلى مسجد الرسول (ص) - فيقول : «الصّلاة يا أهل البيت، إِنَّمَا يُريد الله لِيُذهب عَنْكُمْ الرُّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» يفعل ذلك كلّ يوم خمس مرّات.

المخلاصة :

كان الرسول (ص) في بيت أُمّ المؤمنين أُمّ سَلَمَة لما رأى آثار رحمة الله هابطة، فدعا عليّاً وفاطمةَ والحَسَنَ والحُسَيْنَ (ع)، وجلّلهم ونفسه بالكساء، فنزلت آية التطهير، فقال الرسول (ص) : «هؤلاء هُمْ أَهْلُ بَيْتِي»، فقالت أُمّ سَلَمَة : ما أنا من أهل البيت ؟، فقال : «إِنَّكَ إلى خير، هؤلاء أهل بيتي. إِنَّكَ من أزواج النبي».

(١) أخرجنا الروايات في كتابنا «حديث الكساء» ص ٦ - ٩ من تفسير الطّبري وسنن الترمذيّ ومُسْتَدْرَكُ الْحَاكِمِ وسنن البيهقيّ وغيرها من المصادر.

السنة والشيعية

أو مدرسة أهل البيت ومدرسة الخلفاء

إنقسم المسلمون بعد رسول الله (ص) إلى مدرستين :

أ - المدرسة التي ترى وجوب طاعة الخلفاء، بدءاً بالخليفة الأول أبي بكر، وانتهاءً بآخر خليفة من الخلفاء العثمانيين في تركيا، بما فيهم يزيد بن معاوية الذي قتل سبط الرسول (ص)، وسبى ذراريه وسار بهم من بلد إلى بلد، وأباح المدينة ثلاثة أيام، ورمى الكعبة بالمنجنيق، إلى نظرائه من الخلفاء، وسُمِّي أتباع هذه المدرسة بـ (أهل السنة والجماعة). وكان بدء هذه التسمية سنة ٤١ هـ بعد تجمعهم على بيعة معاوية كما صرح بذلك ابن كثير في تاريخه، وقال: «وسُمِّي هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد»^(١).

ب - المدرسة التي ترى وجوب طاعة أئمة أهل البيت (ع). وسُمِّي أتباع هذه المدرسة بـ (الشيعية)، أي شيعة أهل البيت (ع). وكذلك سُمِّي محبوا أهل البيت - أيضاً - بـ (الشيعية).

وفي كلتا التسميتين تسامح ملحوظ، فإن أتباع مدرسة الخلفاء لا يعبأون بسنة الرسول (ص) المروية عن طرق أئمة أهل البيت، فإن الشيعين مسلماً والبخاري لم يخرجوا روايات سبط الرسول (ص) الأكبر الإمام الحسن (ع) في

(١) تاريخ ابن كثير، ط. مطبعة السعادة بمصر، (٨ / ٢١)، وقال مثله في تاريخ الخميس للديار بكرى (ت: ٩٦٦ هـ)، ط. بيروت، (٢ / ٢٩١).

صحيحهما، ولم يخرج الشيخ البخاري روايات الإمام جعفر الصادق (ع)
(ت: ١٤٨ هـ) في صحيحه، بينما أخرج الحديث عن عمران بن حطان
الخارجي (ت: ٨٤ هـ)^(١) الذي أثنى على ضربة ابن ملجم (ت: ٤٠ هـ)
للوصي الإمام عليّ (ع) بقوله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً وأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا
كما تسامحوا في التسمية بـ (الشيعة)، فإنهم وصفوا بعض أئمة علماء الحديث
بمدرسة الخلفاء بالتشيع لأنهم فضلوا الإمام علياً (ع) على من قاتله، أورووا
في فضله رواية عن رسول الله (ص).

مثل أبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١ هـ)؛ فقد قال ابن
حجر في ترجمته بـ «تقريب التهذيب»: «ثقة حافظ مُنْصِفٌ شهير... وكان
يتشيع»^(٢).

فما وجه تشيعه وقد خرّج أحاديثه جميع أصحاب الصّحاح والسنن
والمسانيد؟

وقال الذهبي في ترجمته بـ «تذكرة الحفاظ»: «كان من أوعية العلم». وقال:
«ونقموا عليه التشيع، وما كان يغلو فيه بل كان يحب علياً ويبغض من قاتله»، وكان يقول: «والله ما أنشرح صدري قط أن أفضّل عليّاً على أبي بكر وعمر»^(٣).

(١) راجع تراجم الإمام الحسن (ع) والإمام جعفر الصادق (ع)، وعمران بن حطان في كتابي: «تهذيب التهذيب»، و«تقريب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، وترجمة الإمام عليّ في الاستيعاب.

(٢) تقريب التهذيب (٢ / ٥٠٥)، رقم الترجمة: ١١٨٣.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، ص ٣٦٤.

ومثال آخر من ذلك الحاكِم: فقد قال الذهبي في ترجمته بتذكرة الحفاظ ما موجه:

[الحافظ الكبير إمام المحدثين، أبو عبدالله، محمد بن عبدالله النيسابوري المعروف بابن البيع.

سمع من أبي شيخ أو نحو ذلك، بلغت تصانيفه قريباً من خمسمائة جزء، ومن تأليفه: «فضائل الشافعي» (ت: ٢٠٤ هـ)، «وتنقل أن مشايخ الحديث كانوا يذكرون أيامه، وأن الأئمة من مقدمي عصره كانوا يقدّمونه على أنفسهم ويراعون حقّ فضله ويعرفون له الحرمة الأكيدة.

وسئل عن حديث الطّير فقال: «لا يصحّ، ولو صحّ لما كان أحد أفضل من عليّ (رض) بعد النبيّ (ص)».]

ثمّ تغيّر رأي الحاكِم وأخرج حديث الطّير في مُستدرّكه وجمع فيه أحاديث وزعم أنّها على شرط البخاريّ ومسلم، منها: «حديث الطّير»، و«مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، فأنكرها عليه أصحاب الحديث فلم يلتفتوا إلى قوله.

وقال الذهبي:

[أما «حديث الطّير» فله طرق كثيرة جداً قد أفردتها بمصنّف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل.

وأما حديث «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، فله طرق جيّدة، وقد أفردت ذلك أيضاً.]

يعني الذهبي: أنّه ألّف في حديث «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، كتاباً خاصاً.

وقال الذهبي: [قالوا فيه:

ثقة في الحديث، رافضي حَبِيث.

كان يظهر التسنُّن في التقديم والخلافة، وكان مُنحرفاً عن معاوية وآله - يعني يزيد - متظاهراً بذلك ولا يعتذر منه [.

وقال الذهبي:

[قلت: أمّا انحرافه عن خصوم عليّ فظاهر، وأمّا أمر الشيخين فمُعْظَمُهما بكلِّ حال، فهو شيعي لا رافضي].

وقال: [فإنَّه غَضَّ فضائله بسوء تصرُّفه] (١).



وقد سَمَّينا في بحوثنا المدرسة الأولى بـ (مدرسة الخلفاء)، والمدرسة الثانية بـ (مدرسة أهل البيت).

وينبغي أن نذكر الفروق بين المدرستين في البحث الآتي:

الفروق بين المدرستين:

ترى مدرسة الخلفاء: أن الله ورسوله تركا المسلمين هملاً بعد وفاة الرسول (ص)، فانتخبوا من بينهم الصحابيَّ أبا بكر خليفة لهم وبإيعوه، فأصبح ذلك حاكماً على المسلمين تجب عليهم طاعته، وأنَّه استمرَّ الأمر كذلك إلى عهد الأمويين والعباسيين وإلى آخر العثمانيين (٢).

(١) تذكرة الحفاظ، ص ١٠٣٩ - ١٠٤٥.

(٢) وقال ظهير ذلك في شأن جمع القرآن الكريم فقد قالوا: إنَّ الله ورسوله لم يهتما بأمر جمع القرآن الكريم وتركاه أوزاعاً، فاختلفت نسخ المصاحف التي بأيدي الصحابة في النصِّ القرآني، وأدَّى ذلك إلى الإختلاف بينهم، فأمر الخليفة عثمان (ت: ٣٥ هـ) بجمع

وترى مدرسة أهل البيت (ع) أن الله تعالى يعين بعد الرسل (ع) أوصياء يحافظون على شريعتهم، كما كان شأن شيث وصي آدم من بعده، وسام بعد نوح، واليسع بعد موسى، وأن أوصياء خاتم الرسل (ص) إثنا عشر، وهم أئمة المسلمين من بعده، أولهم علي بن أبي طالب (ع) وآخرهم المهدي (عج). ابن الحسن العسكري (ع) (ت: ٢٦٠ هـ)، وأن الرسول (ص) بلغ المسلمين ذلك من قبل الله كما بلغهم سائر أحكام الاسلام وعقائده^(١)، وأن أولئك الأوصياء بعد الرسول (ص) حفظوا سنته وبيانه لتفسير كتاب الله من التبديل والتحريف والكتان وبلغوهما للناس جيلاً بعد جيل.

« القرآن الكريم ووحد نسخ المصاحف المختلفة في النص القرآني - كبرت كلمة تخرج من أفواههم - بينا برهناً في الجزء الأول من «القرآن الكريم وروايات المدرستين» على أن الرسول (ص) هو الذي جمع القرآن الكريم كما هو بأيدينا بأمر من الله ووحى منه، وأمله كذلك على الصحابة مع تفسير آياته فكتبوها معاً في ما كتبوا من أي القرآن الكريم، ولما كان مع ما كتبت الصحابة من القرآن في المصاحف التي كانت لديهم ما تلقوه من الرسول (ص) من تفسير آيات القرآن الكريم وكان في ذلك التفسير ما يشين أسرة الخلافة من آل أمية وغيرهم من قبائل قريش الذين آذوا الرسول (ص) بمكة، وحاربوه بعد هجرته إلى المدينة، ووقع الخلاف - بسبب ذلك التفسير المكتوب مع آيات القرآن الكريم - بين ذوي عصبية الخلافة ومن كان يقرأ القرآن الكريم مع ذلك التفسير مثل الصحابي ابن مسعود (ت: ٣٢ هـ)، فأمر الخليفة عثمان بكتابة نسخ من القرآن الكريم مجردة من حديث الرسول (ص) في تفسير القرآن الكريم ووزعها على بلاد المسلمين، وأحرق سائر المصاحف التي كانت بأيدي الصحابة بما كان فيها من أحاديث الرسول (ص) في تفسير القرآن مكتوبة مع آيات القرآن الكريم، فرووا وقالوا: إن النسخ التي كانت بأيدي الصحابة كانت تختلف بعضها عن بعض في النص القرآني - معاذ الله !! - وأن الخليفة عثمان وحد النسخ المختلفة في النص القرآني.

(١) راجع بحث «النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين ولي الأمر من بعده» في الجزء الأول من معالم المدرستين، الطبعة الرابعة، إلى آخر الكتاب.

وبالإضافة إلى ما ذكرنا، تختلف المدرستان في الإعتماد على الوسائط إلى الرسول (ص) لأخذ سنته، وذلك إنّ مدرسة الخلفاء تقول بعدالة جميع الصحابة، ولا يتطرق الشكّ عندهم في عدالة أيّ فرد منهم، ولذلك فإنهم يأخذون سنة الرسول (ص) من أيّ فرد وصف عندهم بأنّه صحابي.

لست أدري كيف يكون كلّ الصحابة عدولاً، وإنّ الله سبحانه يقول في سورة التوبة: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَتْلَمَهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (الآية ١٠١).

وإنّ الذين أخبر الله بنفاقهم وإنّ الرسول (ص) لا يعلم نفاقهم، كانوا من الصحابة من أهل المدينة.

وكيف يكون كلّ الصحابة عدولاً والرسول (ص) يقول لهم: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ»^(١).

فإنّ الذين خاطبهم الرسول (ص) بهذا القول كانوا ممن يعاشره من الصحابة.

لست أدري كيف يكون كلّ الصحابة عدولاً وقد قال الرسول (ص): «إنّه يجاء برجالٍ من أمتي، فيؤخذُ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصيحابي.

فيقال: إنك لا تدري ما أخذوا بفدك.

(١) صحيح البخاريّ (٤ / ١٤٩)، كتاب الفتن، باب قول النبيّ (ص): «لا ترجعوا بعدي كفاراً...». وكتاب العلم، باب ٤٤. وكتاب الأضاحي، باب ٥. وصحيح مسلم. وكتاب الإيمان، ح ١١٨ - ١٢٠. وكتاب القسامة، ح ٢٩. وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب ١٥. وسنن الترمذيّ، كتاب الفتن، باب ٢٨. وسنن الدارميّ، كتاب المناسك، باب ٧٦. ومسند أحمد (٢ / ٨٥، ٨٧، ١٠٤) و (٥ / ٣٧، ٣٩، ٤٤، ٤٥، ٤٩، ٦٨).

فأقول كما قال العبدُ الصالحُ: «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ».

(المائدة / ١١٧)

فَيَقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ»^(١).

وفي رواية:

«لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ حَتَّى إِذَا عَرَفْتَهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي. فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بِغَدَاكَ»^(٢).

وفي صحيح مسلم:

«لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضِ رِجَالٌ بِمَنْ صَاحِبِي حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُمْ رَفَعُوا إِلَيَّ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيُّ رَبِّ أَصْنَحَابِي. فَلَيَقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بِغَدَاكَ»^(٣).

وإليكم موردين من مصاديق أحاديث الرسول (ص) أو بالأحرى صدق تنبئه عن الحوادث الكائنة بعده:

المورد الأول - قتل الصحابي أبي الغادية الصحابي عمار بن ياسر (ت: ٣٧ هـ)، وإليكم خبر ذلك:

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، باب (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي)، وكتاب الأنبياء، باب (وَأَتَّخِذُ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)، والترمذي، أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحشر، وتفسير سورة طه.

(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، (٤ / ٩٥). وراجع كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: «وَأَتَّقُوا فَتْنَةَ لَا تُصِيبُنَّ...» (الأنفال / ٢٥)، منه. وابن ماجه، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، ح ٥٨٣٠. وراجع مسند أحمد (١ / ٤٥٣)، (٣ / ٢٨)، (٥ / ٤٨).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا، ح ٤٠.

جاء في ترجمة أبي الغادية في أسد الغابة :

[أبو الغادية الجهنّي بايع النبي (ص). سكن الشام، قال أبو الغادية :
خطبنا رسول الله (ص) غداة العقبة فقال : «ألا إن دماءكم وأموالكم حرام
كحزمة يؤمكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت» .
قال : نعم .

وكان من شيعة عثمان (رض) وهو قاتل عمار بن ياسر . وكان إذا استأذن
على معاوية (ت : ٦٠ هـ) وغيره يقول : قاتل عمار بالباب، وكان يصف قتله
لعمار إذا سئل عنه كأنه لا يبالي به .

وفي قصته عجب عند أهل العلم . روى عن النبي (ص) النهي عن القتل،
ثم يقتل مثل عمار . والله لو أن عماراً قتله أهل الأرض لدخلوا النار [١] .
أما عمار فإليك ترجمته :

[أبو اليقضان، عمار بن ياسر المذحجيّ العنسيّ، وهو من السابقين
الأوليين إلى الاسلام، وهو حليف بني مخزوم، وأمه سميّة وهي أول من
استشهد في سبيل الله عزّ وجلّ (عام ٧ هـ)، وهو وأبوه وأمه من السابقين .

أسلم عمار ورسول الله (ص) في دار الأرقم (ت : ٥٥ هـ) هو وصهيب بن
سنان (ت : ٣٨ هـ) في وقت واحد . قال عمار : «لقيتُ صهيب بن سنان على
باب دار الأرقم ورسول الله (ص) فيها، فقلتُ : ما تريد؟ فقال : وما تريد
أنت؟ فقلتُ : أردتُ أن أدخل على محمد (ص) وأسمع كلامه . فقال : وأنا أريد
ذلك، فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا» .

أخذه المشركون فعدّبوه فلم يتركوه حتّى سب النبي (ص) وذكر آلهتهم

(١) أسد الغابة (٥ / ٢٦٧) .

بخير ثم تركوه، فلما أتى الرسول (ص) قال: «ما وراءك؟» قال: شرُّ يا رسول الله؛ ما تركتُ حتى نلتُ منك وذكّرتُ آلهتهم بخير. قال: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟». قال: مُطمئنناً بالإيمان، قال: «فإن عادوا لك فَعُدْ لَهُمْ».

وكان رسول الله (ص) مرَّ بعَمَّارٍ وأُمِّهِ وأَبِيهِ وَهُمْ يُعَذِّبُونَ بِالْأَبْطَحِ فِي رَمَضَاءِ مَكَّةَ، فقال: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ! مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةَ».

مرَّ رسول الله (ص) بعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَهُوَ يَبْكِي وَيَذْلُكُ عَيْنِيهِ، فقال رسول الله (ص): «مَا لَكَ؟ أَأَخَذَكَ الْكُفَّارُ فَفَطَّوْكَ فِي الْمَاءِ فَقُلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَإِنْ عَادُوا لَكَ فَقُلْ كَمَا قُلْتَ».

شهد بَذْرًا وَأَحَدًا وَغَيْرَهُمَا، وَقَالَ النَّبِيُّ (ص) فِيهِ: «مَنْ عَادَنِي عَمَّارًا عَادَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَمَّارًا أَبْغَضَهُ اللَّهُ».

وَجَاءَ عَمَّارٌ يَسْتَأْذِنُ النَّبِيَّ (ص) فَقَالَ: «إِذْنُوا لَهُ! مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيِّبِ».

وَقَالَ لَهُ (ص): «أُبَشِّرُ يَا عَمَّارُ! تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ».

قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) الْمَدِينَةَ أَوَّلَ مَا قَدِمَهَا ضَحَى فَقَالَ عَمَّارُ: مَا لِرَسُولِ اللَّهِ بُدٌّ مِنْ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَكَانًا إِذَا اسْتَظَلَ مِنْ قَائِلَتِهِ لِيَسْتَظِلَّ فِيهِ وَيَصِلِّيَ فِيهِ. فَجَمَعَ حِجَارَةً فَبَنَى مَسْجِدَ قَبَاءَ، فَهُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ بَنَى وَعَمَّارُ بَنَاهُ.

وَشَهِدَ عَمَّارُ قِتَالَ مُسَيْلَمَةَ (ت: ١٢ هـ) فَشَوَّهَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ عَلَى صَخْرَةٍ قَدْ أَشْرَفَ يَصِيحُ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! أَمِنْ الْجَنَّةِ تَفْرُونَ؟! إِلَيَّ إِلَيَّ، أَنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، هَلُمُّوا إِلَيَّ. وَقَدْ قُطِعَتْ أُذُنُهُ فَهِيَ تَذْذِبُ وَهُوَ يِقَاتِلُ أَشَدَّ الْقِتَالِ.

شَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ (ع) الْجَمَلَ وَصِفِّينَ، فَكَانَ لَا يَأْخُذُ فِي نَاحِيَةٍ وَلَا وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ صِفِّينَ إِلَّا رَأَيْتُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ (ص) يَتَّبِعُونَهُ كَأَنَّهُ عَلَّمَ لَهُمْ.

وقال لهاشم بن عُتْبَةَ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ (ت: ٣٧ هـ): يا هاشمُ! نفرّ من الجنة؟! الجنة تحت البارقة. اليوم ألقى الأحيّة؛ مُحمّداً وحزبه.

وقال في يوم صُفَيْن: إئتوني بشربة، فأتي بشربة لبن فقال: إنّ رسول الله (ص) قال: «آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن»، وشربها ثم قاتل حتّى قُتِل. وكان عمره يومئذ أربعاً وتسعين سنة وقيل ثلاثاً وتسعين وقيل إحدى وتسعين.

شهد خُزَيْمَةُ بن ثابت الجَمَل وهو لا يسُلُ سيفاً، وشهد صُفَيْن ولم يُقاتِل وقال: لا أقاتِل حتّى يُقتل عَمَّارٌ فأنظر مَنْ يَقْتله؛ فأبى سمعتُ رسول الله (ص) يقول: «تَقْتُلُهُ الفُتنةُ الباغية»، فلما قُتِلَ عَمَّارٌ قال خُزَيْمَةُ: ظهرت لي الضلالة، ثم تقدّم فقاتل حتّى قُتِلَ (سنة ٣٧ هـ).

ولما قُتِلَ عَمَّارٌ قال: (أذفوني في ثيابي فأبى مخاصم). قتله أبو الغادية الجهنيّ، طعنه فسقط. فلما وقع أكبّ عليه آخر فاحترّ رأسه، فأقبلا يختصمان كلّ منهما يقول: أنا قتلتَه. فقال عمرو بن العاص (ت: ٤٣ هـ): والله إن يختصمان إلّا في النار، والله لو ددْتُ أني مِتُّ قَبْلَ هذا اليوم بعشرين سنة. ودفنه عليّ في ثيابه ولم يفسله [١].

لَسْتُ أدري كيف يكون الصّحابيّ أبو الغادية عادلاً يصحّ أخذ حديث الرّسول (ص) منه بعد قتله الصّحابيّ البرّ حبيب رسول الله (ص)؛ عَمَّار ابن ياسر؟ لَسْتُ أدري!.

المورد الثاني: خبر معاوية وعليّ كالآتي بيانه:

أ - الصّحابيّ الشهير خليفة المسلمين معاوية بن أبي سفيان.

(١) أسد الغابة (٤ / ٤٣ - ٤٧)، والطّبري (٣ / ٢٣١٥ - ٢٣١٧)، ط. أوربا.

ب - الصحابي الوصيُّ ابنُ عَمِّ الرِّسُولِ وزَوْجُ أبنته وخليفة المسلمين عليُّ ابن أبي طالب (ع).

شارك معاوية (ت: ٦٠ هـ) قومه في حربهم لرسول الله (ص) في بَذْرٍ وتحت راية أبيه في أُحُدٍ والحَنْدَقِ، وأسلم بعد فتح مَكَّة وأعطاه الرِّسُولُ (ص) من غنائم حُنَيْنٍ سهم المولَّفة قلوبهم على الإسلام^(١)، وسكن المدينة في عصر الرِّسُولِ (ص) زهاء سنة ونصف السنة.

وعندما جهَّز الخليفة أبو بكر في سنة ١٣ هـ جيشاً لفتح بلاد الشَّام وولَّى عليه يزيد بن أبي سُفيان (ت: ١٨ هـ)؛ سارَ معاوية في رِكاب أخيه، ولمَّا توفِّي أخوه في طاعون عَمَواس سنة ١٨ هـ، ولَّاه الخليفة عمر (ت: ٢٣ هـ) على جُنْد أخيه، وعندما استخلف عثمان؛ عزلَ سائر الولاة عن تلك البلاد وجمعها لمعاوية.

ولمَّا قامت الفتنة ضدَّ عثمان استنصره وأستمدَّ منه، فأرسل جيشاً من الشَّام وأوصى أمير الجيش وقال له: (إذا بلغتَ ذا خُشْبٍ^(٢))، أنزل جيشك هناك ولا تتعدَّاه ولا تقل: يرى الحاضر ما لا يرى الغائب، فأنا الحاضر وأنت الغائب)، فبقي هناك حتَّى قُتِلَ عثمان، فاسترجعهم معاوية إلى الشَّام، فلَمَّا بايع المسلمون الإمام عليّاً (ع) طلب معاوية منه إمارة الشَّام ومصر طعمة لبيابته، فأبى عليه الإمام عليّ (ع) فأشهر في بلاد الشَّام أنَّ الإمام عليّاً (ع) قتل عثمان، وحرَّضهم على الطَّلَبِ بدمه من الإمام عليّ (ع)، وأستوثق له ذلك بعد حرب الجمل^(٣).

(١) سيرة ابن هشام (٤ / ١٣٩ - ١٤٠).

(٢) ذا خُشْبٍ: وإد على مسيرة ليلة من المدينة، معجم البلدان.

(٣) راجع مصادر الأخبار في باب: «مع معاوية» من كتاب «أحاديث أم المؤمنين

عائشة».

أُشْرنا إلى هنا إلى سيرة معاوية حتى عهد بيعة الإمام عليّ (ع)، وأوردنا تفصيل سيرته وما ورد من الرّسول (ص) في حقّه في فصل: (مع معاوية) من كتابنا «أحاديث أمّ المؤمنين عائشة».



كان ذلكم شأن معاوية.

أما الإمام عليّ (ع) فقد أخذه الرّسول (ص) إلى بيته وهو طفل صغير كما وصف ذلك الإمام بنفسه وقال ما موجهه:

«وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ، يَضَعُنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنِفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيَمْسُئَنِي جَسَدَهُ، يَرْفَعُ لِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَيَّ وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِزُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِزَاءِ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يُؤْمِنُ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَخَدِيجَةَ (ت: ١٠ من البعثة) وَأَنَا ثَالِثُهُمَا»^(١).

كان ذلكم شأنه مع رسول الله (ص) حتى هاجروا إلى المدينة. ومواقفه في بَذْرٍ وَأُحْدٍ وَالْحَنْدَقِ وغيرها معروفة... كان يُقاتل فيها جيش قريش الذي فيه مُعاوية.

أما تعلّمه من الرّسول (ص) فقد كان الرّسول (ص) يملّي عليه كلّما ينزل عليه من وحي ويكتب الإمام في كتاب مدرج من الجلد طوله سِتُّون ذراعاً وأسمه الجُمُاعَة^(٢).

(١) لقد نقلنا هاهنا مجلّاً من المخطبة القاصّة من نهج البلاغة.

(٢) راجع فصل «أحاديث أئمّة أهل البيت مسندة إلى الله ورسوله» من الجزء الثاني

وَأَسْتَمَرَ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا حَتَّى آخِرَ سَاعَةٍ مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ (ص) كَمَا رَوَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ وَقَالَتْ: «فَأَكَبَّ عَلَيْهِ - عَلِيٌّ عَلِيٌّ - رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَجَعَلَ يُسَارُّهُ وَيُنَاجِيهِ ثُمَّ قُبِضَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ فَكَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ بِهِ عَهْدًا»^(١).

وبعد وفاة الرسول (ص) جلس الوصي في البيت ثلاثة أيام كما وصاه الرسول (ص) حتى أكمل جمع القرآن الذي كان في يَتِّهِ الرسول (ص) والذي كان قد كُتِبَ بِأَمْرِ مِنَ الرَّسُولِ (ص)^(٢).

كان هذا بعض شأن الوصي مع النبي (ص)، وعندما بُويع بالخلافة بعد عثمان وجهز معاوية جيشاً لقتاله باسم الطلب بدم عثمان والتقوا بصفين في ربيع الأول سنة ٣٦ هـ وقُتِلَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا وَمِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ خَمْسَةٌ وَعَشْرُونَ أَلْفًا وَبَانَ الْإِنْكَسَارُ فِي جَيْشِ مُعَاوِيَةَ؛ أَشَارَ عَلَيْهِمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِرَفْعِ الْمِصْحَافِ يَدْعُونَ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَيْهَا، فَانْخَدَعَ جَيْشُ الْعِرَاقِ وَأَجْبَرُوا الْوَصِيَّ عَلَى قَبُولِ التَّحْكِيمِ وَأَنْ يَكُونَ الْحَكَمُ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ (ت: ٤٤ هـ).

→ من معالم المدرستين.

(١) أخرجه المحاكم في مستدركه (٣ / ١٣٨). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. واعترف بصحته الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) في تلخيص المستدرک. وأخرجه ابن عساکر في باب: (إنه كان أقرب الناس عهداً برسول الله (ص)) من ترجمة الإمام علي (ع) (٣ / ١٤ - ١٧). بطرق متعددة. وفي مُصَنَّفِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (ت: ٢٣٥ هـ) (٦ / ٣٤٨). وجمع الزوائد للهيتمي (ت: ٨٢٧ هـ)، (٩ / ١١٢). وكنز العمال، لعلي المتقي (ت: ٩٧٥ هـ) ط. الثانية؛ كتاب الفضائل، فضائل علي بن أبي طالب، ح ١٧٤، (١٥ / ١٢٨). وأخرجه سبط ابن الجوزي، في تذكرة خواص الأمة، باب حديث النجوى والوصية عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل.

(٢) أوردنا خبره في بحث «من تاريخ القرآن» من المجلد الأول من: «القرآن الكريم وروايات المدرستين».

ولمّا عَيَّن معاوية عمرو بن العاص واجتمعاً للتحكيم؛ خدع عمرو أبا موسى فتقدّم وخلع عليّاً ومعاوية، وتقدّم عمرو بعده فنصب معاوية للخلافة وخلع عليّاً، فاستتبّ الأمر لمعاوية في الشّام سنة ٣٧ هـ^(١). فأخذ يبعث الغارات على المسلمين الذين كانوا تحت حكم الوصيّ (ع)، وكان يَمَنّ أرسل في تلكم الغارات الصحابيّين نعمان بن بشير الأنصاريّ (ت: ٦٦ هـ) وعبدالله ابن مسعدة الفزاريّ، وكذلك سفيان بن عوف الغامديّ في ستّة آلاف رجل، وقال له في ما أوصاه: فاقتل من لقيته يَمَنّ ليس هو عليّ رأيك، وأخرب كلّ ما مررت به من القرى وأحرب الأموال فإنّ حَرَبَ الأموال^(٢) شبيهه بالقتل وهو أوجع للقلب.

فقصّد إلى الأنبار^(٣)، وقتل رجالاً ونساءً. فبلغ ذلك الوصيّ، فخطب أهل الكوفة وقال في خطبته:

«هذا أخو غامد قد جاء الأنبار فقتل عاملها وقتل رجالاً كثيراً ونساءً. والله لقد بلغني أنّه كان يأتي المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فيزعرها حجلها ورعائها... فلو أنّ امرأة مسلماً مات دون هذا أسفاً لم يكن عليه ملوماً...». وأرسل معاوية، الصّحابيّ بُسَير بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف وقال له: «... فاطرد النّاس، وأخفّ مَنْ مَرَرَتْ به، وأنّهب أموال كلّ مَنْ أصبَتْ له مالاً يَمَنّ لم يكن له دَخْل في طاعتنا».

(١) راجع كتاب «أحاديث أمّ المؤمنين عائشة» القسم الأوّل، ط. بيروت ١٤٠٥ هـ، ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٢) حَرْبَةٌ حَرْباً: سَلَبَتْ جَمِيعَ مَا يَمْلِكُ.

(٣) الأنبار: مدينة كانت غربي بغداد وتبعد عنها عشر فراسخ، راجع مادة الأنبار من معجم البلدان.

وأمرهم أن يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة عليّ، ولا يكفّوا أيديهم عن النساء والصبيان.

وفي رواية ابن عساكر: ليستعرض الناس فيقتل من كان في طاعة عليّ. فسار حتى دخل المدينة وأخاف أهلها وبقية الأنصار، وهدم فيها دوراً وقتل قوماً من بني كعب على مائهم في ما بين مكة والمدينة وألقاهم في البئر.

وفي مروج الذهب للمسعودي (ت: ٣٤٦ هـ): قتل بين المسجدين خلقاً كثيراً وكذلك قتل بالجرف^(١) خلقاً كثيراً من الأبناء^(٢)، ولم يبلغه عن أحد عالماً عليّاً أو يهواه إلا قتله.

وفي الأغاني، لأبي فرج الإصفهاني: وأنى نجران^(٣) فقتل أصهار عبيد الله ابن العباس (ت: ٥٨ هـ) عامل عليّ على اليمن - وكان غائباً - ووجد أثنين له صبيين فذبحهما بشرّ بيده، فقالت امرأة له: يا هذا! قتلت الرجال! فعلام تقتل هذين؟! والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية والإسلام، والله يا أبن أوطاة إن سلطاناً لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير، والشيخ الكبير، ونزع الرحمة، وعقوق الأرحام؛ لسلطان سوء^(٤).

قالوا: فوهلت عليهما أمهما، وكانت لا تعقل، ولا تصفي إلا لمن يخبرها بقتلها، ولا تزال تنشدهما في المواسم:

ها من أحسّ بابنيّ اللذين هما كالذرّتين تشطّى عنها الصّدْفُ

(١) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة، معجم البلدان.

(٢) كان يُقال لأبناء أهل فارس الذين هاجروا إلى اليمن وسكنوها: الأبناء.

(٣) نجران: من أراضي اليمن من ناحية مكة، معجم البلدان.

(٤) ابن الأثير (٣/ ١٥٣ - ١٥٤)، وفي ابن عساكر (٣/ ٢٢٤ - ٢٢٥) قريب منه،

والأبيات في الأغاني (١٥ / ٤٥)، والغارات برواية ابن أبي الحديد عنه.

هَا مَنْ أَحْسَّ بِإِبْنِي الَّذِينَ هُمَا قَلْبِي وَسَمِعِي قَلْبِي الْيَوْمَ مُحْتَطَفُ
 هَا مَنْ أَحْسَّ بِإِبْنِي الَّذِينَ هُمَا عِخُّ الْعِظَامِ فَخِي الْيَوْمَ مُزْدَهَفُ
 مِنْ ذُلِّ وَالْمَةِ حَيْرَى مُدْهَقَةٌ عَلَى صَبِيَّيْنِ ذُلًّا إِذْ غَدَا السَّلَفُ
 بُنْتُ بُشْرًا وَمَا صَدَّقْتُ مَا رَعَمُوا مِنْ قَوْلِهِمْ وَمِنْ الْإِفْكِ الَّذِي أَقْتَرَفُوا
 أَحْنَى عَلَى وَدَجِي إِبْنِي مُزْهَقَةٌ مِنْ الشُّفَارِ كَذَاكَ الْإِثْمُ يُفْتَرَفُ

وفي الإستيعاب، لابن عبد البر (ت: ٤٦٣ هـ) وأسد الغابة^(١): أغار بُشْر ابن أرتاة (ت: ٨٦ هـ) على همدان، وقتل، وسبى نساءهم، فكُنَّ أَوَّلَ مسلمات سُبِينَ فِي الْإِسْلَامِ، فَأَقْنَّ فِي السُّوقِ.

وقتل معاوية، الصَّحَابِيُّ جِجْر بن عدي (ت: ٥١ هـ) وَمَنْ مَعَهُ بِمَرْجِ عِذْرَاءَ، لَا تَنْهَمُ لَمْ يَلْعَنُوا عَلِيًّا (ع) وَلَمْ يَبْرَأُوا مِنْهُ.

وقتل فِي سَبِيلِ أَخْذِ الْبَيْعَةِ لَابْنَهُ يَزِيدُ؛ الصَّحَابِيُّ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ (ت: ٥٥ هـ)، وَالصَّحَابِيُّ سَبْطُ الرَّسُولِ (ص) الْأَكْبَرُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ (ع).



ذكرنا من موارد مصاديق ما أنبأ به الرَّسُولُ (ص) أَصْحَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَقَارَأَ يَضْرِبُ بَغْضَكُمْ رِقَابَ بَغْضٍ»؛ قَتَلَ الصَّحَابِيُّ أَبِي الْغَادِيَةِ الصَّحَابِيُّ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ. وَقَتَلَ الصَّحَابِيُّ مَعَاوِيَةَ فِي صَفِّينَ مِنْ قَتْلِ، وَقَتَلَ الصَّحَابِيُّ بُشْرَ وَغَيْرِهِ مِنْ وَلَاتِهِ مَنْ قَتَلُوا، وَقَتْلَهُ الصَّحَابِيُّ حَجْرًا وَمَنْ

(١) الإستيعاب (١ / ٦٥ - ٦٦)، وأسد الغابة (١ / ١٨٠)، إلى قوله: «سُبِينٌ فِي الْإِسْلَامِ». و «همدان» بطن من كهلان من القحطانية، وديار همدان باليمن من شرقيّه وكانت همدان من شيعة عليّ. (نهاية الأرب للقلقشندي) (ت: ٨٢١ هـ)، ص ٣٩٧ - ٣٩٨، وراجع المسهرة، لابن حزم (ت: ٤٥٦ هـ)، ص ٣٦٩ - ٣٧٢.

معه لامتناعهم عن لعن الصحابي علي (ع) والتبري منه. وقد سنّ الصحابي معاوية لعن الصحابي علي (ع) في خطب الجمعة على جميع منابر المسلمين منذ سنة ٤٠ هـ، إلى سنة ١٣٢ هـ، وأستيلاء بني العباس على الخلافة ما عدا مدة خلافة عمر ابن عبدالعزيز (٩٩ - ١٠١ هـ).

أما الاعتذار بأن ذلك القتل في صفيّين كان في سبيل الطلب بدم الخليفة عثمان، فيكشف زيفه قتل عشرات الألوف في غارات الصحابة المسلمين الذين لم يشهدوا قتل عثمان.

ويكشف زيفه - أيضاً - قول معاوية بعد دخوله الكوفة وبعد صلحه مع الإمام الحسن (ع) في خطبته لأهل الكوفة:

«إِنِّي وَاللَّهِ مَا قَاتَلْتُكُمْ لَتَصَلُّوا وَلَا تَصُومُوا وَلَا تَحُجُّوا وَلَا تَزَكُّوا، إِنَّكُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ؛ وَإِنَّمَا قَاتَلْتُكُمْ لِأَتَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ»^(١).

وقال: «أَلَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ أُعْطِيْتَهُ الْحَسَنَ فَتَحَتْ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ»^(٢).



لم نورد ما أوردناه آنفاً عن بعض الصحابة لغاية المدح أو الذم، بل كانت غايتنا غاية علماء دراية الحديث عندما يذكرون في ترجمة الزّواة ما يستدلّون به على عدالة الزّاوي وعدمها، ومن باب الجرح والتعديل، ولنبرهن على عدم صحة القول بعدالة جميع الصحابة ومن هنا نشأت تسمية من أخذ سنة

(١) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الإصهاني، ص ٧٠. وتاريخ ابن كثير (٨ / ١٣١) واللفظ للأول.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص ٦٩. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٤ / ١٦).

الرَّسُولُ (ص) مِنْ أَيْ فَرَدَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِـ «أَهْلِ السُّنَّةِ».

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي عُدَّتْ مِنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ (ص) وَتَسَالَمُوا عَلَى صَحَّتِهَا مَا رَوَاهَا مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ بِأَسَانِيدِهِ وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص):

«يَكُونُ بَغْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ وَلَا يَسْتَنْوَنَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثَاثٍ إِنْسٍ».

قَالَ، قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟

قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِيعْ».

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (ت: ٦٨ هـ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ:

«مَنْ رَأَى مِنْ إِمَامِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَضِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

وَفِي أُخْرَى:

«لَيْسَ أَحَدٌ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ عَلَيْهِ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (ت: ٧٣ هـ) أَنَّهُ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ (ت: ٦٤ هـ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ص) يَقُولُ:

«مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لَيَّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

(١) صحيح مسلم (٦ / ٢٠ - ٢١)، كتاب الإمارة، باب الأمر يلزوم الجماعة.

وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنْ خُذَيْفَةَ (وَهُوَ ابْنُ الْيَمَانِ الْقُبَيْبِيُّ) كَانَ أَبُوهُ قَدْ أَصَابَ دُمًا فِي

وتسأل علماء مدرسة الخلفاء جيلاً بعد جيل على صحتها مثل ما قال النووي (ت: ٦٧٧ هـ) في شرحه لصحيح مسلم بباب لزوم طاعة الأمراء في غير معصية:

«وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينزّل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويله للأحاديث الواردة في ذلك». وقال قبله:

«وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينزّل السلطان بالفسق»^(١).

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) في كتاب التمهيد^(٢)، في باب ذكر ما يوجب خلع الإمام وسقوط فرض طاعته ما ملخصه. [قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث: لا يخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبدان، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويله وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه من معاصي الله. وأحتجوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبي (ص) وعن الصحابة في وجوب طاعة

→ الجاهلية، فهرب إلى المدينة، وتزوج بها، وحالف بني عبد الأشهل، وسُمّي اليان لمخالفته البيانية، وأسمه حُسنيل. شهد حذيفة الحنفدق وما بعدها، ووليّ لعمر المدائن، ومات بها سنة ست وثلاثين، أربعين ليلة بعدبيعة الإمام علي (ع)، روى عنه أصحاب الصحاح ٢٢٥ حديثاً. ترجمته في الإستيعاب وأسد الغابة والإصابة لابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) وبجوامع السيرة لابن حزم (ت: ٤٥٦ هـ) ص ٢٧٧.

(١) (١٢ / ٢٢٩) في شرحه على مسلم، وراجع سنن البيهقي (٨ / ١٥٨ - ١٥٩).

(٢) التمهيد، ط. القاهرة، ١٣٦٦ هـ.

الْأَمْنَةُ وَإِنْ جَارُوا وَأَسْتَأْثَرُوا بِالْأَمْوَالِ، أَنَّهُ قَالَ (ع): «إِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَلَوْ لَعَبْدٍ أَجْدَعَ، وَلَوْ لَعَبْدٍ حَبَشِيٍّ، وَصَلُّوا وَرَاءَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ».

وروي أَنَّهُ قَالَ: «أُطِغْهُمْ وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ» [1].

وفي مقابل تلكم الروايات عن أولئك الصحابة، وتلكم الأقوال عن أولئك العلماء؛ نجد الصحابيَّ السُّبُطَ الشَّهِيدَ الحُسَيْنَ بنَ عَلِيٍّ (ع) يروي عن جَدِّهِ الرَّسُولِ (ص) أَنَّهُ قَالَ:

«مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا، مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) يَغْمَلُ فِي عِبَادِهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ؛ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ، أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزَمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ، وَعَظَّلُوا الْحُدُودَ، وَأَسْتَأْثَرُوا بِالْقِيَّةِ، وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ، وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ...»^(١).



(١) قال ذلك السُّبُطُ الشَّهِيدُ في لقائه الحرَّ بنَ يزيدَ الرِّياحِي (ت: ٦١ هـ) قائدَ جيشِ ابنِ زياد (ت: ٦٧ هـ) الذي أرسله ليقابل السُّبُطَ في مسيره إلى العراق. راجع مصدر الخبر في ذكر حوادث سنة (٦١ هـ) من تاريخ الطُّبري، ط. مصر الأولى (٢٢٩ / ٦). وابن الأثير، ط. مصر الأولى (٤ / ٩ - ٢١). وتاريخ ابن كثير، ط. دمشق الأولى (٨ / ١٧٢ - ١٨٢). والأخبار الطُّوال للذَّينُورِيِّ (ت: ٢٨٢ هـ) ص ٢٤٨ - ٢٥٣. وأنساب الأشراف للبلاذري (ت: ٢٧٩ هـ) ص ١٦٩ - ١٧٦. وقد تغيَّرت اللفظ من الطُّبري.



مرکز تحقیقات کتاب ویر علوم اسلامی

مُصْطَلَحَاتُ الْفِقْهِ

- الْفِقْهُ
- الْإِجْتِهَاد
- السُّنَّةُ
- الْبِدْعَةُ
- الزَّكَاةُ
- الصَّدَقَةُ
- النَّيْءُ
- الصَّنِيّ
- الْأَنْفَالُ
- الْغَنِيْمَةُ وَالْمَغْنَمُ
- الْخُمْسُ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفقه

أ - الفقه في اللغة، كما ورد في المعاجم: الفهم.

ب - الفقه في الكتاب والسنة، كما يأتي بيانه:

قال الله سبحانه:

﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾.

(التوبة / ١٢٢)

وقال رسول الله (ص): «نَصَّرَ الله عبداً سمع مقالتي هذه فبلغها، فُرِبَ حامل فقهٍ غير فقيه، وَرُبَ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه»^(١).

وروي أنه قال: «فقيه أشدَّ على الشيطان من ألف عابد»^(٢).

و«مَنْ فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم»^(٣).

و«خياركم أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهوا»^(٤).

(١) ابن ماجة، المقدمة باب ١٨ «من بلغ علماً» الحديث، ٢٣ و ٢٣١ و ٢٣٦. وكتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر. وسنن أبي داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، ح ٣٦٦٠، باب ١٠. والترمذي، كتاب العلم، باب ٧ ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (١٠ / ١٣٦) وراجع ١٢٤ منه. والدارمي (١ / ٧٤ - ٧٦)، المقدمة، باب ٢٤. ومسند أحمد (٣ / ٢٢٥) و (٤ / ٨٠ و ٨٢) و (٥ / ١٧٣).

(٢) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (١٠ / ١٥٤).

(٣) صحيح البخاري (١ / ١٨). وكتاب العلم، باب ٢٠، مسلم، كتاب الفضائل ح ١٥. ومسند أحمد (٤ / ٣٩٩).

(٤) مسند أحمد (٢ / ٤٦٧ و ٤٦٩ و ٤٨١).

و«خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»^(١).
و«خصلتان لا تجتمعان في منافق: حسن سمع ولا فقه في الدين»^(٢).
و«من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٣).
و«إن رجلاً يأتونكم من أقطار الأرضين يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»^(٤).
وإنه دعا لابن عباس وقال: «اللهم فقهه في الدين»^(٥).
وورد في محاورات أهل البيت والصحابة بعد رسول الله:
قول الإمام علي: «ألا أخبركم بالفقيه حقّ الفقيه؟ قالوا بلى يا
أمير المؤمنين، قال: من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب
الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله»^(٦).
وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: «ما أدركت فقهائ أرضنا إلا يسلمون في

(١) صحيح البخاري (٢ / ١٧٥)، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، ح ١٩٩، باب
خيار الناس. وسنن الدارمي، المقدمة ص ٧٣ باب ٢٤. ومسند أحمد (٢ / ٢٥٧ و ٢٦٠
و ٣٩١ و ٤٣١ و ٤٨٥ و ٤٩٨ و ٥٢٥ و ٥٣٩) و (٣ / ٣٦٧ و ٣٨٣) و (٤ / ١٠١).
(٢) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (١٠ /
١٥٧).

(٣) صحيح البخاري (١ / ١٦)، و (٤ / ١٧٥). وسنن الدارمي (١ / ٧٤)، ومسند
أحمد (١ / ٣٠٦) و (١ / ٢٣٤) و (٤ / ٩٢ و ٩٣ و ٩٥ - ٩٩ و ١٠١).
(٤) سنن الترمذي (١٠ / ١١٩). وسنن ابن ماجة، المقدمة، الباب ٢٢.
(٥) صحيح البخاري (١ / ٢٨). ومسند أحمد (١ / ٢٦٦ و ٣١٤ و ٣٢٨ و ٣٣٥).
(٦) سنن الدارمي (١ / ٨٩). والكافي (١ / ٣٦). وتحف العقول، باب ما روى عن
أمير المؤمنين، فصل وروى عنه في قصار هذه المعاني. ومعاني الأخبار للصدوق، باب
معنى الفقيه حقاً، ص ٣٧٤. وكز العمال، كتاب العلم، باب الترغيب فيه، الحديث ٢٧٨،
(١٠ / ١٠٣). وحلية الأولياء (١ / ٧٧). والبحار (١٧ / ٤٠٧).

كُلَّ أَثْنَيْنِ مِنَ النَّهَارِ»^(١).

وقال عمر: «تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا»^(٢).

«فَمَنْ سَوَّدَهُ قَوْمُهُ عَلَى فَقْهِ كَانَ حَيَاةً لَهُ وَلَهُمْ، وَمَنْ سَوَّدَهُ قَوْمُهُ عَلَى غَيْرِ فَقْهِ كَانَ هَلَاكاً لَهُ وَلَهُمْ»^(٣).

وقال ابن عبد الرحمن في وصف ابن عباس: «إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَقِيهٌ فِي دِينِ اللَّهِ»^(٤).

وفي باب اختلاف الفقهاء من سنن الدارمي: «كُتِبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْآفَاقِ لِيَقْضِيَ كُلَّ قَوْمٍ بِمَا أَجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقَهَاؤُهُمْ»^(٥).

وفيه أيضاً: «وَإِذَا جَلَسُوا الْعِشَاءَ - الْآخِرَةَ - جَلَسُوا فِي الْفَقْهِ»^(٦)، «وَلَا بَأْسَ بِالسَّمْرِ فِي الْفَقْهِ»^(٧)، «وَكَانُوا يَتَجَالَسُونَ بِاللَّيْلِ وَيَذْكُرُونَ الْفَقْهَ»^(٨).

وفي صحيح البخاري باب السمر في الفقه^(٩). وقال الشعبي: «لَمَّا قَدِمَ عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ الْكُوفَةَ أَتَيْنَاهُ فِي نَفَرٍ مِنْ فَقَهَاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ»^(١٠).

وعن عمران المنقري قال: قُلْتُ لِلْحَسَنِ يَوْمًا فِي شَيْءٍ قَالَهُ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ لَيْسَ هَكَذَا يَقُولُ الْفُقَهَاءُ! فَقَالَ: وَيَحْكُ وَرَأَيْتَ أَنْتَ فَقِيهًا قَطُّ، إِنَّمَا الْفَقِيهَ

(١) صحيح البخاري (١ / ١٤١)، كتاب التهجد، باب ٢٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم (١ / ١٦)، وسنن الدارمي (١ / ٧٩).

(٣) سنن الدارمي (١ / ٧٩).

(٤) مسند أحمد (١ / ٣٤٩).

(٥) سنن الدارمي (١ / ١٥١).

(٦) سنن الدارمي (١ / ١٤٩).

(٧)، (٨) سنن الدارمي (١ / ١٥٠).

(٩) صحيح البخاري (١ / ٧٩)، كتاب المواقيت، باب ٤٠.

(١٠) سنن ابن ماجه، ح ٨٧.

الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بأمر دينه، المداوم على عبادة ربّه»^(١).

هذا بعض ما ورد في كتب حديث مدرسة الخلفاء، وورد في كتب حديث مدرسة أهل البيت:

أ - عن رسول الله (ص): «الفقهاء أمناء الرّسل ما لم يدخلوا في الدنيا»^(٢)، «من حفظ على أمّتي أربعين حديثاً من أمر دينها ينتفعون بها في أمر دينهم: بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً»^(٣).

ب - في نهج البلاغة من كلام الإمام عليّ: «من أُنْجِرَ بغير فقه فقد أرتطم في الرّبا»^(٤)، «وربّما لقلوب الفقهاء»^(٥)، «وتفقه في الدّين»^(٦).

ج - وعن الإمام الصادق: «ليت الشياطين على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام»^(٧)، «لا يكون الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا»^(٨).

وقوله: «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مُخَالِفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه»^(٩).

(١) سنن الدارمي (١ / ٨٩).

(٢) البحار (٢ / ١١٠).

(٣) البحار (٢ / ١٥٦) الحديث ١٠، ونظيره الحديث ٩.

(٤) نهج البلاغة، باب الحكم، الرقم ٤٤٧ (٣ / ٢٥٩).

(٥) نهج البلاغة، في وصف القرآن، الخطبة ١٩٦ (٢ / ٢٥٢).

(٦) نهج البلاغة، من وصية له للإمام الحسن، رقم ٣١ (٣ / ٤٢).

(٧) البرقي في المحاسن، الحديث ١٦١، والبحار، ط. أمين الضرب (١ / ٦٦).

(٨) البحار، (٢ / ١٨٤)، ح ٥.

(٩) سفينة البحار (٢ / ٣٨١) بمادّة فقه.

كان هذا مدلول الفقه والفتوة في الكتاب والسنة. ثم أختص لدى علماء مدرسة أهل البيت بالعلم بالأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية. قال جمال الدين الحسن بن زين الدين (ت: ١٠١١ هـ) في كتابه، معالم الدين، المشهور بـ (معالم الأصول):

الفقه في اللغة: الفهم.

وفي الاصطلاح: «هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية»^(١).

يقصد بالاصطلاح، اصطلاح علماء مدرسة أهل البيت (ع).

(١) معالم الدين، تصحيح عبدالحسين محمد علي البقال، ص ٦٦.

الإجتهاد

أولاً - الإجتهاد في اللغة:

قال ابن الأثير: «الاجتهاد بذل الجهد في طلب الأمر، وهو أفعال من الجهد الطاقة»^(١).

وفي هذا المعنى، أستعمل على عهد الرسول وأصحابه إلى آخر القرن الأول.

فقد ورد عن رسول الله:

أ - أما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم^(٢).

ب - صلّوا عليّ واجتهدوا في الدعاء^(٣).

ج - فضل العالم على المجتهد مائة درجة^(٤)، أي المجتهد في العبادة.

وعن محمد القرظي: «كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم، عابد مجتهد»^(٥).

وعن عائشة: «كان رسول الله يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»^(٦). أي يجتهد في العبادة.

(١) مادة: (جهد) من نهاية اللغة لابن الأثير.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، ح ٢٠٧. ومسند أحمد (١ / ٢١٩).

(٣) سنن النسائي (١ / ١٩٠)، باب الأمر بالصلاة على النبي. وفي مسند أحمد (١ /

١٩٩) باختصار.

(٤) مقدّمة سنن الدارمي، (١ / ١٠٠).

(٥) موطأ مالك، كتاب الجنائز، ح ٤٣.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف، ح ٨. وسنن ابن ماجه، كتاب الصيام، ح

١٧٦٧.

وفي حديث طلحة عن رجلين على عهد رسول الله: «كان أحدهما أشدَّ اجتهداً من الآخر، ففزا المجتهد منها فاستشهد»^(١).

وعن أبي سعيد: «كان رسول الله (ص) إذا حلف وأجتهد في اليمين، قال»^(٢).

وفي خبر عبد الله بن أبي في غزوة المصطلق: «فاجتهد يمينه ما فعل»^(٣). وفي سؤال الصحابية أم حارثة عن شأن أبنها حارثة من رسول الله (ص): إن كان في الجنة، صبرت وإن كان غير ذلك أجتهدت عليه في البكاء»^(٤).

نعرف من هذه الموارد والكثرة الكثيرة من نظائرها، أنه كان المتبادر من الاجتهاد في القرن الأول، هو بذل الجهد، ثم تطوّر مدلول الاجتهاد لدى المسلمين، وأصبح يدلّ في اصطلاحهم على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

ثانياً - الاجتهاد في اصطلاح المسلمين:

قال الغزالي في تعريف الاجتهاد: «هو عبارة عن بذل المجهود وأستفراغ الوسع في فعل من الأفعال. ولا يستعمل إلا في ما فيه كلفة وجهد... لكن صار اللفظ في عرف العلماء مخصوصاً ببذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة...»^(٥).

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الرؤيا، ح ٣٩٢٥. ومسند أحمد، (١ / ١٦٣) و (٢ / ٣٢٣) و (٣٦٣) و (٦ / ٨٢ و ١٢٣ و ٢٥٦) و (٥ / ٤٠).

(٢) مسند أحمد، (٣ / ٢٣ و ١٤٨).

(٣) صحيح البخاري، (٣ / ١٣٦) كتاب التفسير، تفسير سورة (المنافقون). وصحيح مسلم، كتاب المنافقين، ح ١. ومسند أحمد (٤ / ٣٧٣).

(٤) صحيح البخاري، (٢ / ٩٣) كتاب الجهاد. ومسند أحمد (٣ / ٢٦٠ و ٢٨٣).

(٥) أبو حامد محمد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) في كتاب المستصفي في أصول الفقه، ط

وقال الدهلوي: «حقيقة الاجتهاد استفراغ الجهد في إدراك الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية الراجعة كلياتها إلى أربعة أقسام: الكتاب والسنة والإجماع والقياس»^(١).

وكذلك عرّف محمد أمين أدلة الأحكام في كتاب تيسير التحرير^(٢).

كان هذا لدى أتباع مدرسة الخلفاء، وقد شاع هذا الاصطلاح لدى علماء مدرسة أهل البيت بعد القرن الخامس كما ورد في كتاب مبادئ الوصول للعلامة الحلي (ت: ٧٢٦ هـ) في الفصل الثاني عشر، البحث الأول في الاجتهاد ما ملخصه:

«الاجتهاد: هو استفراغ الوسع في النظر فيما هو من المسائل الظنية الشرعية، على وجه لا زيادة فيه.

ولا يصح في حق النبي (ص) لقوله تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ (النجم ٤). ولأن الاجتهاد إنما يفيد الظن، وهو (ع) قادر على تلقّيه من الوحي.

مصطفى البابي بمصر سنة ١٣٥٦ هـ (٢ / ١٠١)، راجع ترجمته بكشف الظنون (٢ / ١٦٧٣)، وراجع الأحكام للآمدني (٤ / ١٤١).

(١) نقل ذلك محمد فريد وجدي في مادة جهد من دائرة معارف القرن العشرين (٢ / ٢٣٦) عن رسالة الإنصاف في بيان سبب الاختلاف لأحمد بن عبدالرحيم الدهلوي الفاروقي الحنفي المحدث الفقيه (ت ١١٧٦ أو ١١٧٩ هـ) ترجمه الزركلي في الأعلام (١ / ١٤٤).

(٢) أصل الكتاب اسمه التحرير في أصول الفقه للعلامة كمال الدين محمد بن عبدالواحد الشهير بابن همام الحنفي (ت: ٨٦١ هـ) وشرحه تلميذه الفاضل محمد بن محمد بن أمير الحاج الحلبي الحنفي (ت: ٨٧٩ هـ) وشرح الشرح، المحقق محمد أمين، المعروف بأمير بادشاه البخاري، نزيل مكة وسماه تيسير التحرير. ورجعنا إليه. ط.
مصطفى البابي بمصر، سنة ١٣٥١ هـ (ج ١ / ١٧١) راجع تراجمهم بكشف الظنون (١ / ٣٥٨).

ولأنه كان يتوقف في كثير من الأحكام حتى يرد الوحي ولو ساع له الاجتهاد لصار إليه .

ولأنه لو جاز له، لجاز للمبرئيل (ع) .

وذلك يسد باب الجزم، بأن الشرع الذي جاء به محمد (ع) من الله تعالى .
ولأن الاجتهاد قد يخطئ وقد يصيب، فلا يجوز تعبد به (ع) به لأنه يرفع الثقة بقوله .

وكذلك لا يجوز لأحد من الأئمة (ع) الاجتهاد عندنا، لأنهم معصومون، وإنما أخذوا الأحكام بتعليم الرسول (ع)، وأما العلماء فيجوز لهم الاجتهاد، باستنباط الأحكام من العمومات، في القرآن والسنة، وبترجيح الأدلة المتعارضة .

أما بأخذ الحكم من القياس والاستحسان فلا^(١) .



ونرى أن علماء مدرسة أهل البيت (ع) حين استعملوا مصطلح الاجتهاد والمجتهد لم يتركوا اصطلاح الفقه والفقهاء بل جمعوا بين الاصطلاحين كما فعل ذلك جمال الدين صاحب المعالم فإنه قال في أول كتابه كما مر علينا .
«الفقه في اللغة : الفهم .

وفي الاصطلاح : هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية» .

وعقد بعد ذلك فصلاً لتعريف الاجتهاد وقال في فصل آخر :

(١) مبادئ الوصول إلى علم الأصول، ص: ٢٤٠ - ٢٤١ .

«الاجتهاد في اللّغة: تحمّل الجهد... وأما في الاصطلاح: فهو استفراغ
الفقيه وسعه في تحصيل الظنّ بحكم شرعيّ...»^(١).

(١) معالم الدّين، المطلب التاسع في الاجتهاد والتقليد، ص ٣٨١.

السُّنَّة

أ - في اللّغة:
السُّرَّة.

ب - في المصطلح الإسلامي:

سُنَّة الرّسول في المصطلح الإسلامي: حديثه وسيرته وتقريره.

وتقريره أن يرى رسول الله (ص) عملاً من مسلم ولا ينهاء عن ذلك؛
فإنه قد أقرّ بسكوته صحّة ذلك الفعل.

أمّا ما استحدث في الدّين من أمر ولم يؤخذ من الكتاب والسُّنّة فهو
بدعة. كما سندرسه في البحث الآتي بإذنه تعالى.

البِدْعَة

البِدْعَة إحداث أمر في الشريعة، لم يرد فيها نصٌّ، سواء أكانت أصلها مبتدعة أو خصوصيتها مبتدعة^(١).

والمقصود من النصّ، نصّ من القرآن الكريم وسنّة الرّسول (ص) من حديث أو عملٍ أو تقرير، وتقرير الرّسول (ص) أن يرى الرّسول (ص) مسلماً يعمل عملاً ولا ينهأ (ص) عن ذلك العمل، عندئذ يعدّ ذلك العمل ممّا أقرّ الرّسول (ص) فعله.

قال رسول الله (ص): «إِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).

وقال (ص): «مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي فَعَمِلَ بِهَا النَّاسُ كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجْرٍ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ أَتْبَدَعَ بِدْعَةً فَعَمِلَ بِهَا، كَانَ عَلَيْهِ أَوْزَارٌ مِنْ عَمَلٍ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِ مَنْ عَمِلَ بِهَا شَيْئاً»^(٣).

(١) راجع مائة (بدع) في سفينة البحار.

(٢) سنن الدارمي (ت: ٢٥٥ هـ)، ج ١ / المقدمة، باب ٢٣، ص ٦٩.

(٣) سنن ابن ماجه (ت: ٢٧٥ هـ) المقدمة، باب ١٥، الحديث ٢٠٩.

الزَّكَاةُ

الزَّكَاةُ فِي اللِّغَةِ: الطَّهَارَةُ والنَّمَاءُ والبركة والمدح^(١) مثل قوله تعالى: ﴿أَتَيْهَا أَزْكَى طَعَاماً﴾ (الكهف / ١٩) أي أطهر، وما روي عن الإمام الباقر (ع) أَنَّهُ قَالَ «زَكَاةُ الْأَرْضِ يَبْسُهَا»^(٢) أي طَهَّرَتَهَا يَبْسُهَا. وقول الإمام علي (ع): «الْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ»^(٣) أي يَنْمُو، وقولهم: «زَكَا الزَّرْعُ»^(٤) إِذَا حَصَلَ مِنْهُ نَمُوٌّ وَبَرَكَةٌ. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ (النساء / ٤٩) أي يَدْحُونَهَا.

وَفِي الشَّرْعِ: مَا يُخْرِجُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مُسْتَحَقِّهِ، وَتَسْمِيَتُهُ بِذَلِكَ لِمَا يَكُونُ فِيهَا رَجَاءُ الْبَرَكَةِ أَوْ لَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ أَيْ تَنْمِيَتِهَا بِالْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ أَوْ لَهَا جَمِيعاً فَإِنَّ الْخَيْرِينَ مَوْجُودَانِ فِيهَا^(٥). وَزَكَّى أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ.

هَذَا مُلَخَّصٌ مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ اللِّغَةِ فِي بَيَانِ مَعْنَى الزَّكَاةِ^(٦).

(١) راجع مادة: (زكا) من نهاية اللغة لابن الأثير.

(٢) بمادة (زكا) من نهاية اللغة.

(٣) نهج البلاغة، كتاب الحكم، العدد ١٤٧.

(٤) بمادة (زكا) من مفردات الراغب.

(٥) راجع مادة (زكا) من مفردات الراغب.

(٦) راجعنا في هذا وما يأتي بترجمة المصطلحات الآتية الراغب في مفرداته، وابن الأثير في نهاية اللغة، وآبن منظور في لسان العرب، والقاموس وشرحه مضافاً إلى تفاسير القرآن مثل تفسير الطبري والطبرسي وغيرها.

الصَّدَقَة

قال الراغب في مفرداته: «الصَّدَقَة ما يخرجُه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزَّكَاة لكنَّ الصَّدَقَة تقال في الأصل للمتطوِّع به، والزَّكَاة للواجب»^(١). وقال الطبرسي في مجمع البيان: «الفرق بين الصَّدَقَة والزَّكَاة أنَّ الزَّكَاة لا تكون إلَّا فرضاً، والصَّدَقَة قد تكون فرضاً وقد تكون تفللاً»^(٢).

ومن ثمَّ نرى أنَّ الزَّكَاة لوحظ فيها معنى الوجوب وقصد منها حقَّ الله في المال، كما لوحظ في الصَّدَقَة التطوُّع أي إعطاء المال قربة إلى الله تعالى وقد تُلحظ فيها الرِّحمة على المعطى له مثل قول إخوة يوسف له: ﴿وتصدَّق علينا﴾ (يوسف / ٨٨).

وبما أنَّ الزَّكَاة لوحظ فيها الوجوب أي حقَّ الله في المال نرى أنَّها تشمل أنواع الصدقات الواجبة والخمس الواجب وغيرهما من كلِّ ما كتب الله على الإنسان في المال.

ويشهد لهذا ما جاء في كتاب رسول الله (ص) لملوك حمير: «وآتيتُم الزَّكَاة من المغنم خمس الله وسهم النبي وصفيَّه وما كتب الله على المؤمنين من الصَّدَقَة»^(٣).

(١) بمادَّة (صدق).

(٢) مجمع البيان (١ / ٣٨٤) بتفسير الآية ٢٧٢ من سورة البقرة.

(٣) يأتي ذكر مصادر الكتاب في ما بعد إن شاء الله في بحث مصطلح الخمس.

فإن لفظ «من» بعد الزكاة لبيان أنواع الزكاة المذكورة بعدها وهي:

أ - من المغنم خمس الله .

ب - سهم النبي وصفيته .

ج - ما كتب الله على المؤمنين من الصدقة . أي القسم الواجب من الصدقة .



وهكذا جعل الصدقة الواجبة قسماً واحداً من أقسام الزكاة . وقد حصر الله الصدقة بالمواضع الثمانية المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرُّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة / ٦٠) ، ولم يحصر الزكاة بمورد ما ، بل قرنها بالصلاة في خمس وعشرين آية من كتابه الكريم^(١) ، وكلما قرنت الزكاة بالصلاة في كلام الله وكلام رسوله قصد منها مطلق حق الله في المال والذي منه : حقه في ما بلغ النصاب من التقدين والأنعام والغلات أي الصدقات الواجبة ، ومنه حقه في المغنم أي الخمس ، وحقه في غيرها .

وإذ قرنت في كلامها بالخمسة ، قصد منها الصدقات الواجبة خاصة . وكذلك إذا أضيفت في الكلام إلى أحد موارد أصناف الصدقة مثل «زكاة الغنم» أو «زكاة التقدين» قصد منها عند ذاك أيضاً صدقاتها الواجبة . ويسمى العامل على الصدقة في الحديث والسيرة بالمُتَصَدِّق^(٢) ولا يقال «المُزَكِّي» ويقال لمعطي الصدقة : «الْمُتَصَدِّق»^(٣) ولا يقال المُزَكِّي أو المُتَزَكِّي ، و«الصدقة»

(١) راجع مادة : (الزكاة) من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

(٢) راجع مادة (صدق) بمفردات الراغب ونهاية اللغة ولسان العرب .

(٣) قال الله تعالى : ﴿ إِنِ الْمُسْدِقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ﴾ الحديد / ١٨ وقال ﴿ وَالْمُتَصَدِّقِينَ

هي التي حُرِّمت على بني هاشم^(١) وليست الزكاة، ولم ينتبه مسلم إلى هذا وكتب في صحيحه «باب تحريم الزكاة على رسول الله (ص) وعلى آله...»^(٢) وأورد في الباب ثمانية أحاديث تنصّ على حرمة الصدقة عليهم وليست الزكاة كما قال، وعلى هذا فكلّ ما جاء في القرآن الكريم من أمثال قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٣) فهو أولاً أمر بإقامة كلّ ما يستمى صلاة سواء اليومية منها أو صلاة الآيات أو غيرها. وثانياً أمر بأداء حقّ الله في المال سواء حقّه في موارد الصدقة الواجبة، أو حقّه في موارد الخُمس أو في غيرها.

وكذلك المقصود في ما روي عن رسول الله أنّه قال: «إذا أدّيت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك»^(٤) أي أنك إذا أدّيت حقّ الله في مالك أي جميع حقوق الله في المال فقد قضيت ما عليك، وكذلك ما روي عنه انه قال «من أستفاد مالاً فلا زكاة عليه حتى يحول الحول»^(٥) أي لا حقّ لله في ماله. وجاء في أحاديث أئمة أهل البيت: (وحقّ في الأموال الزكاة)^(٦). ولعلّ سبب خفاء ذلك

→ والمتصدقات ﴿الأحزاب / ٣٥﴾، وراجع أبواب الزكاة في صحيح مسلم (٢ / ١٧٢)، وسنن أبي داود (١ / ٢٠٢)، والترمذي (٣ / ١٧٢). ولا يعبأ بما جاء عند بعض المتأخرين مثل المتقي في كز العمال.

(١) يأتي تفصيله في ما بعد إن شاء الله.

(٢) صحيح مسلم (٣ / ١١٧).

(٣) راجع مائة: (الزكاة) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٤) سنن الترمذي (٣ / ٩٧) باب ما جاء إذا أدّيت الزكاة فقد قضيت ما عليك.

(٥) سنن الترمذي (٣ / ١٢٥) باب ما جاء لا زكاة على المال المستفاد حتى يحول

عليه الحول.

(٦) الكافي (٢ / ١٩ و ٢٠)، وتفسير العياشي (١ / ٢٥٢)، والبحار (٦٨ / ٣٣٧)

و (٣٨٩).

على الناس، أن الخلفاء لما أسقطوا الخمس بعد رسول الله ولم يبق مصداق
للزكاة في ما يعمل به غير الصدقات، نُسي الخمس تدرُّجاً، ولم يتبادر إلى
الذهن من الزكاة في العصور الأخيرة غير الصدقات!

النبي

النبي في اللغة: الرجوع ومنه ما يقال النبي لرجوع الظل بعد زوال الشمس.

وفي الشرع كما في لسان العرب: «ما حصل من أموال الكفار من غير حرب» و«ما ردّ الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالف أهل دينه بلا قتال، إمّا بأن يجلبوا عن أوطانهم ويخلّوها للمسلمين أو يصالحوا على جزية يفتدون بها من سفك دمائهم، فهذا المال هو النبي في كتاب الله»^(١).

وقوله تعالى في سورة الحشر: ﴿وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وأهن السبيل﴾ (الآية ٧).

هذه الآية وسورة الحشر كلّها، نزلت في قصّة بني النضير. وذلك أنّ يهود بني النضير، نقضت عهدها مع رسول الله، وأرادت أن تغدر به وتقتله بإلقاء صخرة عليه حين ذهب مع عشرة من أصحابه إليهم، فأخبره الوحي بما يبتوا من نية الغدر فخرج مسرعاً كأنّه يريد حاجة، ومضى إلى المدينة فلما أبطأ لحقّ به أصحابه فبعث النبي إليهم يخبرهم بغدرهم ويأمرهم بالجللاء، فأبوا وتحصّنوا ١٥ يوماً ثمّ نزلوا على أنّهم ما حملت الإبل غير الحلقة أي السلاح فخرجوا على ستمائة بعير وذهبوا إلى خيبر وغيرها، فجعل الله ما خلفوه من سلاح كثير وأراضٍ ونخيل لرسول الله، فقال عمر: ألا تُخمس ما أصبت؟ (أي تأخذ خمسة وتقسم الباقي على المسلمين) فقال رسول الله (ص): لا أجعل

(١) بمادّة النبي..

شيئاً جعله الله لي دون المسلمين بقوله: ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾ الآية
كهينة ما وقع فيه السهمان للمسلمين.

وقال الواقدي وغيره:

إنما كان ينفق على أهله من بني النضير، كانت له خالصة، فأعطى من
أعطى منها وحبس ما حبس، وأستعمل على أموال بني النضير مولاه أبا
رافع^(١).

(١) كل ما ذكرناه في قصة بني النضير فنسب الواقدي ص ٣٦٣ - ٣٧٨.
وكذلك قاله المقرئ في إمتاع الأسباع ص ١٧٨ - ١٨٢ غير أنه ذكرها بإيجاز، وراجع
تفسير الآية بتفسير الطبري.

وأبو رافع اسمه إبراهيم أو صالح. قيل كان عبداً قبطياً للعباس فوهبه للنبي فاعتقه
وزوجه مولاته سلمى، أسلم بمكة وشهد أحداً وما بعدها وكان أبه رافع كاتباً لعلي (ع)،
توفي في خلافة عثمان أو بعده. أسد الغابة (١ / ٤١ و ٧٧).

الصَّئِي

الصَّئِي وَيُجْمَع عَلَى الصَّافِيَا كَانَ يُقَالُ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِي، لَمَّا يَأْخُذُهُ الرَّئِيسُ مِنَ الْمَالِ الْمَسْلُوبِ مِنَ الْعَدُوِّ قَبْلَ الْقِسْمَةِ. وَفِي الشَّرْعِ الْإِسْلَامِيِّ، لَمَّا كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ خَالِصاً دُونَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَالٍ مَنْقُولٍ وَغَيْرِ مَنْقُولٍ مِنْ أَرَاضٍ وَعَقَارٍ، غَيْرِ سَهْمِهِ فِي الْخُمْسِ^(١)، يَسْتَفَادُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِمَّا نَنْقُلُهُ فِي مَا يَأْتِي:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ بِسَنَنِهِ^(٢) عَنِ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ:

أ - كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ثَلَاثُ صَفَايَا: بَنُو النَّضِيرِ وَخَيْبَرُ وَفَدَكُ... الْحَدِيثُ.

ب - وَفِي حَدِيثٍ آخِرٍ لَهُ:

إِنَّ اللَّهَ خَصَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) بِمَخَاصِئَ لَمْ يَخْصَّ بِهَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُلَاسِطُ رِسْلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحشر / ٦) وَكَانَ اللَّهُ أَفْأَاءَ عَلَى رَسُولِهِ بَنِي النَّضِيرِ... الْحَدِيثُ.

ج - وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْآيَةَ الْآتِيَّةَ: «هَذِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ خَاصَّةٌ قَرَى عَرَبِيَّةً فَدَكَ وَكَذَا وَكَذَا».

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنِ الزَّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ:

صَالِحُ النَّبِيِّ أَهْلُ فَدَكٍ وَقَرَى وَهُوَ مُحَاصَرٌ قَوْمًا آخَرِينَ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ

(١) نِهَآيَةُ اللَّفْظِ لِابْنِ الْأَثِيرِ.

(٢) سَنَنُ أَبِي دَاوُدَ، بَابُ: فِي صَفَايَا رَسُولِ اللَّهِ مِنْ كِتَابِ الْخِرَاجِ (٣ / ١٤١) وَالْأَمْوَالُ لِأَبِي عُبَيْدٍ ص ٩.

بالصلح، قال: ﴿فما أوجفتم عليه من خيلٍ ولا ركابٍ﴾ يقول، بغير قتال، قال: وكانت بنو النضير للنبّي خالصاً لم يفتحها عنوة «افتتحوها على صلح» ويثبت مما ذكرنا أنّ البحّثة ابن الأثير لم يصب في قوله بمادّة (صفا) من نهاية اللغة حين قال: الصني ما كان يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الغنيمة قبل القسمة ويقال له الصفيّة والجمع الصفايا، ومنه حديث عائشة: كانت صفيّة (رض) من الصنيّ، يعني صفيّة بنت حييّ كانت تمنّ أصطفاه النبيّ (ص) من غنيمة خيبر وقد تكرر ذكره في الحديث. أي ذكر الصنيّ والصفايا.

وقال: «وفي حديث عليّ والعبّاس أنّهما دخلا على عمر (رض) وهما يختصمان في الصوافي التي أفاء الله على رسوله (ص) من أموال بني النضير، الصوافي: الأملاك والأراضي التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها واحداً صافية، قال الأزهري: يقال للضياع التي يستخلصها السلطان لخاصّته: الصوافي».

وأخذ من الأزهري وابن الأثير من جاء بعدهما من اللغويين مثل ابن منظور بمادّة «صفا» من لسان العرب.

وخلاصة قولهم: إنّ الصنيّ ويجمع على الصفايا يقال: لما يصطفيه الرئيس من غنائم الحرب غير المنقولة. والصفافية وتجمع على الصوافي لما يستخلصها السلطان من أراض وضياع. ولست أدري كيف يصحّ ذلك وقد رأينا الخليفة عمر يسّمي فذك وخيبر وقرى عربيّة أخرى بصفايا رسول الله.

ووجدنا أبا داود^(١) المتوفّى سنة (٢٧٥ هـ) يعقد باباً في سننه باسم «باب

(١) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب كتاب السنن، قال: كتبت عن

صفايا رسول الله» يذكر شأن تلك القرى التي جاءت في حديث عمر وغير عمر.

ورأينا التقسيم المذكور قد استفيد من الأزهرى^(١) المتوفى سنة (٣٧٠ هـ) أي بعد ما يقارب قرناً من أبي داود، ولعله أخذه من المتعارف في عصره وليس من قبله، وخاصة من القرامطة الذين عاشهم دهرأ وهو في أسرهم واستفاد من محاوراتهم كثيراً.

وخلاصة القول:

إن الصفايا ومفردها الصفي كانت تطلق حتى عصر أبي داود على كل ما كان خالصاً لرسول الله من أموال وضياع وعقار.

رسول الله خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب يعني السنن، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، سكن البصرة وتوفي بها. وراجع تفسير الخبر في تفسير الآية في الدر المنثور.

(١) الأزهرى أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي الشافعي اللخوي، أسرته القرامطة فبقي معهم دهرأ طويلاً يسكن البادية، فاستفاد من محاوراتهم ألفاظاً جمة. من تصانيفه التهذيب ولعله استفاد ما ذكره في تعريف «الصوفي» من محاورات القرامطة في ما يخص الغزو والسطب والنهب. وعلى هذا فليس تعريفه هذا تعريف مصطلح شرعي ليفسر بموجبه ما جاء في الحديث الشريف.

الأنفال

الأنفال جمع النفل والنفل في اللّغة: العطية والهبة، والنفل بالسكون: الزيادة على الواجب ونقله نفلاً وتنفيلاً ونفله وأنفله إيّاه أعطاه نفلاً أي زيادة، ومنه: نفله سلب القليل، ونوافل الصّلاة^(١).

واستعمل لفظ الأنفال في الشرع الإسلامي لأوّل مرّة بسورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ...﴾ الآية. وشأن هذه السورة أن المسلمين خاضوا أوّل معركة حربية تحت لواء قائدهم الأعظم رسول الله (ص) في غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة، ولما أنتهت المعركة بفوزهم الساحق على قريش اختلفوا في ما ظفروا به من جهة العدوّ ورجعوا إلى رسول الله (ص) في ذلك، فنزلت الآيات الكريمة من أوّل سورة الأنفال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الآيات.

في سيرة ابن هشام والطبري وسنن أبي داود^(٢) وغيرها واللفظ للأوّل: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) أَمَرَ بِمَا فِي الْعَسْكَرِ مِمَّا جَمَعَ النَّاسُ فَجَمَعَ فَاخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ، فَقَالَ مِنْ جَمْعِهِ، هُوَ لَنَا، وَقَالَ الَّذِينَ كَانُوا يُقَاتِلُونَ الْعَدُوَّ وَيَطْلُبُونَهُ: وَاللَّهِ لَوْ لَا نَحْنُ مَا أَصْبَتُمُوهُ، لَنَحْنُ شَغَلْنَا عَنْكُمْ الْقَوْمَ حَتَّى أَصْبِتُمْ مَا أَصْبِتُمْ، وَقَالَ الَّذِينَ كَانُوا يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) مَخَافَةَ أَنْ يَخَالَفَ إِلَيْهِ

(١) راجع مادة (نفل) من معاجم اللّغة خاصّة لسان العرب.

(٢) سنن أبي داود (٣ / ٩) باب في النفل من كتاب الجهاد.

العدو: والله ما أنتم بأحقّ به منّا، لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله أكتافهم، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولكنّا خفنا على رسول الله (ص) كرهة العدو، فقمنا دونه، فما أنتم بأحقّ به منّا».

وروى ابن هشام - أيضاً - عن عبادة بن الصامت أنّه قال عن سورة الأنفال: «فينا أصحاب بدر نزلت حين أختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله (ص) فقسّمه بين المسلمين على السواء».

وروى عن أبي أسيد الساعدي قال: أصبت سيف بني عائد المخزوميين ويسمّى المرزبان يوم بدر فلما أمر رسول الله (ص) الناس أن يردّوا ما في أيديهم من النفل أقبلت حتى ألقيته في النفل.

قال ابن هشام: ثمّ أقبل رسول الله (ص) قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب، فقسّم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء^(١).

فهم من كلّ ما سبق أن الله سبحانه حين أستعمل لفظة الأنفال في الآية

(١) سيرة ابن هشام (٢ / ٢٨٣ - ٢٨٦)، وفي طبعة أخرى (٢ / ٢٩٦) وتفسير الآية بتفسير الطبري وغيره.

وعباد بن الصامت: أبو الوليد الأنصاري الحزرجي، شهد العقبة الأولى والثانية ومشاهد رسول الله كلّها، وكان أحد ثقباء الأنصار ومن حفظ القرآن على عهد النبي، توفي سنة ٣٤ أو ٤٥ بالرملة أو بيت المقدس، ترجمته بأسد الغابة (٣ / ١٠٧).

وأبو أسيد مالك بن ربيعة الأنصاري الحزرجي، شهد بدرًا وما بعدها. اختلف في وفاته أكانت في ستين أو خمس وستين للهجرة، ترجمته بأسد الغابة (٤ / ٢٧٩).

وبنو عائد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من قريش، نسبهم في نسب قريش لمصعب الزبير ص ٢٩٩.

ومضيق الصفراء بوادي الصفراء بينه وبين بدر مرحلة، معجم البلدان.

الكرمية قصد منها معناها اللغوي وهو الهبة والعطية، أي أن ما استوليم عليه من أموال العدي ليس من باب السلب والنهب وفق قواعد الجاهلية لتملكوه، بل هو عطاء من الله، ثم هو لله ولرسوله وعليكم أن تردوه إلى رسوله ليعمل فيه وفق رأيه.

ومن هنا نعرف المناسبة في ما استعملت فيه لفظة الأنفال بأحاديث أئمة أهل البيت، وأريد بها: «كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال، وكل أرض أنجلى عنها أهلها بغير قتال، وعلى قطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب، والآجام وبطون الأودية والأرضون الموات وما شابهها»^(١) فإنها جميعاً عطاء من الله، وهبه لرسوله ثم للأئمة من بعده. وبهذا الاستعمال الأخير أصبحت الأنفال في العرف الإسلامي لدى مدرسة أئمة أهل البيت (ع) اسماً لما ذكرناه بين القوسين آنفاً.

(١) راجع البحار للمجلسي. باب الأنفال من كتاب الخئص (٩٦ / ٢٠٤ - ٢١٤)

ط. الجديدة.

الغَنِيمة والمَغْنَم

إنَّ الغنيمة والمغنم قد تطوَّرا مدلولاهما بعد العصر الجاهلي مرَّتين: مرَّة في التشريع الإسلامي، وأخرى لدى المشرَّعة (أي بين المسلمين) حتى أصبح أخيراً مدلولاهما عندهم مساوقين للسلب والنهب والحرب. وبيان ذلك أنَّ العرب كانت تقول:

سَلَبْتُ سَلْباً إِذَا أَخَذْتُ سَلْبَةً وَسَلَبَ الرَّجُلُ ثِيَابَهُ، وما يأخذه القرن من قرنه مما يكون عليه ومعه من لباس وسلاح ودابة وغيرها، والجمع أسلاب.

وتقول: حَرَبْتُ حَرْباً، إِذَا سَلَبْتُ كُلَّ مَالِهِ وَتَرَكْتُهُ بِلَا شَيْءٍ، وحُرِبَ الرجل ماله سلبه فهو محروب وحريب والجمع حربي وحرباء، وحريبتُه ماله الذي سلب منه، وأخذتُ حريبتَه أي ماله الذي يعيش به، وأحربه: دَلَّه على ما يسلبه من عدوِّه.

وتقول: نَهَبْتُ وَنَهَبْتُ إِذَا أَخَذْتُ مَالَهُ قَهْرًا، والنهب والنهي والنهبي: أخذ المال قَهْرًا والجمع نهَابٌ ونُهُوبٌ، والنهب أيضاً ضرب من الغارة والسلب، وأنهب عرضه وماله أباحه لمن شاء.

هكذا فُسِّرَتِ الألفاظ الآتية في معاجم اللُّغة^(١) وأستعملت في تلكم المعاني أيضاً في السيرة والحديث ومن قبل الصحابة كما يأتي في ما يلي:

(١) مثل الصَّحاح للجوهري، ونهاية اللُّغة لابن الأثير، ولسان العرب لابن منظور والقاموس وشرحه.

في الحديث :

«من قتل قتيلاً فله سلبه»^(١).

وفي قول رسول الله للمغني الذي أستجازه أن يغني في المدينة «وأحلت سلبك نهبه لفتيان أهل المدينة»^(٢).

وفي السيرة :

لما أعطى رسول الله (ص) في غزوة حنين كلا من أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عباس بن مرداس دونهم قال عباس بن مرداس :

أَتَجْمَلُ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعَبِيدِ مِثْلَ بَيْنَ عَيْنَيْنِ وَالْأَقْرَعِ

الآيات^(٣).

(١) سنن الدارمي (٢ / ٢٢٩) باب من قتل قتيلاً فله سلبه من كتاب السير ، ومسنند أحمد (٥ / ٢٩٥ و ٣٠٦ و ٣١٢) ، وراجع سنن أبي داود ، كتاب الجهاد (٢ / ٣) ، وسنن أبي داود أيضاً باب في السلب يعطى القاتل من كتاب الجهاد (٢ / ١٣) .

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الحدود ، الحديث ٢٦١٣ .

(٣) صحيح مسلم (٣ / ١٠٨) باب إعطاء المؤلف قلوبهم من كتاب الزكاة ، وفي الاغانى بترجمة عباس بن مرداس (١٤ / ٢٩٠) وترجمته بأسد الغابة ، والعبيد اسم لفرسه وغزوة حنين كانت في السنة الثامنة وبعد فتح مكة . وأبو سفيان بن حرب حارب رسول الله في أحد والمخندق وفي غيرها . وأظهر الإسلام بعد الفتح وتوفي سنة ٣١ هـ .

وصفوان بن أمية القرشي الجمحي توفي بمكة في عصر عثمان أو معاوية .

وعيينة بن حصن الفزاري قيل بن الخليفة عمر قتله ، وقيل مات في عصر عثمان .

والأقرع بن حابس التيمي أصيب بالجو زجان مع الجيش الغازي بلاد خراسان .

أعطى النبي هؤلاء في حنين سهم المؤلف قلوبهم فاعترض عليه ابن مرداس وقال دفعت سهمي وسهم فرسي العبيد إلى عيمنة والأقرع .

وقالت قريش في قصة بدر: «أخرجوا إلى حراثبكم»^(١).

وفي حديث رسول الله: «فإن قعدوا قعدوا موتورين محروبين»^(٢).

وفي حديث عمر: «إياكم والذين فإن أوله هم وآخره حرب»^(٣).

وفي تاريخ عصر الصحابة: قال معاوية في وصيته لسفيان بن عوف الغامدي لما بعثه لغزو بلاد المسلمين خارج بلاد الشام: «فاقتل من لقيته ممن ليس هو على رأيك، وأحرب كل ما مررت به من القرى، وأحرب الأموال فإن حَرَبَ الأموال شبيه بالقتل وهو أوجع للقلب»^(٤)، يقصد أسلوب جميع أموالهم.

وفي الحديث: إن أصحاب النبي أصابوا غَنَمًا فانتهبوها فطبخوها فقال النبي (ص) «إن النهي أو النهبة لا تصلح» فأكفأوا القدور^(٥).

وفي غزاة كابل أصاب الناس غَنَمًا فانتهبوها فأمر عبدالرحمن منادياً ينادي: إني سمعت رسول الله يقول: «من أنتهب تُهْبَةً فليس منا» فردوا هذا

(١) بمادة (حرب) من نهاية اللغة لابن الأثير، وحراثب جمع حربية.

(٢) مسند أحمد (٤ / ٣٢٨)، والبخاري (٣ / ٣١) واللفظ للأول، ومحروبين:

مسلوبي المال.

(٣) موطأ مالك (٢ / ٢٣٦) باب جامع القضاء وكراهيته من كتاب الوصية، وآخره

حرب: أي ذهاب المال.

(٤) ذكر هذا إبراهيم بن محمد الثقي (ت: ٢٨٠ هـ) في كتابه الغارات حسب رواية

ابن أبي الحديد عنه في شرح النهج (٢ / ٥٨ - ٩٠) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، والغامدي توفي بأرض الروم بعد الخمسين من الهجرة أميراً على الصائفة من قبل معاوية. راجع «أحاديث أم المؤمنين عائشة» ص ٢٤٢.

(٥) مسند أحمد (٥ / ٣٦٧)، وسنن ابن ماجه، كتاب الفتن، الحديث ٣٩٣٨،

واللفظ للأول.

الغنم، فردّوها فقسّمها بالسّوية^(١).

كانت هذه معاني السلب والنهب والحَرْب، أمّا الغنيمة والمغنم فقد قال الراغب والأزهري في مادّة غنم: «الغنم معروف... والغنم إصابته والظفر به، ثمّ استعمل في كلّ مظفور به من جهة العدوّ وغيرهم، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً﴾ والمغنم ما يغنم وجمعه مغنم قال تعالى: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ انتهى^(٢).

وفي لسان العرب وتهذيب اللّغة للأزهري ونهاية اللّغة، وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم: «الغنم: الظفر بالغنم، ثمّ استعمل في كلّ ما يظفر به من جهة العدو وغيرهم. غَنِمَ كَسَمِعَ غَنَمًا والغنم ما يغنم وجمعه مغنم. «الغنم: الفوز بالشّيء من غير مشقّة».

«وغنم الشّيء: فاز به. والاعتنام انتهاز الغنم»^(٣).

وفيه وفي نهاية اللّغة لابن الأثير بنفس المادّة: في الحديث «الرَّهْنُ لِمَنْ رَهْنَهُ، لَهُ غَنَمُهُ وَعَلَيْهِ غُرْمُهُ» غَنِمَهُ: زيادته وغمّاه وفاضل قيمته. انتهى.

وفي صحاح الجوهري: «المغنم والغنيمة بمعنى»^(٤).

(١) مسند أحمد (٥ - ٦٢ و ٦٣)، وعبدالرحمن بن سمرة القرشي توفي بالبصرة سنة خمسين أو إحدى وخمسين ترجمته بأسد الغابة (٣ / ٢٩٧).

(٢) مفردات القرآن للراغب الأصهباني بمادّة (غنم) والآية الأولى بسورة الأنفال / ٤١ والثانية الآية ٦٩ منها والثالثة الآية ٩٤ من سورة النساء، وتهذيب اللّغة للأزهري (ت: ٣٧٠ هـ) (٨ / ١٤٩)، ومعجم ألفاظ القرآن (٢ / ٢٩٣).

(٣) مادّة (غنم) بنهاية اللّغة لابن الأثير (٣ / ١٧٣)، ولسان العرب (١٢ / ٤٤٥) وتهذيب اللّغة للأزهري / (ت: ٣٧٠ هـ)، ومعجم مقاييس اللّغة لابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) (٤ / ٣٩٧)، وتفسير الفخر الرازي (١٥ / ١٦٦).

(٤) بمادّة (غنم) من صحاح اللّغة للجوهري، ص ١٩٩٩.

وجاء في الحديث من هذه المادّة وأريد به الفوز بالشيء في باب ما يقال عند إخراج الزكاة من سنن ابن ماجة عن رسول الله (ص): «اللَّهُمَّ اجعلها مغنماً ولا تجعلها مغراً»^(١).

وفي مسند أحمد عن رسول الله (ص): «غنيمة مجالس الذكر الجنة»^(٢). وفي وصف شهر رمضان: «هو غُنى للمؤمن»^(٣). إلى غير هذه الموارد من الحديث. وجاء في كتاب الله تعالى: ﴿فعند الله مغام كثيرة﴾ (النساء / ٩٤).

ويتلخّص ممّا سبق:

إنّ العرب كانت تقول في الجاهلية والإسلام: سَلَبَهُ إذا أخذ ما مع المسلوب وما عليه من ثياب وسلاح ودابة، وتقول: حَرَبَهُ إذا أخذ كلّ ماله، وكانت النهية والنهي عندهم تساوق الغنيمة والمغنم في عصرنا.

ووجدنا غنم الشيء غنماً عندهم بمعنى فاز به بلا مشقة، والاعتناء: انتهاز الغنم، والمغنم: ما يغنم وجمعه مغام. وفي الحديث: «له غُنىمه» أي غناؤه وفاضل قيمته، وفي وصف شهر رمضان: «هو غُنى للمؤمن»، وفي الدّعاء عند أداء الزكاة: «اللَّهُمَّ اجعلها مغنماً» و«غنيمة مجالس الذكر الجنة».

وقالوا: الغنم في الأصل: الظفر بالغنم ثمّ أستعمل في كلّ ما ظفر به من جهة العدى وغيرهم. وأرى شمول الغنم لما ظفر به من جهة العدى وغيرهم صار في العصر الإسلامي لا قبله.

وذلك لأنّ المسلمين خاضوا أوّل معركة حربية تحت لواء رسول الله (ص)

(١) سنن ابن ماجة كتاب الزكاة، الحديث ١٧٩٧.

(٢) مسند أحمد (٢ / ١٧٧).

(٣) مسند أحمد (٢ / ٣٣٠ و ٣٧٤ و ٥٢٤).

في بدر وتنازعوا في الأسلاب بعد انتصارهم وسلب الله عنهم ملكية ما أستولوا عليه من أموال العدى وجعله لله ولرسوله وسمّاه بالأنفال، وبعد نزول هذا الحكم في سورة الأنفال، كان الغزاة في جميع الغزوات يأتون بكلّ ما ظفروا به إلى القائد ليتصرّف فيه كما يراه، ولم يكن لأحد منهم أن ينهب شيئاً جهاراً أو يغله سراً فقد حرّم رسول الله الانتهاب كما رواه ابن ماجة وأحمد واللفظ للأوّل، قال: قال رسول الله: «ان النهبة لا تحلّ».

وقال: «من انتهب نهبه فليس منّا»^(١).

وفي صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبادة قال: بايعنا النبيّ على أن لا نتنهب^(٢).

وفي صحيح البخاري عن رسول الله (ص): «لا ينتهب نهبه ذات شرف وهو مؤمن»^(٣).

وفي سنن أبي داود باب النهي عن النهي عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله في سقرنا فأصاب الناس حاجة شديدة وجهدوا وأصابوا غنماً فانتهبوا، فإنّ قدورنا لتغلي إذ جاء رسول الله يمشي على قوسه، فأكفأ قدورنا بقوسه ثمّ جعل يرمل اللحم بالتراب ثمّ قال: «إنّ النهبة ليست بأحلّ من الميتة»^(٤).

(١) المحدثان في كتاب الفتن من سنن ابن ماجة، باب النهي عن النهي عن ١٢٩٩، والحديث الأوّل بمسند أحمد (٤ / ١٩٤). والثاني في مسنده (٣ / ١٤٠ و ١٩٧ و ٣١٢ و ٣٢٣ و ٣٨٠ و ٣٩٥) و (٤ / ٤٣٩ و ٤٤٣ و ٤٤٦) و (٥ / ٦٢).

(٢) صحيح البخاري (٢ / ٤٩) كتاب المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبه، ومسند أحمد (٥ / ٣٢١)، وعبادة سبقت ترجمته.

(٣) صحيح البخاري (٣ / ٢١٤) كتاب الأشربة، وراجع (٢ / ٤٨).

(٤) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في النهي عن النهي (٣ / ٦٦).

وحَرَّمَ اللهُ ورسوله الإِغْلَال قال اللهُ سبحانه: ﴿ومن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. (آل عمران / ١٦١)

وفي حديث رسول الله (ص): «لا نهب ولا إغلال ولا إسلال ومن يغلل يأت بما غلَّ يوم القيامة»^(١). الإِغْلَال: السرقة الخفيفة، والإِسلال: السرقة. في هذا الحديث ذكر النهب والإِغْلَال في عداد السرقة.

وفي حديث آخر قال: «أَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ فَمَا دُونَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْغُلُولَ عَارٌ عَلَى أَهْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشَنَارٌ وَعَارٌ»^(٢).

قال ابن الأثير: الغلول: الخيانة في المغنم، والسرقة من الغنيمة قبل القسمة، والشنار أقبح العيب.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: كان رسول الله إذا أصاب غنيمة أمر بِلَاأَ فَنَادَى فِي النَّاسِ فَيَجِئُونَ بِغَنَائِهِمْ فَيُخَمِّسُهُ وَيَقْسِمُهُ، فَبَاءَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ بِزِمَامٍ مِنْ شَعْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا مَا كُنَّا أَصْبَنَا مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَقَالَ: «أَسَمِعْتَ بِلَاأَ نَادَى ثَلَاثًا» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَجِيءَ بِهِ؟» فَاَعْتَذَرَ، فَقَالَ: «كُنْ أَنْتَ تَجِيءُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَنْ أَقْبِلَهُ مِنْكَ»^(٣).

وفي باب الغلول من كتاب الجهاد بسنن ابن ماجة: توفي رجل من أشجع بخيبر فقال النبي: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ» فَأَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ وَتَغَيَّرَتْ لَهُ

(١) سنن الدارمي (٢ / ٢٣٠).

(٢) سنن الدارمي (٢ / ٢٣٠) باب «ما جاء أنه قال أدُّوا الخيط والمخيط» من كتاب السير.

(٣) بسنن أبي داود (٢ / ١٣) باب تعظيم الغلول من كتاب الجهاد، وفي الكتاب باب في عقوبة الغال ذكر فيه أنهم كانوا يحرفون متاع الغال وفيه باب من كتم غالا فهو مثله.

وجوههم فلما رأى ذلك قال: «إِنَّ صاحبكم قد غلَّ»^(١).

وفي باب «ما جاء في الغلول من الشدة» من كتاب السير بسنن الدارمي عن عمر بن الخطاب قال: «قتل نفر يوم خيبر فقالوا: فلان شهيد حتى ذكروا رجلاً فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله: «كلّا إني رأيته في النار في عباءة أو في بردة غلَّها»^(٢).

وفي باب الغلول من كتاب الجهاد بسنن ابن ماجه: كان على ثقل النبي رجل يقال له كركرة فمات فقال النبي: «... وهو في النار» فذهبوا ينظرون فوجدوا عليه كساء أو عباءة قد غلَّها»^(٣).

وفي صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود بلفظ آخر وفي آخر الحديث: فجاء رجل - حين سمع ذلك - بشراك أو بشراكين، فقال رسول الله (ص) «شراك أو شراكان من نار»^(٤).



وإذا كان الإسلام قد منع أفراد الجيش من النهب - أي استملاك المال المظفور به من جهة العدو جهاراً - حتى أن الرسول أكفأ قدور الجائعين الذين كانوا قد نهبوا الأغنام وأرمل لمومها. ونهى عن الاستيلاء عليه سرّاً وسمّاه الغلول أي الخيانة، وقال الرسول: «أدوا الخيط والنخيط فما فوق ذلك فما دون

(١) بسنن ابن ماجه ص ٩٥٠.

(٢) بسنن الدارمي (٢ / ٢٣٠).

(٣) بسنن ابن ماجه ص ٩٥٠.

(٤) تمام الحديث في صحيح البخاري (٣ / ٣٧) باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم

(١ / ٧٥) بكتاب الإيمان، وسنن أبي داود (٢ / ١٣) من كتاب الجهاد، وراجع باب تحریم الغلول من كتاب الإمارة بصحيح مسلم (٦ / ١٠).

ذلك»، ولم يصل على من غلّ ولم يسمّ القتيل الذي غلّ عباءة بشهيد، وبذلك سلب الإسلام عن أفراد الجيش الغازي ملكية المال المظفور به من جهة العدىّ مهما كان، ولو كان شراك نعل، وكيفما كان، سرّاً أو جهاراً، وسمّاه القرآن أنفالاً، وجعله لله ولرسوله ولتصرّف فيه رسول الله كيفما يرى، فإذا فعل رسول الله بالمال المظفور به من جهة العدىّ.

أعطى الرسول في غزواته للزّاجل ما رأى أن يعطيه ولل فارس كذلك^(١)، سواء أكانا ممن استولى على المظفور به أو لم يكونا منهم، ورضخ للمرأة^(٢)، وأكثر من ذلك أنه أعطى لمن لم يشهد الغزاة بالمرّة، مثل ما فعل مع عثمان في غزاة بدر، ومع أصحاب جعفر في غزاة خيبر، كما في صحيح البخاري ومسندي الطيالسي وأحمد وطبقات ابن سعد: أن رسول الله خلف عثمان في غزاة بدر على زوجته ابنة رسول الله وكانت مريضة، وأسهم له في ما أصابوا كواحد ممن حضر الغزوة^(٣).

وفي الصفحة نفسها من صحيح البخاري عن أبي موسى قال: بلغنا مخرج النبيّ (ص) ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه في بضع وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة فآلقنا إلى النجاشي بالحبيشة، ووافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فأقننا معه حتّى قدّمنا جميعاً فوافقنا النبيّ (ص) حين أفتتح

(١) في صحيح البخاري (٢ / ٣٦)، «باب غزوة خيبر» أنه قسم للفارس سهمين وللزّاجل سهماً.

(٢) رضخ له: أعطاه عطاءً غير كثير.

(٣) صحيح البخاري (٢ / ١٣١) باب إذا بعث الإمام رسولاً إلى حاجة أو أمر بالمقام هل يسهم له من كتاب الجهاد والسير، وبمسند الطيالسي الحديث ١٩٨٥، ومسنند أحمد (١ / ٦٨ و ٧٥)، و (٢ / ١٠١ و ١٠٢)، وطبقات ابن سعد (٣ / ٥٦)، وبداية المجتهد (١ / ٤١٠ - ٤١٢) في الفصل الثاني من كتاب الجهاد.

خير، فأسهم لنا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه وقسم لهم معهم^(١).
وكذلك أعطى النبي المؤلفة قلوبهم في حنين - كما مر ذكره - أضعاف سهم
المؤمن المجاهد.

هكذا سلب الإسلام ملكية المال المظفور به من جهة العدى بمن ظفر به
وجعله لله ولرسوله، فتصرف فيه الرسول وقسمه حسب ما رآه، وصح بهذا
الاعتبار أن نقول: إن الذي أصابه سهم من المظفور به سواء من حضر الغزوة
أو من لم يحضرها، ظفر به بلا مشقة لأنه ظفر به من يد رسول الله وليس من
الغزو، وصح بهذا الاعتبار أن نحسب المظفور به من نوع «الغنيمة والمغنم»
بعدما كانت الغنيمة والمغنم لدى العرب تدلّان على ما ظفر به بلا مشقة من
غير جهة العدى، وكان للذي ظفر به من جهة العدى تسميات أخرى
ذكرناها في ما سبق. وبهذا الاعتبار نزلت آية ﴿واعلموا أن ما غنمتم﴾ في
هذه الغزوة بعد نزول آية الأنفال بصدر السورة، أو نزلت في غزوة أحد،
وأصبح للغنيمة بعد نزول هذه الآية معنيان:

- ١ - معنى لغوي: وهو الفوز بالشيء بلا مشقة، وليس من ضمنه المظفور
به من جهة العدى؛ فإن له تسميات خاصة وهي: السلب والنهب والحرب.
- ٢ - معنى شرعي: وهو «ما ظفر به من جهة العدى وغيرهم». كما فسره
الراغب، وهكذا جعل الإسلام أسلاب الحرب من مصاديق المغنم بعد أن لم
تكن من مصاديقه.

ووجدنا الغنيمة والمغنم مستعملين في الحديث والسيرة، في معناهما اللغوي
تارة، كما يستعمل اللفظ في معناه الحقيقي دونما حاجة إلى قرينة كما مر بنا

(١) ذكرنا الحديث من البخاري باختصار.

سابقاً. وتارة في معناها الشرعيّ مع وجود قرينة في الكلام، أو في حال التخاطب تدلّ على المعنى الشرعيّ المقصود.

هكذا استعمل اللفظان في المعنيين حتّى عصر انتشار الفتوح على عهد الخليفة عمر فما بعد، حيث كثر استعمال مشتقات مادّة «غنم» في ما ظفر به من جهة العدوّ خاصّة مع وجود قرائن حالّية أو مقالّية تدلّ على هذا القصد. وعندما جاء اللّغويون بعد ذلك، واستقرأوا موارد استعمال مادّة «غنم» لدى العرب في عصرهم فما فوق، وجدوها مستعملة كما يلي:

أ - في الفوز بالشيء بلا مشقّة، في العصر الجاهليّ وصدر الإسلام لدى العرب عامّة.

ب - في الفوز بالشيء من جهة العدوّ وغيرهم، بعد نزول آية الخنّس لدى المسلمين خاصّة منذ عصر الرّسول حتّى عصر الصّحابة.

ج - في ما ظفر به من جهة العدوّ خاصّة، في عصر الفتوح مع قرائن لم ينتبه إليها، ثمّ استعملت متدرّجاً إلى عصر اللّغويين بلا قرينة في المجتمع الإسلاميّ خاصّة، وعندما قام رواد اللّغة بتدوينها لم ينتبهوا إلى تطوّر مدلول مادّة «غنم» كما ذكرنا، وأنتج ذلك أنّ بعضهم لاحظ استعمالها في المدينة بعد تشريع الخنّس مثل الراغب فقال: «استعمل في كلّ مظفور به من جهة العدوّ وغيرهم».

ولاحظ ابن منظور وغيره تارة استعمالها في العصر الجاهليّ، وقالوا: «غنم الشيء: فازّ به، والإغتنام: إنتهاز الغنم...».

وتارة استعمالها في عصر الفتوح مع قرينة خفيت عليهم وبعدها بلا قرينة، فقالوا: «الغنيمة ما أصيب من أموال أهل الحرب».

وتردّد صاحب القاموس في «الغنم» هل هو بمعنى الفوز والنيء^(١) كليهما أي أنّه مشترك بين المعنيين، أو أنّ الغنيمة بمعنى النيء وسائر مشتقات المادّة بمعنى الفوز بالشيء^(٢).

هكذا خلطوا في تفسير مادّة «غنم»، والصّواب أن نلاحظ تطوّر مدلول المادّة كما ذكرنا ونقول: إنّ مادّة «غنم» كانت:

أ - في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، في اللّغة: حقيقة في الفوز بالشيء بلا مشقّة.

ب - بعد نزول آية الخُفُس في الشرع: حقيقة في ما ظفر به من جهة العدى وغيرهم، إلى جنب حقيقتها اللّغوية فإنّها لم تكن منسيّة يومذاك.

ج - في عصر تدوين اللّغة فما بعد: حقيقة عند المتشرّعة - أي المسلمين - في ما ظفر به من جهة العدى خاصّة، وذلك أيضاً إلى جانب حقيقتها اللّغوية. وعلى هذا فإنّا إذا وجدنا إحدى مشتقات هذه المادّة مستعملة في الكلام حتّى صدر الإسلام، ينبغي أن نعملها على معناها اللّغويّ خاصّة أي «الفوز بالشيء بلا مشقّة» وفي غير ما ظفر به من جهة العدى.

وإذا وجدناها مستعملة بعد تشريع الخُفُس عند المسلمين أو في التشريع الإسلامي، فإنّما أن تُحمل على معناها اللّغوي المذكور إمّا على معناها الشرعيّ: «الظفر بالشيء من جهة العدى وغيرهم» فإنّها مشتركة بينها.

وإذا وجدناها مستعملة عندهم في عصر تدوين اللّغة فما بعد، فالأرجح حملها على المشهور منها يومذاك عندهم، أعني الظفر بمال العدى خاصّة.

(١) فتر صاحب القاموس النيء في مادّة (النيء) بالغنيمة.

(٢) بمادّة (غنم) من القاموس.

ويَتَضَحُّ ممَّا ذكرنا أنَّنا وجدنا إحدى مشتقَّات هذه المادَّة مستعملة في الحديث وغيره بعد تشريع الخُمْس منذ عصر الرِّسُول وحتى عصر الصَّحابة، فلا بدَّ أن نَحْمِلَهَا على أحدَ معنيين إمَّا اللَّغوي «الفوز بالشَّيء بلا مشقَّة»، وإمَّا الشرعيَّ «الظَّفَر بالشَّيء من جهة العدِيّ وغيرهم» فينبغي والحالة هذه أن نبحث عند ذاك عن قرينة تدلُّ على المقصود.

وفي استقراءنا لموارد استعمال هذه الكلمة في ذلك العصر غالباً ما وجدناها مصحوبة بقرينة حاليَّة أو مقاليَّة تدلُّ على المعنى الشرعيِّ، مع وجود موارد كثيرة استعملت فيها في معناها اللَّغويِّ دونها قرينة.

الخُمْس

الخُمْس في اللّغة: أَخَذَ وَاحِدٌ مِنْ خَمْسَةٍ، وَخَمَسْتُ الْقَوْمَ: أَخَذْتُ خُمْسَ أَمْوَالِهِمْ.

أَمَّا مَعْنَاهُ الشَّرْعِيُّ فَيَنْبَغِي لِدَرْكِهِ أَنْ نَرْجِعَ أَوَّلًا إِلَى عُرْفِ الْعَرَبِ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ لِمَعْرِفَةِ نِظَامِهِمُ الْاجْتِمَاعِيِّ يَوْمَئِذٍ فِي هَذَا الْخُصُوصِ، ثُمَّ نَعُودَ إِلَى التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ لِنَدْرُسَ الْخُمْسَ فِيهِ، وَنَدْرُسَ أَمْرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ لَدَى الْمُسْلِمِينَ بِالتَّفْصِيلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فإِلى دِرَاسَتِهَا فِي مَا يَلِي:

أَوَّلًا: فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ

كَانَ الرَّئِيسُ عِنْدَ الْعَرَبِ يَأْخُذُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ رُبْعَ الْغَنِيمَةِ، وَيُقَالُ: رُبْعَ الْقَوْمِ يَرْبِعُهُمْ رُبْعًا أَيْ أَخَذَ رُبْعَ أَمْوَالِهِمْ، وَرُبْعَ الْجَيْشِ أَيْ أَخَذَ مِنْهُمْ رُبْعَ الْغَنِيمَةِ، وَيُقَالُ لِلرَّبْعِ الَّذِي يَأْخُذُهُ الرَّئِيسُ: الْمِزْبَاعُ. وَفِي الْحَدِيثِ، قَالَ الرَّسُولُ لِعَدِيِّ ابْنِ حَاتِمٍ قَبْلَ أَنْ يَسْلَمَ: «أَنْتَ لَتَأْكُلَ الْمِزْبَاعَ وَهُوَ لَا يَحِلُّ فِي دِينِكَ»^(١). وَقَالَ الشَّاعِرُ:

لَكَ الْمِزْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحَكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ

الصَّفَايَا مَا يَصْطَفِيهِ الرَّئِيسُ، وَالنَّشِيطَةُ مَا أَصَابَ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ إِلَى مَجْتَمَعِ الْحَيِّ، وَالْفُضُولُ مَا عَجَزَ أَنْ يُقَسِّمَ لِقَلَّتْهُ فَخَصَّ بِهِ الرَّئِيسُ^(٢).

(١) بِمَادَّةِ «رُبْعٍ» مِنَ الْقَامُوسِ وَاللِّسَانِ وَتَاجِ الْعُرُوسِ وَنَهَايَةِ اللَّفَّةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ وَفِي صَحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ بِمَضَاهِ، وَسِيرَةِ ابْنِ هَشَامٍ (٤ / ٢٤٩).

(٢) فِي نَهَايَةِ اللَّفَّةِ (٢ / ٦٢).

وفي النهاية: «إِنَّ فُلَانًا قَدْ أَرْتَبَعَ أَمْرَ الْقَوْمِ، أَيِ انْتَضَرَ أَنْ يُؤَمَّرَ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ عَلَى رِبَاعَةِ قَوْمِهِ أَيِ هُوَ سَيِّدُهُمْ».

وفي مادّة «خُمْس» من النهاية: ومنه حديث عديّ بن حاتم «رَبَعْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَخُمَسْتُ فِي الْإِسْلَامِ» أَيِ قُدْتُ الْجَيْشَ فِي الْحَالِينِ، لِأَنَّ الْأَمِيرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ يَأْخُذُ رُبْعَ الْغَنِيمَةِ، وَجَاءَ الْإِسْلَامُ فَجَعَلَهُ الْخُمْسَ وَجَعَلَ لَهُ مَصَارِيفَ. إنتهى^(١).

ثانياً: في العصر الإسلامي

هذا ما كان في الجاهليّة، أمّا في الإسلام فقد فُرِضَ الْخُمْسُ فِي التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ، وَذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَمَا يَلِي:

أ - الْخُمْسُ فِي كِتَابِ اللَّهِ:

قال الله سبحانه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ أَتَقَىٰ الْجَمْعَانِ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (الأنفال / ٤١)
هذه الآية وإن كانت قد نزلت في مورد خاص، ولكنها أعلنت حكماً عاماً وهو وجوب أداء الخُمس من أيّ شيء غنموا - أي فازوا به - لأهل الخُمس. ولو كانت الآية تقصد وجوب أداء الخُمس ممّا غنموا في الحرب خاصة؛ لكان ينبغي أن يقول عزّ اسمه: وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ فِي الْحَرْبِ، أَوْ أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنَ الْعَدَى، لَا أَنْ يَقُولَ: أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ.

في هذا التشريع: جعل الإسلام سهم الرئاسة الخُمس بدل الرُّبْع في الجاهليّة، وقلّل مقداره، وكثّر أصحابه فجعله سهماً لله، وسهماً للرَّسُولِ،

(١) نهاية اللّغة (١ / ٣٢١)، ومُسند أحمد (٤ / ٢٥٧).

وسهلاً لذوي قربي الرسول، وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل من فقراء أقرباء الرسول، وجعل الخمس لازماً لكل ما غنموا من شيء عامة ولم يخصه بما غنموا في الحرب، وسمّاه الخمس مقابل الميزان في الجاهلية.

ولما كان مفهوم الزكاة مسوقاً لحق الله في المال - كما أشرنا إليه في ما سبق - فحيث ما جاء في القرآن الكريم حث على أداء الزكاة في ما ينوف على ثلاثين آية^(١)، فهو حث على أداء الصدقات الواجبة والخمس المفروض في كل ما غنمه الإنسان، وقد شرح الله في المال في آيتين: آية الصدقة وآية الخمس. كان هذا ما أستفدناه من كتاب الله في شأن الخمس.

ب - الخمس في السنة:

أمر الرسول بإخراج الخمس من غنائم الحرب ومن غير غنائم الحرب، مثل الزكاز كما روى ذلك كل من ابن عباس، وأبي هريرة، وجابر، وعبادة ابن الصامت، وأنس بن مالك كما يلي:

وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجه - واللفظ للأول - عن ابن عباس قال: «قضى رسول الله (ص) في الزكاز الخمس»^(٢).

وفي صحيح مسلم والبخاري، وسنن أبي داود، والترمذي، وابن ماجه، وموطأ مالك، ومسند أحمد واللفظ للأول: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): «العجماء جرحها جبار، والمعدن جبار، وفي الزكاز الخمس»، وفي بعض الروايات عند أحمد: البهيمة عقلها جبار^(٣).

(١) راجع مادة (الزكاة) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٢) مسند أحمد (١ / ٣١٤)، وسنن ابن ماجه ص ٨٣٩.

(٣) صحيح مسلم (٥ / ١٢٧) باب «جرح العجماء والمعدن والبئر جبار» أي هدر

وفي مسند أحمد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (ص): «السَّائِمَةُ جُبَار، والجَبَّ جُبَار، والمعدن جُبَار، وفي الرِّكَاز الخمس»، قال الشعبي: الرِّكَاز الكنز العادي^(١).

وفي مسند أحمد عن عبادة بن الصَّامت قال: من قضاء رسول الله (ص) أنَّ المعدن جُبَار، والبر جُبَار، والعجماء جرحها جُبَار، والعجماء البهيمة من الأنعام وغيرها. والجُبَار هو الهدر الذي لا يُغَرَّم، وقضى في الرِّكَاز الخمس^(٢). وفي مسند أحمد عن أنس بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله (ص) إلى خيبر، فدخل صاحب لنا إلى خربة يقضي حاجته فتناول لبنة ليستطيب بها فانهارت عليه تبراً فأخذها فألقى بها النبي (ص) فأخبره بذلك، قال: «زَئْهَا»، فوزنها، فإذا مائتا درهم، فقال النبي: «هذا ركاز وفيه الخمس»^(٣).

من كتاب الحدود بشرح النووي (١١ / ٢٢٥)، وصحيح البخاري (١ / ١٨٢) باب «في الرِّكَاز الخمس»، و (٢ / ٣٤) باب «من حفر بئراً في ملك لم يضمن» من كتاب المساقاة، وسنن أبي داود (٢ / ٢٥٤) باب «من قتل عمياً بين قوم» من كتاب الحدود، وباب «ما جاء في الرِّكَاز»، (٢ / ٧٠)، وسنن الترمذي (٣ / ١٣٨) باب «ما جاء في العجماء جرحها جُبَار، وفي الرِّكَاز الخمس لله»، وسنن ابن ماجه ص ٨٠٣ باب «من أصاب ركازاً» من كتاب اللقطة، وموطأ مالك (١ / ٢٤٤) باب «زكاة الشركاء»، ومسند أحمد (٢ / ٢٢٨ و ٢٣٩ و ٢٥٤ و ٢٧٤ و ٢٨٥ و ٣١٩ و ٣٨٢ و ٣٨٦ و ٤٠٦ و ٤١١ و ٤١٥ و ٤٥٤ و ٤٥٦ و ٤٦٧ و ٤٧٥ و ٤٨٢ و ٤٩٣ و ٤٩٥ و ٤٩٩ و ٥٠١ و ٥٠٧، والأموال لأبي عبيد ص ٣٣٦.

(١) مسند أحمد (٣ / ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٥٣ - ٣٥٤ و ٣٥٦)، ومجمع الزوائد (٣ / ٧٨) باب «في الرِّكَاز والمعادن» وأبو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي الشعبي، نسبة إلى شعب بطن من همدان. روى عن خمسين ومائة من أصحاب رسول الله. توفي بالكوفة سنة ١٠٤ هـ، أنساب السمعاني ص ٣٣٦.

(٢) مسند أحمد (٥ / ٣٢٦).

(٣) مسند أحمد (٣ / ١٢٨)، ومجمع الزوائد (٣ / ٧٧) باب «في الرِّكَاز والمعادن».

وفي مسند أحمد: أن رجلاً من مزينة سأل رسول الله مسائل جاء فيها:
فالكثر نجده في الحرب والآرام؟ فقال رسول الله (ص): «فيه وفي الزكاز
الخمس»^(١).



استعرضنا في ما سبق روايات رسول الله (ص) التي أمرت بدفع
الخمس عن أشياء غير غنائم الحرب، وفي ما يلي نستعرض كتب الرسول
(ص) وعهوده التي ورد فيها أمر بدفع الخمس.

الخمس في كتب الرسول (ص) وعهوده:

أ - في صحيح البخاري ومسلم وسنن النسائي ومسند أحمد واللفظ
للأول: أن وفد عبد القيس لما قالوا لرسول الله (ص): «إن بيننا وبينك
المشركين من مضر، وإننا لا نصل إليك إلا في أشهر حرم، فزنا بجمل من
الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة، وندعو إليه من وراءنا».

قال: «أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: أمركم بالإيمان بالله، وهل تدرون
ما الإيمان بالله، شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وتعطوا
الخمس من المغنم...» الحديث^(٢).

إن الرسول (ص) لما أمر وفد عبد القيس أن يعطوا الخمس من المغنم، لم

ومغازي الواقدي ص ٦٨٢.

- (١) مسند أحمد (٢ / ١٨٦ و ٢٠٢ و ٢٠٧)، وفي سنن الترمذي (١ / ٢١٩) باب
اللفظة من كتاب الزكاة مع اختلاف في اللفظ، والأموال لأبي عبيد ص ٣٣٧.
- (٢) صحيح البخاري (٤ / ٢٠٥) باب «والله خلقكم وما تعلمون» من كتاب
التوحيد، و (١ / ١٣ و ١٩) منه، و (٣ / ٥٣)، وفي صحيح مسلم (١ / ٣٥ و ٣٦) باب
«الأمر بالإيمان» عن ابن عباس وغيره، وسنن النسائي (٢ / ٣٣٣)، ومسند أحمد
(٣ / ٣١٨) و (٥ / ١٣٦).

يطلب إخراج خمس غنائم الحرب من قوم لا يستطيعون الخروج من حيثهم في غير الأشهر الحرم خوفاً من المشركين من مضر، وإنما قصد من المغنم معناه الحقيقي في لغة العرب وهو: الفوز بالشيء بلا مشقة، كما سبق تفسيره، أي: أن يعطوا خمس ما يرغبون، أو لا أقل من أنه قصد معناه الحقيقي في الشرع وهو: «ما ظفر به من جهة العدى وغيرهم».

وكذلك الأمر في ما جاء في كتب عهوده للوافدين إليه من القبائل العربية وفي ما كتب لرسله إليهم وولاته عليهم، مثل ما جاء في فتوح البلاذري، قال: «لما بلغ أهل اليمن ظهور رسول الله وعلو حقه، أتته وفودهم، فكتب لهم كتاباً بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم وأراضيهم وركازهم، فأسلموا، ووجه إليهم رسله وعياله لتعريفهم شرائع الإسلام وسننه وقبض صدقاتهم وجزئ رؤوس من أقام على النصرانية واليهودية والمجوسية».

ثم ذكر هو وابن هشام والطبري وابن كثير واللفظ للبلاذري قال: كتب لعمر بن حزم بعثه إلى اليمن:

ب - «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا بيان من الله ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١) عهد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن. أمره بتقوى الله في أمره كله، وأن يأخذ من المغنم خمس الله، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقى البعل وسقت السماء، ونصف العشر مما سقى الغرب»^(٢).

(١) سورة المائدة، الآية ١.

(٢) فتوح البلدان (١ / ٨٢) باب «اليمن»، وسيرة ابن هشام (٤ / ٢٦٥ - ٢٦٦)، والطبري (١ / ١٧٢٧ - ١٧٢٩)، وتاريخ ابن كثير (٥ / ٧٦)، وكتاب الخراج لأبي يوسف ص ٨٥، واللفظ للأول. وهناك رواية أخرى ذكرها المحاكم في المستدرک (١ / ٣٩٥) و (٣٩٦)، وفي كنز العمال (٥ / ٥١٧).

اليعل : ما سقى بعروقه، والغرب : الدلو العظيمة .

ج - «ومثل ما كتب لسعد هذيم من قضاة، وإلى جذام كتاباً واحداً يعلمهم فرائض الصدقة ويأمرهم أن يدفعوا الصدقة والخمس إلى وليه أبي وعنبسة أو من أرسلاه»^(١).

إن الرسول (ص) حيث طلب من قبيلتي سعد وجذام أن تدفعا الصدقة والخمس إلى رسولي أو لمن لم يرسله إليه، لم يكن يطلب منها خمس غنائم حرب خاضتها مع الكفار، وإنما قصد ما أستحقّ عليها من الصدقة وخمس أرباحها.

د - وكذلك ما كتب للمالك بن أحمر الجذامي، ولئن تبعه من المسلمين أماناً لهم ما أقاموا الصلاة وآتبعوا المسلمين وجانبوا المشركين وأدّوا الخمس من المغنم وسهم الفارمين وسهم كذا وكذا، الكتاب^(٢).

هـ - وما كتب للفجيع ومن تبعه: «من محمد النبي للفجيع ومن تبعه وأسلم وأقام الصلاة وآتى الزكاة [وأطاع]^(٣) الله ورسوله، وأعطى من المغنم خمس الله، ونصر النبي وأصحابه، وأشهد على إسلامه، وفارق المشركين فإنه آمن بأمان الله وأمان محمد»^(٤).

(١) طبقات ابن سعد (١ / ٢٧٠)، وجذام: حي كبير من القحطانية، نسبهم بجمهرة ابن حزم ص ٤٢٠ - ٤٢١، وسعد هذيم من بطون قضاة ينسبون إلى قحطان، نسبهم بجمهرة ابن حزم ص ٤٤٧.

(٢) بترجمة مالك من أسد الغابة (٤ / ٢٧١)، والإصابة ٣ / برقم ٧٥٩٣، ولسان الميزان (٣ / ٢٠)، وفي الأخير جاء اسمه مبارك بدلاً من مالك.

(٣) هكذا في أسد الغابة ورجع عندنا هذا على ما في طبقات ابن سعد: «وأعطى».

(٤) طبقات ابن سعد (١ / ٣٠٤ - ٣٠٥)، وأسد الغابة (٤ / ١٧٥)، والإصابة ٤ /

الترجمة ٦٩٦٠، واللفظ للأول في ذكر وفد بني البكاء.

و - وما كتب للأسبذيين :

«من محمد النبي رسول الله لعباد الله الأسبذيين ملوك عمان، من منهم بالبحرين أنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله، وأعطوا حق النبي، ونسكوا نسك المسلمين فإنهم آمنوا وإن لم يأسلموا عليه، غير أن مال بيت النار ثنيا لله ولرسوله، وأن عشور التمر صدقة ونصف عشور الحب، وأن للمسلمين نصرهم ونصحهم، وأن لهم أرحاءهم يطحنون بها ما شاؤوا»^(١).

إن المقصود من حق النبي في هذا الكتاب هو الخمس وحده أو الخمس والصفي معاً، وقد سبق شرح الصفي.

ز - وكذلك المقصود من «حظ الله وحظ الرسول» هو الخمس في ما كتب «لمن أسلم من حدس والخم» وأقام الصلاة وأعطى الزكاة وأعطى حظ الله وحظ الرسول، وفارق المشركين فإنه آمن بدمه الله ودمه محمد، ومن رجع عن دينه فإن دمه الله ودمه رسوله منه بريئة...»^(٢) الكتاب.

إن شأن الخمس في كل تلك الكتب والعهود شأن الصدقة فيها وهما حق الله في أموالهم حسبما فرضه الله فيها.

ويؤكد ما ذكرناه من أن الخمس فيها ليس خمس غنائم الحرب، ويوضحه أن حكم الحرب في الإسلام يخالف ما كان عليه لدى القبائل العربية قبل الإسلام في أن يكون لكل مجموعة أو فرد الاختيار في الإغارة على غير أفراد القبيلة وغير حلفائها لنهب أموالهم كيفما اتفق، وأنه عند ذلك يملك كل فرد ما

(١) مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله، نقلاً عن الأموال لأبي عبيد ص ٥٢.

وصبح الأعشى للقلقشندي (٦ / ٢٨٠).

(٢) طبقات ابن سعد (١ / ٢٦٦).

نهب وسلب وحرب، وما عليه سوى دفع الميزباع للرئيس، ليس الأمر هكذا في الإسلام ليصحّ للنبي أن يطالبهم بالخُمس بدل الزّبع في ما يشيرون من حرب على غيرهم، لا، ليس لفرد مسلم في الإسلام ولا لجماعة إسلاميّة فيه أن يعلن الحرب على غير المسلم من تلقاء نفسه ويسلب وينهب كما يشاء ويقدر! وإنّما الحاكم الإسلامي هو الذي يقدر ذلك ويقرّر وفق قوانين الشرع الإسلامي والفرد المسلم ينفذ قراره، ثم إنّ الحاكم الإسلامي - بعد ذلك - أو نائبه هما اللذان يليان بعد الفتح قبض جميع غنائم الحرب، ولا يملك أحد الغزاة عدا سلب القتل شيئاً ممّا سلب، وإنّما يأتي كلّ غاز بما سلب إليهما، وإلاّ عدّ من الغلول العار على أهله، وشنار ونار يوم القيامة.

والحاكم الإسلامي هو الذي يعيّن - بعد إخراج الخُمس - للزّاجل سهمه ولل فارس سهمه، ويرضخ للمرأة، وقد يشرك الغائب عن الحرب في الغنيمة ويُعطي للمؤلّفة قلوبهم أضعاف سهم المؤمن المجاهد.

وإذا كان إعلان الحرب وإخراج خُمس غنائم الحرب على عهد النبي من شؤون النبي في هذه الأُمّة، فماذا يعني طلبه الخُمس من الناس وتأكيده ذلك في كتاب بعد كتاب وعهد بعد عهد إن لم يكن الخُمس في تلك الكتب والمعهود مثل الصدقة ممّا يجب في أموال المخاطبين وليس خاصّاً بغنائم الحرب.

وعلى هذا فلا بدّ إذا من حمل لفظ الغنائم والمغنم في تلك الكتب والمعهود على معناها اللّغوي: «الفوز بالشيء بلا مشقّة»، أو معناها الشرعي: «ما ظفر به من جهة العدوّ وغيره».

أضيف إلى هذا ما ذكرناه بتفسير الغنيمة من أنّ الغنيمة أصبحت حقيقة في غنائم الحرب في المجتمع الإسلامي بعد تدوين اللّغة لا قبله. ولا يصحّ مع هذا، حمل ما جاء في حديث الرّسول على ما تعارف عليه الناس قرابة قرنين بعده، وأمّا ما جاء في بعض تلك الكتب والمعهود بلفظ «حظّ الله وحظّ

الرَّسُولَ»، أو «حَقَّ النَّبِيُّ»، أو «سَهْمُ النَّبِيِّ» وما شابهها، فَإِنَّ تَفْسِيرَهَا فِي
الآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ...﴾ وَفِي
السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي تَبَيَّنَ هَذِهِ الْآيَةُ وَتَشْرَحُهَا حَيْثُ تَعَيَّنَ سَهْمُ اللَّهِ وَسَهْمُ
النَّبِيِّ فِي «الْمَغْنَمِ» وَهُوَ الْخُمْسُ وَهُوَ أَيْضاً حَقُّهَا وَحِظُّهَا.

وبعد ما ثبت ممَّا أوردناه في ما سبق أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَأْخُذُ الْخُمْسَ مِنْ غَنَائِمِ
الْحَرْبِ وَمِنْ غَيْرِ غَنَائِمِ الْحَرْبِ، وَيَطْلُبُ مَنْ أَسْلَمَ أَنْ يُؤَدِّيَ الْخُمْسَ مِنْ كُلِّ
مَا غَنِمَ عِداً مَا فَرَضَ فِيهِ الصَّدَقَةُ.

مصادر المُصطلحات من كتب العلامة العسكري

مصادر مُصطلحات الألوهية والربوبية :

الإسم	قيام الأئمة بإحياء السنّة ج ١ .
الإله	قيام الأئمة بإحياء السنّة ج ١ ، عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .
الربّ	قيام الأئمة بإحياء السنّة ج ١ ، عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .
ذو العرش وربّ العرش	عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .
الكرسيّ	عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .
الله (جلّ جلاله)	قيام الأئمة بإحياء السنّة ج ١ ، عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .
القيوم	كتبه العلامة العسكري بشكل مستقل .
الرحمن الرحيم	قيام الأئمة بإحياء السنّة ج ١ ، عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .

العبادة قيام الأئمة بإحياء السنّة ج ١، عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١.

مصادر مصطلحات النّبوة :

الوحي القرآن الكريم وروايات المدرستين ج ١.
 النّبّي عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١.
 الرّسول قيام الأئمة بإحياء السنّة ج ١، عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١.
 خليفة الله قيام الأئمة بإحياء السنّة ج ١، معالم المدرستين ج ١.
 الأئمة المبلّغون قيام الأئمة بإحياء السنّة ج ١.
 الصّحابي والصّاحب قيام الأئمة بإحياء السنّة ج ١، معالم المدرستين ج ١.

مصادر مصطلحات قرآنيّة :

القرآن معالم المدرستين ج ٢، القرآن الكريم وروايات المدرستين ج ١.
 الكتاب القرآن الكريم وروايات المدرستين ج ١، قيام الأئمة بإحياء السنّة ج ١.
 المصحف القرآن الكريم وروايات المدرستين ج ١.
 السّورة والآية القرآن الكريم وروايات المدرستين ج ١.
 الجزء والحزب القرآن الكريم وروايات المدرستين ج ١.

التلاوة والقراءة والإقراء القرآن الكريم وروايات المدرستين ج ١ .
النسخ عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .

مصادر مصطلحات عقائد الإسلام :

مشيئة الله	عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .
البداء	عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .
الجبر والتقويض	عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .
القضاء والقدر	عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .
الدين والإسلام	قيام الأئمة بإحياء السنة ج ١ ، عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .
الإيمان والمؤمن	قيام الأئمة بإحياء السنة ج ١ ، عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .
التفاق المناق	قيام الأئمة بإحياء السنة ج ١ ، عقائد الإسلام من القرآن الكريم ج ١ .

مصادر مصطلحات الإمامة والخلافة :

الخلافة والخلافة	قيام الأئمة بإحياء السنة ج ١ ، معالم المدرستين ج ١ .
أمير المؤمنين	معالم المدرستين ج ١ .
الإمام	معالم المدرستين ج ١ .

الوصي	قيام الأئمة بإحياء السنة ج ١، معالم المدرستين ج ١.
الأمر وأولو الأمر	معالم المدرستين ج ١.
الشورى	معالم المدرستين ج ١.
البيعة	معالم المدرستين ج ١.
أهل البيت (ع)	قيام الأئمة بإحياء السنة ج ١، معالم المدرستين ج ١.

مصادر مصطلحات الفقه :

الفقه	معالم المدرستين ج ٢.
الإجتهد	معالم المدرستين ج ٢.
السنة	قيام الأئمة بإحياء السنة ج ١، معالم المدرستين ج ٢.
البدعة	قيام الأئمة بإحياء السنة ج ١، معالم المدرستين ج ٢.
الزكاة	معالم المدرستين ج ٢.
الصدقة	معالم المدرستين ج ٢.
النبي	معالم المدرستين ج ٢.
الصفي	معالم المدرستين ج ٢.
الأئفال	معالم المدرستين ج ٢.
الفنينة والمقنم	معالم المدرستين ج ٢.
الحفص	معالم المدرستين ج ٢.

الفهرس

المقدمة	٩ - ٥
مخطّط بحوث الكتاب	١٢ - ١١
اللغة العربية والمصطلحات الإسلامية	١٩ - ١٣
مصطلحات الألوهية والربوبية	٥٤ - ٢١
• الاسم	٢٣
• الإله	٢٤
• الرب	٣١
• ذو العرش ورب العرش	٤٣
• الكرسي	٤٧
• الله	٤٩
• القيوم	٥١
• الرحمن الرحيم	٥٢
• العبادة	٥٣
مصطلحات النبوة	٨٢ - ٥٥
• الوحي	٥٧
• النبي	٦٣
• الرسول	٦٥

- ٦٨ خليفة الله
- ٧٨ الأئمة المُبلَّغون
- ٨٠ الصحابيِّ والصاحب

مُصطلحات قرآنيّة ٨٣ - ١٢١

- ٨٥ القرآن
- ٨٧ الكتاب
- ٩٠ المصحف
- ٩٩ السّورة والآية
- ١٠٦ الجزء والحزب
- ١٠٧ التّلاوة والقراءة والإقراء
- ١٢٠ النّسخ

مصطلحات عقائد الإسلام ١٢٣ - ١٦٣

- ١٢٥ مشيئة الله
- ١٣٦ البَداء
- ١٤٨ الجَبَر والتّغويض
- ١٥٠ القَضاء والقَدَر
- ١٥٨ الدّين والإسلام
- ١٦١ الإيمان والمؤمن
- ١٦٣ النُّفاق والمنافق

مصطلحات الإمامة والخلافة ١٦٥ - ٢٠٩

- ١٦٧ الخليفة والخلافة

- ١٧٠ أمير المؤمنين
- ١٧١ الإمام
- ١٧٣ الوصي
- ١٧٥ الأمر وأولو الأمر
- ١٨٠ الشورى
- ١٨١ البيعة
- ١٨٨ أهل البيت (ع)
- ١٩٠ السنة والشيعة أو مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت (ع)

مُصْطَلَحَاتُ الْفِقْهِ ٢١١ - ٢٦٠

- ٢١٣ الفقه
- ٢١٨ الاجتهاد
- ٢٢٣ السنة
- ٢٢٤ البدعة
- ٢٢٦ الزكاة
- ٢٢٦ الصدقة
- ٢٣٠ النية
- ٢٣٢ الصفي
- ٢٣٥ الأئفال
- ٢٣٨ الغنيمة والمغنم
- ٢٥١ الخمس

مصادر المُصْطَلَحَاتِ مِنْ كُتُبِ الْعَلَامَةِ الْعَسْكَرِيِّ .. ٢٦١ - ٢٦٣

- ٢٦٥ الفهرس



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی